جيـل سـانتـوبـولـو

JILL SANTOPOLO

النور الذي فقدناه

THE LIGHT WE LOST

ترجمت
إلى 35 لغة
عالمية

رواية

مكتبة ٣٩٥

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

النور الذي فقدناه

THE LIGHT WE LOST

مكتبة - 395

t.me/ktabpdf مكتبة

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي
THE LIGHT WE LOST
حقوق الترجمة العربية مرخّص بها قانونياً من الناشر
G.P. PUTNAM'S SONS
An Imprint of Penguin Random House LLC
بمقتضى الاتفاق الخطي الموقّع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون، ش.م.ل.
Copyright © 2017 by Jill Santopolo
All rights reserved
Arabic Copyright © 2017 by Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

الطبعة الأولى: كانون الثاني/يناير 2018 م - 1439 هـ

ردمك 978-614-01-2410-3

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. SAL
عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+)
ص.ب: 13-5574 شوران - بيروت 2050-1102 - لبنان
فاكس: 786230 (1-961+) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

facebook.com/ASPArabic
twitter.com/ASPArabic
www.aspbooks.com
asparabic

مكتبة ٢٠١٩٣٥

t.me/ktabpdf
مكتبة

النور الذي فقدناه

THE LIGHT WE LOST

جيل سانتوبولو

JILL SANTOPOLO

ترجمة

زينة بارودي

مكتبة - 395

مراجعة وتحرير

مركز التعريب والبرمجة

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل

Arab Scientific Publishers, Inc. SAL

t.me/ktabpdf

مكتبة

مكتبة

telegram @ktabpdf

telegram @ktabrwaya

تابعونا على فيسبوك

جديد الكتب والروايات

اللهم أنزل على قبرها الضياء والنور

والفسحة والسرور

اللهم اقبلها في عبادك الصالحين

واجعلها من ورثة جنة النعيم

ذكرى لـ نورسين

تَمْهيد

لقد كنا معاً لما يفوق نصف العمر الذي عشناه
شاهدتك وأنت مبتسم بثقة، وفرح جداً
وشاهدتك وأنت محطم، مجروح وتائه
لكن لم يسبق لي أن رأيتك على هذا النحو
لقد علمتني البحث عن الجمال بين الظلام والدمار،
وكنت تجد النور دوماً
لا أعلم اي نوع من الجمال أو النور سأجد هنا،
ولكنني سأحاول لأجلك،
لأنني اثق بأنك كنت لتقوم بالأمر عينه لأجلي
فهنالك جمال كثير في حياتنا التي عشناها معاً
ربما يجدر بي البدء من هنا.

t.me/ktabpdf مكتبة

t.me/ktabpdf مكتبة

١

في بعض الأحيان تشعر وكأن الأشياء شواهد على التاريخ، في بعض الأحيان تخيلت الطاولة الخشـبية، التي كنا نجلس إليها خلال الحلقة الدراسـية التي يقيمها الأسـتاذ كرامر عن شكسـبير، في عامنا الدراسـي الأخير، وكأنها قديمة قِدم كولومبيا. كنت أتخيلها وُجدت هنـا منـذ العـام 1754 فقد كانت حوافها- التـي كانت ذات يوم حادة- ناعمـة بعـد أن جلـس إليهـا مئـات الدفعات مـن الطلبـة. إنني أتخيل أنها شـهدت حرب الاسـتقلال والحرب الأهلية والحربين العالميتين وحرب كوريا وفيتنام وحرب الخليج.

مـن المضحـك أننـي لا أسـتطيع أن أجيبـك إن سـألتني عـن الأشـخاص الذيـن كانـوا معنا وقتها، كنت لأجيبك سـابقاً، فقد كنت أستطيع تخيل وجوههم بوضوح، ولكن بعد ثلاث عشرة سنة كل من أستطيع تذكرهم هم أنت والأستاذ كرامر وTA التي لا أستطيع تذكر اسمها، وهي التي كانت تتأخر دائماً، حتى أنها كانت تتأخر أكثر منك.

كان كرامر قد فرغ للتو من قراءة أسماء الحاضرين.

عندمـا فتحـتَ البـاب ودخلتَ، ونظرتَ إليّ وابتسـمت بخجل، حتى أن غمازتيك بالكاد ظهرتا، وما لبثت أن أنزلت القبعة عن رأسك ووضعتهـا فـي جيـب بنطالـك الخلفي وجلسـت في المـكان الفارغ بالقرب مني.

t.me/ktabpdf

مكتبة

سألك الأستاذ: "من أنت؟"، في الوقت الذي كنت تفتح فيه حقيبتك وتبحث عن كتابك ودفترك وقلمك.

فأجبته: "غابي. غابرييل سامثون".

نظر كرامر إلى لائحة الأسماء أمامه وهو يقول: "حاول في المرة القادمة ألا تتأخر وواظب على ذلك طوال الفصل، سيد سامثون، فالصف يبدأ في تمام التاسعة، ومن الأفضل أن تصل قبل ذلك".

أومأت، وبدا كرامر يتحدث عن الأفكار الرئيسة الموجودة في "يوليوس قيصر"، وقال: "إننا في قمة الحماس ومن هنا سنبدأ بالهبوط".

"هناك موجة في أعمال الرجال/ إذا امتطى أحدهم هذه الموجة أو كان بداخلها سيكون هناك سيول/ وهذا ما يمنحه ثروة كبيرة/ أما إذا تجاهلها فسيكون مصير مسيرة حياته أو مغامرته الفشل/ وستكون حياته سطحية ومليئة بالمآسي/ نحن الآن على سطح بحر مليء/ ويجب أن تمتطي الموجة".

هنا توقف الأستاذ كرامر عن القراءة وقال: "أعتقد أنكم جميعاً قرأتم معي، من يستطيع أن يخبرني ما الذي يقوله بروتس عن القدر والحرية في هذا المقطع؟".

سأتذكر دائماً هذه الفقرة، لأنني، ولمرات عديدة، تساءلت إن كان من المقدر أن ألتقي بك في تلك الحلقة الدراسية عن شكسبير، التي كان يديرها الأستاذ كرامر. لطالما تساءلت إن كان القدر أم خيارنا المحض هو ما جعلنا متصلين على الدوام كل هذه السنين، أم أنه خليط من الاثنين؟ أي أننا امتطينا الموجة عندما أتت وقررنا البقاء فيها.

بينما كان كرامر يتكلم كان بعض الطلاب يقلّبون صفحات

t.me/ktabpdf مكتبة

الكتب أمامهم، وكنت تلهو بشعرك المجعد وقلتَ: "حسناً" فنظر الجميع إليك بمن فيهم أنا. ولكن لم تتح لك فرصة لتكمل، فقد دخلت TA بسرعة واعتذرت عن تأخرها قائلة: "لقد صدمت إحدى الطائرات أحد برجي مركز التجارة العالمية، لقد رأيت الخبر على التلفاز، بينما كنت أهمّ بمغادرة البيت إلى هنا، وهذا ما أخّرني".

في ذلك الحين لم يدرك أحد- حتى هي نفسها- أهمية ما تفوهت به.

فسألها الأستاذ كرامر: "هل كان القبطان ثملاً؟".

فأجابته TA: "لا أعلم". وبينما كانت تهم بالجلوس إلى الطاولة تابعت قائلة: "انتظرت لأعرف المزيد لكن لم يكن لدى المذيعين أي فكرة عما يحصل". لو حدث هذا الأمر في أيامنا هذه، لكان سيل الأخبار قد تدفق عبر هواتفنا من خلال تويتر وفيسبوك وإعلانات جريدة نيويورك تايمز الهاتفية.

ولكن في ذلك الوقت لم يكن التواصل فورياً كاليوم، وكان درس شكسبير سيتوقف. تجاهلنا الخبر وتابع كرامر حديثه عن يوليوس قيصر، وبينما كنت أدوّن ملاحظاتي، كنت أنظر إلى أصابع يدك الناعمة، والتي كنت تفرك بها حافة الطاولة بطريقة لا إرادية. فما كان مني إلا أن رسمت بسرعة إبهامك الذي لم يكن ظفره واللحم المحيط به متناسقين. إنني لا أزال أحتفظ بتلك الرسمة في صندوق مليء بالكتب عن الحضارات لا بد أنه موجود في مكان ما.

II

لـن أنسـى مـا حييت الحديث الذي دار بيننـا، عندما خرجنا من "قاعة الفلسـفة"، مع أنه لم يكن مميزاً، إلا أنه لا يزال محفوراً عميقاً في ذاكرتي. كنا ننزل الدرج معاً، وكان الطقس صحواً والسماء صافية، ولكن كل شيء حولنا كان يتغير ولكننا لم نكن نعرف.

كل الناس حولنا كانوا يكلّمون بعضهم بعضاً.

"لقد انهار البرجان".

"الدروس عُلّقت".

"أريد التبرع بالدم، هل تعلمون أين يجري التبرع بالدم؟".

حينها استدرت وسألتك: "ما الذي يجري؟".

فقلت وأنتَ تشير إلى مبنى: "أنا أسكن في إيست كامب، دعينا نذهب ونرَ ما يجري، أنتِ لوسي أليس كذلك؟ أين تقيمين؟".

أجبتك: "صحيح، أنا لوسي وأقيم في هوغن".

"تشـرفت بلقائـك يا لوسـي، أنـا غابرييل". ومددت يدك وسـط الزحـام فصافحتهـا، ونظرت إليك، ولاحظت بروز غمازتيك مجدداً، ولمعان عينيك الزرقاوين، وقلت في سري كم هو جميل.

عندمـا وصلنـا شـقتك شـاهدنا التلفـاز مـع رفـاق سـكنك آدم وسكوت وجاستن.

شاهدنا أجساداً تقفز من البرجين بينما الدخان يتصاعد، وكان البرجان على وشك أن ينهارا. ما شاهدناه من دمار وحطام أصابنا بنوع من الخدر، فقد كنا ننظر إلى التلفاز عاجزين عن تصديق ما نرى. رفضنا تقبل حقيقة أن هذا يحدث في مدينتنا وعلى بعد سبعة أميال منا، وأن من يموتون هم أناس حقيقيون وليسوا ممثلين في فيلم، حتى تلك اللحظة لم أستطع تقبل الفكرة، فقد بدت لي ضرباً من الخيال.

عندما حاولتَ استخدام هاتفك الخلوي، تبين لك أن الشبكة متوقفة، فاستعملت هاتف الشقة السلكي كي تتصل بأمك في أريزونا وتطمئنها عنك، بدوري اتصلت بأهلي في كونكتيكت فطلبوا مني العودة إلى الديار، وأخبروني أنهم يعرفون شخصاً ابنته تعمل في مركز التجارة العالمي، ولم يكن لديهم أي أخبار عنها، وأن ابن عم شخص آخر كان يتناول طعام الفطور في ويندوز أون ذا ورد. وأخبرني أبي أن الوضع أكثر أماناً خارج مانهاتن وعبّر عن خوفه من هجمات بيولوجية بالجمرة الخبيثة أو بغاز الأعصاب.

قلت له: "قطار الأنفاق متوقف وأظن القطارات كذلك".

فقال: "سأقود السيارة وأذهب إلى مانهاتن لأجلبك".

قلت له: "إنني بخير هنا مع رفاقي، وسأعاود الاتصال بك". حتى ذلك الحين لم أكن قادرة على تصديق ما يحصل. وبعد أن أنهيت الاتصال بأبي قال سكوت: "لو كنت مكان الإرهابيين لألقيت قنبلة علينا".

فرد عليه آدم قائلاً: "ما بك يا سكوت؟!". وكان ينتظر على أحرّ من الجمر أي أخبار عن عمه الذي يعمل في شرطة نيويورك.

t.me/ktabpdf مكتبة

وعندها قال سكوت: "لو تفكرون بالمنطق...". ولكنه لم يكمل جملته.

قال جاستن: "اخرس، أنا جاد يا سكوت. الوقت غير مناسب".

حينها قلت لك: "ربما من الأفضل أن أذهب" لم أكن أعرفك حقاً، وكنت قد التقيت بأصدقائك للتو. "لا بد أن شركائي في الغرفة يتساءلون أين أنا".

قلت لي: "اتصلي بهم" وأعطيتني الهاتف. "أخبريهم أنك ذاهبة إلى سطح مهجع وين. أخبريهم أنه يمكنهم لقاؤك هناك إن أردت".

"أنا ذاهبة إلى أين؟".

قلت: "معي". ومررت أصابعك على جديلتي بشرود. كانت لفتة حميمية، مثل الأشياء التي تحصل حين يتم تجاوز جميع حواجز المساحة الشخصية. مثل الأكل من طبق شخص آخر دون السؤال أولاً. وفجأة، شعرت وكأنني متصلة بك، وكأن يدك على شعري عنت شيئاً أكبر من مجرد أصابع متوترة.

فكرت بتلك اللحظة، بعد سنوات، حين قررت التبرع بشعري وأعطاني مزين الشعر جديلتي ملفوفة بالنايلون، وكانت تبدو ذات لونٍ بني أدكن من العادة. بالرغم من أنك كنت على بُعد عالم بأكمله عني، إلا أنني شعرت وكأنني كنتُ أخونك، وكأنني كنت قد قطعت رابطنا.

ولكن ذاك اليوم، بعد أن لمست شعري، أدركت على الفور ما فعلت، فأنزلت يدك إلى حضنك. ابتسمت لي مجدداً، ولكن لم تصل الابتسامة إلى عينيك هذه المرة.

هززت كتفيّ وقلت: "حسناً".

t.me/ktabpdf

مكتبة

شعرت وكأن العالم كان يتحطم إلى قطع صغيرة، كأننا عبرنا من خلال مرآة مكسرة إلى المكان المتصدع في الداخل، حيث لا شيء منطقي، حيث كانت دروعنا محطمة، وكانت جدراننا مهدمة. في ذلك المكان، لم يكن هنالك أي سبب لأقول لا.

III

صعدنا عبر المصعد إلى وين، ثم فتحتَ نافذة في نهاية الرواق وقلتَ: "أراني أحدٌ ما هذا في السنة الثانية، إنها أروع إطلالة على مدينة نيويورك سترينها".

خرجنا من النافذة إلى السطح، فصدمت. تصاعد الدخان من قمة مانهاتن الجنوبية. كان اللون الرمادي يحجب السماء، وكانت المدينة مغطاة بالرماد.

قلت: "يا إلهي". ملأت الدموع عيني. تخيلت ما كان موجوداً هنالك. رأيت المساحة الخالية حيث كان البرجان ينتصبان. وأدركت في النهاية. "كان هنالك أناسٌ في هذه المباني".

وجدتْ يدك يدي وأمسكتها.

وقفنا نحدق إلى أطلال البرجين والدخان المتصاعد والدموع تنهمر على وجناتنا، لم أشعر بالوقت. أعتقد أنه كان هناك أناس غيرنا على السطح، ولكني لا أستطيع تذكرهم. لم ينطبع في ذاكرتي سواك وصورة الدخان.

في النهاية همست: "ما الذي سيحصل الآن؟" رؤية ذلك المشهد جعلني أدرك هول الهجوم. "ما الذي سيحصل الآن؟".

نظرت إليّ، وكانت أعيننا المبللة بالدموع منجذبة إلى بعضها بنوعٍ من الانجذاب الذي يتجاهل بقية العالم من حوله. انزلقت يدك

t.me/ktabpdf

مكتبة

إلى خصري، ثم وقفت على أصابع رجلي كي أصل إلى شفتيك. التصقنا أحدنا بالآخر وكأن ذلك سيحمينا مما سيحصل لاحقاً. وكأن الطريقة الوحيدة للبقاء في أمان كانت في إبقاء شفتيّ على شفتيك. في اللحظة التي أحاط فيها جسدك بجسدي شعرت بالأمان، وأنا محاطة بقوة ذراعيك ودفئهما. ارتعشت عضلاتك تحت يدي ودفنت أصابعي في شعرك. لففت جديلتي حول كفك، وجذبتها للخلف وأملت رأسي، ونسيت العالم بأكمله. في تلك اللحظة، لم يكن هنالك غيرك.

شعرت بالذنب لسنوات بسبب ذلك. شعرت بالذنب لأننا قبلنا بعضنا للمرة الأولى بينما كانت المدينة تحترق. شعرت بالذنب لأنني استطعت أن أنسى نفسي معك في تلك اللحظة. ولكني علمت لاحقاً أننا لم نكن الوحيدين. أخبرني الناس بالهمس أنهم مارسوا الجنس في ذاك اليوم، وأنهم رزقوا بطفلٍ بعدها. وأنهم خُطبوا لبعضهم. وقالوا أحبك للمرة الأولى. هنالك أمرٌ ما بخصوص الموت يجعل الناس يريدون العيش. أردنا أن نعيش في ذلك اليوم، ولا ألوم أحداً بسبب ذلك. ليس بعد الآن.

حين توقفنا لنتنفس، أرحت رأسي على صدرك. استمعت لقلبك وطمأنني نبضه المنتظم.

هل يطمئنك نبض قلبي؟ هل ما زال يفعل ذلك؟

t.me/ktabpdf مكتبة

١٧

عدنا إلى غرفتك في المهجع لأنك وعدتني بوجبة غداء. أخبرتني أنك ستصعد مجدداً إلى السطح بعد الغداء لالتقاط بعض الصور.

سألت: "من أجل سبيكتيتور؟".

فأجبتني: "أريد أن ألتقط الصور لأجلي لا لأجل الصحيفة".

تشتت تركيزي في المطبخ بسبب مجموعة صورك؛ صور باللونين الأبيض والأسود ملتقطة في جميع أنحاء الحرم الجامعي. كانت جميلة وغريبة ومشبعة بالضوء. صور مقربة كثيراً لدرجة أن الأشياء التي نراها يومياً بدت وكأنها تحفة فنية من النمط المعاصر.

سألت: "أين التقطت هذه؟". بعد النظر إليها لفترة أدركت أنها صورة مقرّبة لعش عصفور، مصنوع من شيء بدا كأوراق الصحف والمجلات.

أخبرتني: "أوه، كان هذا رائعاً، جيسيكا تشو! هل تعرفينها؟ تغني كابيلا؟ حبيبة ديفيد بلوم؟ لقد أخبرتني عن هذا العش، وأخبرتني أنها رأت الطائر عندما كان يبنيه، وأنه بناه دفعة واحدة. لذا ذهبت لتفقد الوضع. كان عليّ أن أتدلى من النافذة لألتقط هذه الصورة. طلبت جيس من ديف أن يمسك بكاحلي لأنها خشيت أن أقع. ولكنني حصلت على اللقطة".

t.me/ktabpdf مكتبة

تغيرت نظرتي إليك بعد ما أخبرتني إياه. كنت متحدياً وشجاعاً وملتزمـاً بالتقـاط الصـور الفنية. بالعودة إلـى الماضي، أعتقد أن ذلك ما أردتني أن أعتقد. كنت تحاول إثارة إعجابي، ولكن لـم أدرك ذلك حينهـا. فكـرت فقـط: واو، إنـه رائـع. ولكن ما كان صحيحـاً حينها، ومـا كان صحيحـاً طـوال مـدة معرفتي بك، هو أنـك كنت قادراً على رؤيـة الجمـال فـي كل مـكان. أنت تلحظ أموراً لا يسـتطيع الآخرون ملاحظتها. إنه شيءٌ لطالما قدّرته فيك.

سألتك حينها وأنا أشير إلى الصور: "هل هذا ما تود فعله؟".

هززت رأسك وقلت: "إنه متعتي الشخصية. أمي فنانة. عليك أن تري ما تسـتطيع فعله؛ اللوحات التجريدية الكبيرة السـاحرة. ولكنها تجنـي قوتهـا مـن خلال رسـم لوحـات صغيرة لمشـاهد الغروب في أريزونـا وتبيعهـا للسـياح. لا أريـد هذا النوع مـن الحياة، أن أصنع ما يمكنني بيعه فقط".

اتكأتُ على المنضدة ونظرت إلى بقية الصور. الصدأ على مقعد حجـري، تفاصيـل الرخام ذي الأخاديد، التآكل على درابزين معدني. الجمال في أماكن لـم أتخيلها من قبل. سألت: "هل والدك فنان أيضاً؟"

تغيـرت تعابيـرك. يمكنني ملاحظة ذلك. بـدت عيناك وكأن باباً أغلق خلفهما. قلت: "لا، ليس فناناً".

تجـاوزت حـداً لـم أكـن أعلـم بوجوده. تناسـيت الأمـر، كنت أكتشـف ملامـح شـخصيتك. كنـت آمل بالفعل أن يكـون ذلك مكاناً سأحفظه جيداً، مكاناً سأعتاد التجول فيه.

كنتَ هادئاً وكنتُ كذلك. كان التلفاز لا يزال شغالاً في الخلف، وسـمعت مذيعـي الأخبـار يتكلمون عن البنتاغون وعـن الطائرة التي

t.me/ktabpdf مكتبة

تحطمت في بنسلفانيا. رعب الوضع سيطر عليّ مجدداً. وضعت صورك جانباً. بدا تأمل الجمال أمراً سيئاً حينها. ولكن حين أتذكر ذلك الوقت، ربما كان ذلك الأمر الأفضل لفعله.

سألت: "ألم تقل إننا سنتناول الغداء؟" مع أنني لم أكن جائعة، وبالرغم من أن الصور التي كانت تمر على شاشة التلفاز كانت تشعرني بالغثيان.

أشرقت عيناك وقلت: "صحيح لقد قلت ذلك" مع إيماءة.

كان لديك فقط مكونات لصنع الناتشو. لذا قمت تلقائياً بتقطيع الطماطم وفتحت علبة من الفاصولياء بفتاحة علب صدئة بينما قمت برتيب رقائق التورتيلا على إحدى الصواني التي تستخدم لمرة واحدة وبشرت الجبن في وعاء فيه صدع.

سألتَ: "ماذا عنكِ؟" وكأن محادثتنا لم تنجرف بعيداً.

"أممم؟" دفعت غطاء علبة الفاصولياء لأستطيع إخراجها.

"هل أنتِ فنانة؟"

وضعت الغطاء المعدني على المنضدة. قلت: "كلا. الأمر الأكثر إبداعاً الذي أقوم به هو كتابة القصص لشركائي في الغرفة".

سألت: "عن ماذا؟" وأملت رأسك.

نظرتُ إلى الأسفل كي لا تراني أحمر خجلاً. قلت: "الأمر محرج، إنها عن خنزير يشرب الشاي يدعى هاميلتون قُبل عن طريق الخطأ في جامعة للأرانب".

ضحكت ضحكة متفاجئة. قلت: "هاميلتون. خنزير. فهمت ذلك. إنه مضحك".

قلت ونظرت إليك من جديد: "شكراً".

"هل هذا ما تريدين فعله بعد التخرج؟" أخذتَ مرطبان الصلصة وضربت غطاءه بسطح المنضدة ليرتخي.

هززت رأسي. "لا أعتقد أن هنالك سوقاً كبيرةً لقصص الخنزير هاميلتون. كنت أفكر بالعمل في مجال التسويق، ولكن التسويق في مثل هذه الظروف يبدو سخيفاً".

سألتني: "لماذا يبدو سخيفاً؟" وفتحت الغطاء.

نظرت إلى التلفاز. "هل يعني ذلك شيئاً؟ التسويق؟ لو كان هذا آخر يومٍ في حياتي وكنت قد قضيت معظم شبابي وأنا أخترع حملات لبيع الناس... الجبن المبشور... أو رقائق الناتشو... هل سأشعر أنني قضيت وقتي هنا وأنني أعيش الحياة حقاً؟".

عضضت شفتيك. قالت عيناك، أنا أفكر بالأمر. تعرفت أكثر إلى ملامحك. ربما تعرفت قليلاً على ملامحي. سألتني: "كيف تعرفين أنك عشتِ حياتك حقاً؟".

أخبرتك: "هذا ما أحاول اكتشافه". وكان ذهني منشغلاً وأنا أتكلم. "أعتقد أنني أبحث عما سيترك بصمة بطريقة إيجابية. أن يجعل المرء العالم مكاناً أفضل بقليل مما كان عليه". لا زلت أؤمن بهذا، غيب. هذا ما كنت أطمح لفعله طوال حياتي وأعتقد أن الأمر مشابه بالنسبة إليك.

رأيت شيئاً ما يتبرعم في وجهك حينه. لم أكن متأكدة من معنى ذلك. لم أكن أعرفك كفاية. ولكن أعلم الآن مغزى تلك النظرة. إنها تعني أن وجهات النظر تتبدل في ذهنك.

غمستَ رقاقة في الصلصة وقدّمتها لي.

سألتني: "ألن تتذوقيها؟"

t.me/ktabpdf مكتبة

أخذت نصفها، ووضعت الباقي في فمك. كانت عيناك تتفحصان تضاريس وجهي وتسافران نزولاً على امتداد جسدي. كان يمكنني أن أشعر بك وأنت تتفحصني من زوايا ومواقع رؤية مختلفة. ثم مررت أناملك على خدي وتبادلنا القبل من جديد؛ هذه المرة كان مذاق القبلة مالحاً وحاراً.

عندما كنت في الخامسة أو السادسة من عمري، رسمت على جدار غرفتي بقلم أحمر اللون. لا أعتقد أنني أخبرتك هذه القصة من قبل. أياً يكن الأمر، بينما كنت أرسم القلوب والشموس والأقمار والغيوم، علمت أنني أفعل شيئاً لا ينبغي عليّ القيام به. كنت أشعر بذلك في داخلي، ولكني لم أستطع منع نفسي. أردت فعل ذلك بشدة. كانت غرفتي مزينة باللونين الوردي والأصفر، ولكن الأحمر كان لوني المفضل. وأردت أن تكون غرفتي حمراء اللون. احتجت أن تكون غرفتي حمراء اللون. بدا الرسم على الجدار أمراً صحيحاً تماماً وخاطئاً دون شك في الوقت ذاته.

هكذا شعرت في اليوم الذي التقيتك فيه. بدا تقبيلك في وسط المصيبة والموت أمراً صحيحاً تماماً وخاطئاً دون شك في الوقت ذاته. ولكني ركّزت على القسم الذي بدا صحيحاً، كما أفعل دوماً.

وضعت يدي في جيب بنطالك الخلفي ووضعتَ يدك في جيبي. جذب كل منا الآخر. رن الهاتف في غرفتك، ولكنك تجاهلته. ثم رن الهاتف في غرفة سكوت.

بعد ثوانٍ عدة، أتى سكوت إلى المطبخ وتنحنح. ابتعدنا عن بعضنا واستدرنا نحوه. قال: "ستيفاني تبحث عنك يا غيب. لقد تركتها على الهاتف بوضعية الانتظار".

سألتك: "ستيفاني؟".

أجبتني: "لا أحد" في الوقت ذاته الذي قال فيه سكوت: "حبيبته السابقة".

هنا تدخل سكوت قائلاً: "إنها تبكي يا رجل".

بدوت مشتتاً، نقلت نظرك بيني وبين سكوت عدة مرات. وقلت له: "هل يمكنك أن تخبرها أنني سأتصل بها بعد دقائق عدة؟".

أومأ برأسه وغادر، ثم أمسكت يدي وتشابكت أصابعك بأصابعي، والتقت أعيننا، كما حصل على السطح، ولم أنظر بعيداً. كانت ضربات قلبي تتسارع.

قلت: "لوسي، أتفهم أن حديثي إليها وأنتِ معي يجعل الأمر غريباً، ولكن عليّ الاطمئنان عليها. كنا سويةً طوال العام الدراسي الماضي ولم يمضِ على انفصالنا سوى شهر واحد. اليوم...".

فعقبت قائلة: "أفهم ذلك". وبشكلٍ غريب، زاد هذا من إعجابي بك. فبالرغم من قطع علاقتك بستيفاني، إلا أنك كنت تهتم لأمرها. قلت: "عليّ العودة إلى شركائي في السكن". مع أنني لم أرغب بالمغادرة. "شكراً لك على..." بدأت الجملة دون أن أعرف كيف سأنهيها، ثم اكتشفت أنني غير قادرة على ذلك.

اعتصرت أصابعي. وقلت: "شكراً لأنكِ جعلت هذا اليوم أفضل، لوسي، لوس، لوز هو الاختصار في الإسبانية، أليسِ كذلك؟" سكتَ. فأومأتُ. "حسناً، شكراً لأنك ملأت يوماً مظلماً بالنور".

استطعت أن تعبر بالكلمات عن الشعور الذي لم أستطع التعبير عنه. فقلت لك: "لقد أنرت يومي أيضاً، شكراً لك".

t.me/ktabpdf مكتبة

تبادلنا القبل مجدداً وكان من الصعب عليّ المغادرة والابتعاد عنك.

قلت لي: "سأتصل بك لاحقاً، سأجد اسمك في الدليل. أنا آسف على الناتشو".

فرددت عليك: "اعتنِ بنفسك. يمكننا أن نتناول الناتشو لاحقاً".

فعلقت بمسؤولية: "يبدو هذا جيداً".

ثم غادرت، متسائلةً إن كان من الممكن أن يحتوي واحد من أسوأ الأيام التي عشتها قدراً صغيراً من السعادة.

بالفعل اتصلت بي بعد ساعات عدة، ولكن لم تكن تلك المحادثة التي توقعتها. قلت إنك آسف، آسف للغاية، ولكنك عدت سويةً أنت وستيفاني. شقيقها الكبير مفقود – كان يعمل في ون وورد تريد – وكانت بحاجة إليك.

قلت إنك تأمل أن أتفهم الأمر، وشكرتني مجدداً لإدخال النور إلى يومٍ مروع كهذا. قلت إن وجودي هنالك عنى كثيراً لك. واعتذرت مرة أخرى.

شعرت بأنني محطمة، ولكنه لم يكن شعوراً منطقياً، لكن هذا ما شعرت به.

لم أتحدث إليك طيلة الصيف. ولا في الخريف أيضاً. غيرت مقعدي في حصة كريمر كي لا أجلس بالقرب منك. ولكني أنصتّ في كل مرة تحدثتَ فيها عن رؤيتك للجمال في لغة شكسبير ومخيلته، حتى في أبشع المشاهد.

قرأت بصوتٍ عالٍ: "وا أسفاه! نهرٌ قرمزي من الدم الدافئ/ مثل نافورة تتلاعب بمائها الرياح/ يصعد وينزل بين شفتيك الورديتين".

t.me/ktabpdf مكتبة

في تلك الأثناء لم أكن أستطيع التفكير بأي شيء عدا شفتيك، وكيف لامستا شفتي.

حاولت أن أنسى ذاك اليوم، ولكن الأمر بدا مستحيلاً. لم أستطع نسيان ما حصل لنيويورك، لأمريكا، للناس في البرجين. ولم أستطع نسيان ما حصل بيننا. حتى الآن، كلما سأل أحدٌ ما: "هل كنت في نيويورك حين انهار البرجان؟" أو "أين كنت في ذلك اليوم؟" أو "كيف كانت الأجواء هنا؟" أول شيء يخطر ببالي هو أنت.

هنالك لحظات تبدل مسار حيوات الناس. بالنسبة إلى كثيرين ممن عاشوا في نيويورك حينها، كان يوم 11 سبتمبر اللحظة التي بدلت مسار حياتهم. كل ما فعلته ذلك اليوم كان مهماً، كان محفوراً في ذاكرتي ومرسوماً في قلبي. لا أعرف لمَ التقيتك ذاك اليوم، ولكن كل ما أعرف أن لقاءك يومها جعل منك جزءاً من تاريخي الشخصي وإلى الأبد.

مكتبة

t.me/ktabpdf

٧

كان شهر مايو وكنا قد تخرجنا للتو. أعدنا قبعاتنا وعباءاتنا، واستبدلناها بشهادات الدبلوم المكتوبة باللاتينية، الممجدة بأسمائنا الأولى والوسطى والكنية. سرت إلى لو موند مع عائلتي - والدتي ووالدي وشقيقي جيسون، بالإضافة إلى جدّي وعمي. أجلسونا بالقرب من عائلة أخرى، أصغر بكثير - كانت عائلتك.

نظرت إلى الأعلى حين مررنا بالقرب منك ومددت يدك لتمسك بذراعي. قلت: "لوسي! تهانينا!".

ارتعشت. بعد كل هذه الأشهر، الإحساس بجلدك يلامس جلدي فعل ذلك بي، ولكنني تمكنتُ من قول: "تهانيّ لك أيضاً".

سألتني: "ما الذي ستفعلينه؟ هل ستبقين في المدينة؟".

أومأت: "حصلت على عمل في برنامج تنموي في شركة إنتاج تلفزيونية؛ برامج للأطفال". لم أستطع منع نفسي من الابتسام. لقد سعيت وراء هذا العمل لشهرين تقريباً قبل أن أحصل عليه. بدأت أفكر بالعمل في هذا المجال بعد انهيار البرجين بوقت قليل، بعد أن اعترفت لنفسي وقررت أنني أريد القيام بشيء أعمق من التسويق.

أردت أن أقوم بشيء يخدم الجيل القادم، ويكون له دور في رسم معالم المستقبل المتغير.

سألتني متفاجئاً: "برنامج للأطفال!؟" وارتسمت ابتسامة خجولة

علـى شـفتيك. "مثـل آلفيـن آنـد ذاتشـيبمونكس؟ هـل سـيكون لهذه الشـخصيات أصـوات مرحـة؟" قلت: "ليس تمامـاً" وضحكتُ قليلاً، أردت أن أخبـرك أن محادثتنـا هـي مـا قادنـي إلـى ذلـك، لقـد عنـت اللحظات التي تشاركنها معاً في مطبخك الكثير لي.

بدوري سألتك: "ماذا عنك؟".

قلـتَ: "سـأعمل مستشـاراً فـي ماكينزي، فأنـا لا طاقة لي للعمل في برامج الأطفال".

تفاجـأت. لـم أتوقع هذا بعد محادثتنا، وبعد سـماعي لتحليلك في حصة كريمر.

ولكنـك عـدت وقلـت: "هـذا رائع. تهانـي على الوظيفـة. ربما سأراك في المدينة في وقتٍ ما".

أجبتك بسرور: "سيكون ذلك لطيفاً".

ثم تابعت طريقي للجلوس إلى الطاولة مع عائلتي.

سـمعت أحدهم يسـألك: "من هذه؟". فنظرت إلى الأعلى. كان هنالك فتاة بجانبك شعرها طويل وذو لون قمحي، يصل إلى منتصف ظهرها، وكانت تضع يدها على فخذك، لم أدقق كثيراً فيها، فقد انصب جل اهتمامي عليك.

سـمعتك تقـول: "إنها فتاة تعرفـت إليها في الصـف". بالطبع، لم أكن أكثر من ذلك. ولكن ما قلته جرح مشاعري لسبب ما.

VI

نيويــورك مدينــة غريبــة، إنهــا مدينة التناقضات. فقــد تعيش فيها لســنوات من دون أن تلتقي بجارك الذي يســكن في الشــقة المحاذية لشقتك، وبالمقابل قد تلتقي في هذه المدينة المزدحمة بأعز أصدقائك في قطار الأنفاق وأنت متوجه إلى عملك، فالقدر هو الذي يتحكم بك وليس الإرادة الحرة. وربما أكون مخطئة ويكون كلاهما المتحكمين فيك.

كان شــهر مــارس، بعــد عــام تقريباً مــن التخــرج، وقامت مدينة نيويورك بابتلاعنا. كنت أعيش مع كيت في الجانب الشرقي العلوي فــي شــقة كبيــرة كانــت مملوكة من قبــل جدها وجدتهــا. كنا نتحدث عن القيام بذلك منذ أن كنا في المدرســة الإعدادية. أصبحت أحلام طفولتنا حقيقة.

كنت قد انخرطت في الأشهر الستة الماضية في علاقة مع أحد زمــلاء العمــل، بالإضافــة إلى عدة مغامــرات ليلية عابرة وخرجت في مجموعة من المواعيد مع رجال اعتبرتهــم غير أذكياء أو غير وسيمين أو غيــر مســلين كفايــة، مــع أنــه حيــن أتذكرهم أجد أنــه ربما لم يكن هنالك أي خطبٌ بهم. في الواقع لو التقيت دارن حينها، لكنت فكرت بالطريقة نفسها اتجاهه.

فــي الحقيقــة لقــد توقفــت عــن التفكير بك ما لــم أفكر بمهاجع

t.me/ktabpdf

مكتبة

الحرم الجامعي وقاعة الفلسفة. لقد مضى عام على آخر لقاء جمعنا. ولكنك خطرت على بالي في العمل حين كنت أراجع القصص المصورة مع رئيسي، حين كنا نراجع الحلقات التي تركز على القبول والاحترام. فكرت بمطبخك وشعرت بأنني أصبت في الخيار الذي أقدمت عليه.

قبل وقت طويل من يوم الخميس 20 مارس، يوم عيد ميلادي الثالث والعشرين. خططت لإقامة حفلة في عطلة نهاية الأسبوع، ولكن صديقتي المقربتين في العمل، أليكسز من غرفة الكُتاب وجوليا من دائرة الفنون كما سميتَهما لاحقاً، أصرا على أن نشرب كأساً في عيد ميلادي.

أصبحنا ثلاثتنا مهووسين بحانة فيسز آند نيمز خلال ذاك الشتاء بسبب مدفأة الحطب والأرائك المريحة. كانت درجة الحرارة قرابة الأربعين فهرنهايت، ولكن اعتقدنا أن الحانة ستقوم بإشعال المدفأة إن طلبنا ذلك. ذهبنا إلى هنالك كثيراً خلال الأشهر الماضية، وكان الساقي يحبنا.

صنعت جوليا لي تاجاً من الورق للاحتفال بيّ وأصرت عليّ أن أتوج رأسي به، وطلبت أليكسز لنا جميعاً شراباً. جلسنا على الأريكة قبالة النار، وابتكرنا أشياء لنشرب نخبها قبل أن نحتسي المشروب.

بدأت أليكسز وقالت: "نخب أعياد الميلاد!". وقالت جوليا: "نخب لوسي!".

بدوري قلت: "نخب الأصدقاء!".

ثم تحول ذلك إلى: "نخب عدم تعطل آلة النسخ اليوم!" و"نخب رؤساء العمل الذي يغيبون بسبب المرض!" و"نخب وجبات الغداء

المجانية بعد الاجتماعات الراقية!" و"نخب الحانات التي تمتلك مدفأة!" و"نخب شراب التفاح!".

أتت النادلة إلى طاولتنا حاملة صينية عليها ثلاث كؤوس.

قالت جوليا: "أوه، لم نطلب هذه".

ابتسمت النادلة. "لديكم معجب سري يا فتيات". أشارت نحو المشرب.

وكنتَ هنالك.

ظننت للحظة أنني أهلوس. لوّحت لنا بيدك قليلاً.

وقالت النادلة: "طلب مني أن أقول عيد ميلاد سعيد لوسي".

فتحت أليكسز فمها وسألتني "هل تعرفينه؟ إنه جذاب!". ثم حملت إحدى الكؤوس التي وضعتها النادلة على الطاولة أمامنا. "نخب الشبان الوسيمين الذين يعرفون اسمك ويرسلون مشروبات مجانية!" وشربت النخب. بعد أن أخذنا جميعاً رشفة، أضافت: "اذهبي لشكره يا فتاة العيد".

وضعت الكأس على الطاولة، ثم غيرت رأيي وأخذتها معي وأنا ذاهبة إليك، أتمايل قليلاً بسبب الكعب العالي.

قلت لك: "شكراً" وجلست على الكرسي الذي إلى يسارك.

فأجبتني: "كل عام وأنت بخير. تاج جميل".

ضحكت ورفعته عن رأسي. وقلت لك: "قد يبدو أفضل عليك، هل تود تجربته؟".

فعلت ذلك، وانسحقت تجعيدات شعرك بالورق.

عندها قلت لك: "تبدو ساحراً".

ابتسمت ووضعت التاج على المشرب أمامنا.

قلتَ: "لم أعرفك في البداية، صففتِ شعرك بطريقة جديدة".

أخبرتك: "الغرّة"، ورفعتها إلى الجانب.

حدقت إليّ كما فعلت عندما كنا في مطبخك، نظرت إليّ من جميع الزوايا. "جميلة مع أو من دون الغرة". تلعثمت قليلاً، وأدركت أنك ثمل أكثر مني. ما جعلني أتساءل لماذا كنت وحدك، ثملاً الساعة السابعة مساءً ليلة خميس.

سألتك: "كيف حالك؟ هل كل شيء على ما يرام؟".

أسندت مرفقك إلى المشرب، وأرحت خدك على راحة يدك.

قلتَ: "لا أعلم. انفصلنا مجدداً أنا وستيفاني. أكره وظيفتي. لقد احتلت الولايات المتحدة الأمريكية العراق. في كل مرة أراكِ فيها يكون العالم يتدمر".

لم أعلم كيف عليّ الرد على ذلك، بشأن انفصالك عن ستيفاني أو بشأن تأكيدك على أن العالم يتدمر كلما رأيتني، لذا أخذت رشفة أخرى من الشراب.

استمررت بالحديث: "ربما علم الكون أنني بحاجة إلى رؤيتك الليلة. أنت مثل... بيغاسوس".

سألتك: "أنا حصان مجنح، أتقصد ذلك الذي في الإلياذة؟ حصان مجنّح ذكر؟".

قلتَ: "لا، أنت من دون شك أنثى". ابتسمتَ وتابعتَ الكلام.

قلتَ: "ولكن لم يكن بيليروفون ليتمكن من هزيمة الكمير من دون مساعدة بيغاسوس. بيغاسوس جعله أقوى، كان يمكنه الطيران فوق كل شيء؛ فوق كل الألم، كل الأذى. وأصبح بطلاً رائعاً".

في الحقيقة، عندما قرأت تلك الملحمة الأسطورية فهمتها

مكتبة t.me/ktabpdf

بطريقة مختلفة عن التي تشرحها الآن. قرأتها على أنها تعبر عن العمل الجماعي والتعاون والشراكة؛ لطالما أعجبتني فكرة أن بيغاسوس أعطى بيليروفون الإذن لامتطائه. ولكني أدركت أن تفسيرك كان مهماً بالنسبة إليك. "حسناً، شكراً لك على الإطراء على ما أظن. مع أنني كنت أفضل تشبيهي بأثينا أو هيرا أو حتى جورجون".

تبسمتَ وقلتَ: "لا لست جورجون. فلا أفاعي على رأسك".

لمستَ شعري. "أنت لم ترني حين أستيقظ صباحاً".

نظرتَ إليّ نظرة تنم عن أنك أردتَ ذلك.

سألتني: "هل اعتذرت منك من قبل لما حصل بيننا؟ أنا لا أعتذر لأنني قبلتك. لكن.." – هززت كتفيك – "أنا آسف لما حصل لاحقاً. كنت أحاول القيام بالفعل الصحيح. مع ستيفاني الحياة...".

"معقدة". أنهيت جملتك. "لا بأس. حصل الأمر منذ دهور. واعتذرت مرتين".

قلتَ: "ما زلت أفكر بك، لوسي" وأنت تنظر إلى كأس شرابك الفارغة. تساءلت كم كأساً شربت. "أفكر بمفترق الطرق ذاك، ما كان ليحصل لو سلكناه ولم تفترق طريقانا".

سأضحك الآن لو سميتنا طرقاً، ولكن كان الأمر حينها رومنسياً كثيراً. أن تقتبس روبرت فروست من أجلي.

نظرت إلى أليكسز وجوليا. كانتا تشاهداننا وهما تحتسيان شرابهما. قالت لي جوليا بلغة الشفاه أأنت على ما يرام؟ أومأت. فأشارت إلى ساعتها وهزت كتفيها. هززت كتفي رداً، فأومأت مجدداً.

نظرت إليك، فاتن ومكسور وتريدني. ربما يكون الكون قد أرسلك إليّ هدية عيد ميلاد.

t.me/ktabpdf مكتبة

قلتُ: "إن ميزة الطرق هي أنك أحياناً تجد نفسك على نفس الطريق مجدداً؛ فقد تتاح لك الفرصة لتسافر مجدداً على الطريق نفسه".

يا إلهي كم كنا مملين وقتها.

نظرت إليّ، ثم تأملتني. كانت نظرة عينيك الزرقاوين واهنة ولكنها بالرغم من ذلك كانت جذابة. قلتَ: "سأقبلك"، بينما ملت اتجاهي. ثم فعلت، وشعرت أن أمنية عيد ميلادي قد تحققت.

سألتني: "هل يمكنك مرافقتي إلى شقتي الليلة، لوسي؟" بينما وضعت خصلة تائهة من الشعر خلف أذني. "لا أريد أن أعود إلى المنزل بمفردي".

رأيت الحزن في عينيك، والوحدة. وأردت أن أخفف عنك، أن أكون دواءك، ضمادتك، ترياقك. لطالما أردت أن أصلح الأمور من أجلك. ما زلت أفعل. إنها نقطة ضعفي، أو ربما بذرة الرمان خاصتي. مثل بيرسيفون، إنها ما جعلني أريد العودة دوماً.

رفعت أصابعك ووضعتها على شفتيّ وقبّلتها. قلتُ: "نعم، سأفعل".

VII

مستلقيان في سريرك، جسدانا منارا ن فقط بأضواء المدينة التي تسللت عبر ستائرك. كنت تضمني وتلف ذراعيك حولي، وكانت راحتا يديك تستريحان على بطني العاري. كنا متعبين ومشبعين وما زلنا ثملين قليلاً.

قلت هامساً: "أريد أن أستقيل من عملي". وكأن الظلمة جعلت الأجواء آمنة لقول ذلك.

همست وأنا نعسة: "حسناً، يمكنك أن تستقيل من عملك".

فركت إبهامك بالقسم السفلي من ثديي. قلتَ ونفسك الدافئ على عنقي: "أريد أن أفعل شيئاً ذا معنى، كما قلتِ".

أجبتك وأنا نصف نائمة: "ممم".

وأردفت قائلاً: "ولكني لم أفهم ذلك حينها".

تمتمت: "تفهم ماذا؟".

قلت: "لا يتعلق الأمر فقط بإيجاد الجمال". أبقتني كلماتك مستيقظة. "أريد أن أصور كل شيء؛ السعادة، الحزن، الفرح، الدمار. أريد أن أخبر قصصاً بواسطة آلة تصويري. أنت تفهمين ما أقول، أليس كذلك لوسي؟ ستيفاني لم تفهم ذلك بخلافك، أنت تعلمين ما يغير نظرتك إلى العالم".

استدرت حتى أصبحت في مواجهتك، وقبلتك قبلة خفيفة.

همست "بالطبع أفهم" قبل أن يغلبني النعاس.

لكن لم أفهم تماماً ما عنيت أو كم سيأخذك هذا بعيداً. ولم أفهم أنه سيجلبك إلى هنا، إلى هذه اللحظة. كل ما كنت أفهمه أنني ثملة ومتعبة وبين ذراعيك، بالطريقة نفسها التي تخيلتها مرات كثيرة. كنت سأوافق على أي شيء تقوله لي.

VIII

استقلت من عملك، لكي تصور كل شيء بآلة تصويرك. واستمررنا نلتقـي، ورابطنـا الجسـدي يزداد قوة أكثر كلمـا أمضينا معاً وقتاً أكثر، وجدنا المواساة والأمل والقوة في عناقاتنا. كنا نتجرد من ملابسنا في حمامات المطاعم عندما لا نطيق صبراً ريثما نعود إلى المنزل. دفعنا بعضنا على جدران الأبنية، وكانت الحجارة تحتك بأكتافنا حين تلتقي شـفاهنا. ذهبنا في رحلات إلى الحديقة، مع زجاجات عصير التفاح المملوءة بالنبيذ الأبيض، هناك استلقينا وتنفسنا الهواء العابق برائحة التراب والعشب المجزوز حديثاً وبرائحتنا.

قلتُ: "أريد أن أعرف المزيد عن والدك". بعد بضعة أشــهر من عودتنا للتواصل، سـرت وعيناي مفتوحتان إلى خط الصدع، مجازفةً بحصول زلزال.

أجبتنـي: "ليـس هنالـك الكثير لأقوله". واسـتدرت بحيث أضع رأسـي علـى صـدرك بـدلاً مـن ذراعـك. كان صوتك عذبـاً، ولكنني شعرت بعضلاتك تنقبض. "إنه سافل".

سـألتك: "مـاذا تعنـي بسـافل؟" واسـتدرت كـي أطـوق بطنـك بذراعي، واقتربت أكثر. أشـعر بهذا الشـعور أحياناً، وكأننا لن نكون قريبين كفاية. أردت أن أنسل تحت جلدك وأدخل رأسك، لكي أعرف كل شيء عنك.

قلـت ببـطء وكأنك تختار الكلمات بعناية فائقة: "كان والدي... في الحقيقة لم يكن أحد يستطيع توقع تصرفاته، حين أصبحت كبيراً كفاية تمكنت من حماية أمي".

رفعت رأسي عن صدرك ونظرت إليك. لم أكن متأكدة مما يجب أن أقولـه، أو كـم يمكننـي أن أسـأل. أردت أن أعـرف ما هو تعريفك لعبارة "كبير كفاية". هل كنت بعمر الرابعة؟ العاشرة؟ الثالثة عشرة؟

لم أستطع أن أقول أكثر من: "أوه، غيب". في الحقيقة أنا مدينة لك باعتذار لأنني لم أستطع قول شيء آخر.

ازدردت لعابك وقلت: "التقى بأمي في كلية الفنون. لطالما قالت إنه كان نحاتاً مبدعاً، ولكنني لم أرَ أياً من أعماله". ثم أردفت: "دمرها كلهـا – حتـى آخـر قطعة – بعـد ولادتي تماماً. أراد أن يصمم النصب التذكارية، وينفذ منحوتات كبيرة. ولكن أحداً لم يطلب منه مثل هذه الأعمال. لم يشترِ أحد أعماله".

استدرت ونظرت إليّ: "ما من شك أن الأمر كان صعباً عليه. لا يمكنني تخيل الأمر..." ثم هززت رأسـك، وقلتَ: "استسـلم، حاول أن يديـر معرضـاً فنيـاً. ولكنه لم يكن بتاجـر أو رجل مبيعات. لطالما كان غاضباً ومتقلب المزاج. لم أفهم ما فعل به الاستسلام. ذات يوم فقد السيطرة على نفسه ومزق لوحة أمي بسكين – لوحة عملتْ عليها لأشهر – لأنه قال إنه عليها أن تقضي وقتها وهي ترسم غروب الشمس بـدلاً مـن ذلـك. بكـت وكأن ما طعنه كان جسـدها، وليس فقط فنها. وحينها غادر".

قبضت على يدك بشدة وسألتك: "كم كان عمرك؟".

أجبتني برقة: "تسع سنوات، وقتها اتصلت بالشرطة".

طفولتي كانت مختلفة تماماً عن طفولتك، طفولة ريفية في ضواحي كونكتيكت. لم أكن متأكدة كيف عليّ أن أرد. لو كنا نخوض تلك المحادثة الآن، لكنت أشرت إلى الألم؛ ألمك وألمه. كنت لأقول من الواضح أن والدك مر بوقتٍ عصيب، وأنه كان يحارب شياطينه، وأنني متأسفة لأن شياطينه أصبحت شياطينك. لأنها بالفعل أصبحت كذلك، أليس كذلك؟ عشت كثيراً من حياتك، محاولاً ألا تتحول إليه، حتى انتهى بك الأمر وأنت تحارب شياطينه وشياطينك.

لكن يومها، لم أتمكن من استيعاب ما قلته بالسرعة الكافية، وأردت فقط أن أريحك. تنفست بعمق وقلت: "لقد فعلت الشيء الصحيح".

بدت القسوة في عينيك عندما أجبتني قائلاً: "أعلم، لن أكون يوماً مثله، لن أؤذيك كما فعل. لن أتصرف وكأن أحلامك غير مهمة".

قلت لك: "وأنا أيضاً، لن أتصرف أبداً وكأن أحلامك غير مهمة، غيب". أرحت رأسي مجدداً على صدرك، وقبلتك من فوق قميصك، محاولةً أن أعبر عن عمق تقديري لك وتعاطفي.

مسّدت شعري: "أعلم أنكِ لن تفعلي. وهذا أحد الأشياء الكثيرة التي أحبها فيك".

جلستُ ونظرتُ إليك مجدداً. فقلتَ: "أحبك لوسي".

كانت تلك المرة الأولى التي تقولها لي. المرة الأولى التي يقولها أي رجل لي. أجبتك: "وأنا أحبك".

أتمنى ألا تكون نسيت، فهي ذكرى لن أنساها يوماً.

t.me/ktabpdf مكتبة

IX

بعـد أسـابيع عـدة من تبادلنـا كلمة "أحبك" للمـرة الأولى، كان منزلـي فارغـاً ومـا مـن أحد سـوانا. قررنـا أن نحتفل بذلـك بالتجول في أرجاء المنزل بملابسـنا الداخلية. لقد كان أحد أيام يوليو شـديدة القيظ، وكانت الحرارة في الخارج شديدة الارتفاع ما جعلني أتمنى لو أستطيع البقاء في حوض السباحة طوال اليوم، وبالرغم من أن المكيف كان يعمل بقدرته القصوى، إلا أن المنزل كان شديد الحرارة، وبالنظر إلى اتساع المنزل ربما كان من الأفضل تركيب أكثر من مكيف.

قلتَ: "كان جد كيت وجدتها عبقريين في مجال العقارات" بينما كنا نقلي البيض ونحن شبه عراة. "متى اشتريا هذا المكان؟".

قلـتُ: "لا أملـك أدنـى فكرة" ووضعت بعض الفطائر الإنكليزية في آلة التحميص. "قبل أن يولد والدها. إذن في الأربعينيات؟".

فصفرت.

أعلـم أننـا لـم نذهب إلى هنالك كثيراً، ولكنني أراهن أنك تتذكر ذلـك المنـزل. كان صعبـاً نسـيانه. غرفتا النوم الكبيرتـان والحمامات الكبيرة، ركن الفطور ذاك الذي اسـتخدمناه كمكتبة. والسـقوف التي كانـت بارتفـاع اثنتـي عشـرة قدماً تقريباً. لم أكن أقـدّر تلك التفاصيل حينها، ولكنني كنت أقدر الشـقة. كانت كيت في كلية الحقوق، وقال والدها أنه من الأرخص أن تعيش هنالك بدلاً من أن يدفع إيجار سكن

t.me/ktabpdf

مكتبة

في جامعة نيويورك. كان ذلك مناسباً لي أيضاً.

قلتُ لك: "كنا نزور جدة كيت هنا حين كنا في المدرسة الإعدادية"، بينما كنا جالسين على الأريكة ونضع صحني فطورنا على ركبنا العارية. "كانت محاضرة في متحف ميتروبوليتان قبل أن تمرض. درست تاريخ الفن في جامعة سميث، في الوقت الذي لم تكن معظم النساء تفكر حتى بدخول الجامعة".

قلت بعد رشفة من القهوة: "أتمنى لو التقيتها، كنت ستحبها".

مضغنا بهدوء، كان فخذانا تتلامسان بينما كنا نأكل، وكتفي تحتك بذراعك. كان من المستحيل أن نكون في غرفة سوية دون أن نتلامس.

سألتني بعد أن ابتلعت الطعام: "متى تعود كيت؟".

هززت كتفي. كانت قد التقت توم قبل شهر، وليلة الأمس كانت الليلة الثانية التي تقضيها في منزله. فقلت لك: "علينا على الأغلب أن نرتدي ملابسنا قريباً".

شعرت بك تنظر إلى نهديّ.

وضعت طبقك جانباً، انتهيت من الفطور.

قلتَ: "لا تعلمين ما الذي تفعلينه بي، لوسي" بينما شاهدتني وأنا أضع الشوكة في صحني. "مشاهدتك طوال الصباح دون ملابس. يجعلني أشعر وكأنني في أحد أحلامي الشبقة".

وجدت يدك طريقها إلى حضنك....

لم يسبق لي أن رأيتك تفعل هذا، فأنا لم يسبق لي أن رأيت ما تفعل عندما تكون وحدك، لم أستطع التوقف عن النظر.

"الآن دوركِ" قلت وأنت....

وضعـت صحنـي جانبـاً، واقتربـت منـك مثارة. هززت رأسـك وابتسمت. "لم أعن هذا". رفعت حاجبي عندما فهمت ما كنت تصبو إليـه. مـررت أصابعـي علـى بطني... وفكرت بـك، فكرت بك وأنت تنظر إليّ، فكرت بمشـاركة هذه اللحظة الشـخصية معك. ثم شـعرت بجسدي يرتعش.

همستَ: "لوسي".

فتحـتُ عينـيَ ورأيتـك تسـرّع العملية. بدا الأمـر أكثر حميمية.. نمارس سـويةً هذا الفعل من أجلنا، فعلاً يكون بالعادة سـرياً. بدأت الحـدود التـي فصلـت بيـن "أنـا" و "أنت" بالاضمحـلال أكثر لتصبح "نحن".

X

خلال الأشـهر السـتة الأولى هذه، كنت أتعرف دوماً إلى أشـياء جديدة عنك؛ أشياء كانت مثيرة ومفاجئة وعزيزة بالنسبة إليّ.

مثـل ذلـك اليـوم الذي أتيت فيه إلى منزلـك بعد العمل، وكنت جالسـاً متربعاً على الأرض، مع أكوام من المربعات الورقية حولك، كل منها بحجم الملاحظات الصغيرة.

وضعـت حقيبتـي علـى طاولـة المطبخ وأغلقت البـاب خلفي.

سألت: "ما الذي يحصل؟".

أخبرتني: "إن عيد ميلاد أمي بعد أسـبوعين، التاسـع عشـر من سـبتمبر". ونظرت إلى الأعلى بعيداً عن الأوراق التي كنت تنسـقها. "بمـا أننـي لا أسـتطيع الطيران إلى المنزل هـذا العام، أردت أن أبتكر شيئاً ذا معنى عميق لأرسله إليها".

سألتك وأنا أقترب: "إذن أنت تصنع... فسيفساء ورقية؟".

قلـتَ: "تقريبـاً، جميعهـا صـورٌ لـي ولأمـي". حملـت مربعـات الـورق لترينـي. نظـرت عـن كثب ورأيتك مع أمـك في حفل التخرج مـن المدرسـة الثانويـة. كنتما ترتديان السـراويل القصيرة وتؤرجحان أقدامكما في بركة سباحة. أنت تصنع بيدك أذني أرنب خلف رأسها على شرفتك الأمامية.

قلتُ: "واو".

t.me/ktabpdf

مكتبة

قلـتَ: "أمضيـت معظـم اليوم وأنـا أطبعها، وأقـوم الآن بترتيبها بحسب اللون. أريدها أن تبدو مثل المشكال".

جلست على الأرض بالقرب منك، وقبلتني قبلة سريعة.

سألتك: "لماذا مشكال؟" وحملت صورة لك مع والدتك، كان كلّ منكما يدير ظهره للآخر، وكنت أطول بقليل. كان شـعرك أشـقر مجعداً كما هو الآن. كان من الصعب التفريق بينكما.

أجبتنـي: "كنـت فـي الرابعـة عشـرة من عمري" وأنـت تنظر إلى الصورة من فوق كتفي.

قلـتُ: "كنـت وسـيماً، لـو التقينا في ذلـك الوقت كنت لأعجب بك أيضاً".

ابتسـمت وقبضـت علـى سـاقي رجلي. "مـن دون حتى أن أرى صـورة لـك وأنـت فـي الرابعة عشـرة، أنا متأكد من العكس سـيكون صحيحاً".

كان دوري فـي الابتسـام الآن. وضعـت الصـورة جانبـاً. كررت سؤالي: "ولكن لماذا مشكال؟".

فركت جبينك بيدك، وأبعدت تلافيف شـعرك عن عينيك. قلتَ بهدوء: "لم أخبر أحداً بهذه القصة من قبل".

حملـت بضـع صورٍ أخرى. أنت ووالدتك تنفخان على شـموع عيـد ميلادهـا. والدتـك تمسـك بيـدك بينما كنتما واقفيـن أمام مطعم مكسيكي. قلتُ: "ليس عليك إخباري"، وتساءلت إن كان والدك من التقط صوركما قبل أن تبلغ التاسعة من عمرك، وتساءلـت من التقطها بعد ذلك.

قلـتَ: "أعلـم، ولكـن أريد ذلك". غيرت مكانـك لنصبح وجهاً

لوجـه، ركبنـا متقابلـة. "فـي العام الـذي تلى انفصال والـدي، كنا في ضائقـة ماديـة. كنـت أعود من المدرسـة إلى المنـزل لأجد أمي تبكي أكثـر مـن قيامهـا بالرسـم. ذاك العام كنت متأكداً مـن أننا إذا فعلنا أي شـيء بمناسـبة عيد ميلادي سـيكون ذلك سـيئاً. أخبرتها أنني لا أريد حفلة مع أصدقائي. لـم أرد أن تقلق بشأن تكاليفها".

صُدمـت مجـدداً من قـدر الاختلاف بين طفولتي وطفولتك. لـم يكن هنالك وقتٌ قلقت فيه إن كان والداي يستطيعان تحمل تكاليف حفلة عيد ميلادي.

قلتَ: "ولكن أمي... كان لديها مشكال أحبه كثيراً. كنت أنظر من خلاله لسـاعات، أدير القرص مرة تلو الأخرى حتى النهاية، مشـاهداً الأشكال تتبدل وتتغير، محاولاً التركيز على ذلك بدلاً من حزن أمي، كنت حزيناً للغاية لأنني لم أستطع جعلها سعيدة، وكنت غاضباً كثيراً على أبي".

لـم تستطع النظر إليّ بينما كنت تتكلم؛ كان تركيزك بأكمله منصباً علـى إخـراج الكلمـات. وضعت يـدي على ركبتـك وقبضت عليها. ابتسـمت لي ابتسامة قصيرة. سألتُ: "وبعدها؟".

أخـذت نفسـاً وقلـتَ: "حولت المنزل بأكمله إلى مشـكال، كان ذلك مذهلاً. علقت قطعاً من الزجاج الملون على السـقف وشـغلت المروحة على أبطأ سرعة لكي تدور. كان ذلك مذهلاً".

حاولـت أن أتخيـل الأمـر، منزلاً تحول إلى مشـكال. "اسـتلقينا هنـاك علـى الأرض أنـا وأمي، وحدقنـا إلى الزجاج الملـون. بالرغم من أنني اعتبرت نفسـي طفلاً كبيراً منذ أن أصبحت في العاشـرة من عمري، بما أنني كنت أحاول الاعتناء بأمي قدر ما استطعت، إلا أنني

بدأت بالبكاء. سألتني ما الخطب، أخبرتها أنني لا أعرف لماذا أبكي، وأنني كنت سعيداً. قالت: إنه الفن يا ملاكي. وأعتقد أنها كانت محقة بطريقة ما، كان ذلك بسبب الفن، ولكن من جهة أخرى... لا أعلم".

سألتكَ: "ما الذي لا تعلمه؟" كنت أرسم دوائر على ركبتك بإبهامي دون أن أنتبه.

"تساءلت إن كان ذلك بسبب الراحة. إن كنت أبكي لأن أمي بدأت تتصرف مجدداً على سجيتها. كانت تعتني بي. وبالرغم من أنها كانت في مكانٍ مظلم وبائس، إلا أنها كانت قادرة على خلق الجمال. أتساءل إن كان هذا الفن قد أثبت لي أنها ستكون على ما يرام. وأننا سنكون على ما يرام".

وضعت يدك على ركبتي الآن. قلتُ: "كانت قوية. وأحبتك".

ابتسمتَ، وكأنك كنت قادراً على الإحساس بحبها في تلك اللحظة، في تلك الغرفة. ثم تابعت الكلام. "كنا مستلقيين هناك، وكنا نبكي، ولم أستطع سوى التفكير بأبي. كيف سيكون الأمر لو كان هناك، لم نكن لنفعل هذا. العيش معه... كما قلت لك، أمرٌ غير متوقع. كان الأمر مثلما تخيلت الحياة في لندن أثناء الحرب العالمية الثانية، حيث يعلم المرء أن صفارات الإنذار ستنطلق محذرة من الغارات الجوية وستقع القنابل في مرحلة ما، ولكن لا يعرف على الإطلاق أين أو متى ستقع. همست لأمي حينها إننا في حال أفضل من دونه، وقالت: أعلم. كنت فقط بعمر العاشرة حينها، ولكني شعرت وكأنني بالغ عندما قلت ذلك".

امتلأت عيناي بالدموع حين انتهيت من الكلام. كنت أتخيلك وأنت طفل بعمر العاشرة مستلقياً على الأرض مع أمك، وتفكر

مكتبة t.me/ktabpdf

بأبيك، وتشعر كالبالغين، وتشعر بالحب، محاطاً بالفن الذي صنعته من أجلك.

قلتَ: "لذا أردت أن أصنع شيئاً مميزاً لها بمناسبة عيد ميلادها، بما أنني لن أكون هنالك. شيئاً ذا قيمة، شيئاً سيظهر لها كم أحبها، مهما كنت بعيداً. وهذه الفسيفساء، خطرت لي الفكرة هذا الصباح".

نقلت نظري بين الصور الصغيرة. قلتُ: "أعتقد أنها مثالية".

شعرت أن الغرفة مليئة بالعواطف، من كل شيء أخبرتني به، من حقيقة أنك شاركتني ذلك، وأريتني الجزء الهش منك. انحنيت كي أعانقك ولكن الأمر تحول إلى قبلة. التقت شفاهنا ولم تفترق سريعاً.

قلت برقة: "شكراً لأنك أخبرتني".

قبلتني مرة أخرى. "شكراً لأنك شخصٌ أريد إخباره".

لاحقاً تلك الليلة، بدأت بتجميع المشكال. بدوت سعيداً كثيراً تلك اللحظة، راضياً للغاية، لدرجة أني وضعت حاسوبي جانباً وحملت آلة التصوير خاصتك بهدوء. هذه هي الصورة الوحيدة التي التقطتها لك. أتساءل اليوم إن كنت تحتفظ بها.

XI

بالرغـم مـن مقـدار ارتياحنا ونحن وحيدان سـويةً، وبالرغم من أن علاقتنا كانت حميمية للغاية، إلا أن الأمر استغرق فترة من الزمن كي أعتاد على الذهاب إلى الحفلات معك. شـعرت دائماً أنني أقف في ظلك. كان الأمر أشبه بامتلاكك قدرة سحرية تجذب انتباه الناس إليـك؛ وجهـك، كلماتـك، قصصك. عالمنـا المكون من اثنين أصبح عالمك لوحدك، ثم توسع ليصبح عالم كثيرين لم أكن فيه مهمة كما كنت من قبل. في منتصف القصة كنت أنسـحب لأجلب مشـروباً أو أجد أحداً آخر للتحدث معه.

كلمـا نظـرت إليك أجدك مسـيطراً علـى الحديث. كنت تجدني في النهاية حين تكون ثملاً ومستنزفاً؛ وكأن السحر الذي كنت تؤديه كان يستنزف كل طاقتك. حين نكون سوية وبمفردنا، تسترجع قواك، ثم نخرج مجدداً ونختلط مع الناس. في تلك اللحظات، كنت أشعر أنني محظوظة لأنك اخترتني لتسترجع قواك معي.

ملخص غيب في حفلة في الليلة التي ذهبنا فيها إلى حفلة عيد ميلاد جيديون في شـقة والديه في بارك أفينيو. كان هنالك مكتبة في البيـت لـم يجـدر بنـا دخولها، على الأقـل دون مشـروباتٍ في يدينا. توازننـا كان مختـلاً بعـد تناولنـا كثيراً من الكوكتيـلات، كان جيديون قلقـاً مـن أن نفسـد النسـخة الأولى من هيمنغـوي أو كتاب نابوكوف

الموقع. وبالأخذ بالاعتبار كيف كان الناس يشربون في الحفلة، لم يكن مخطئاً على الأغلب.

كنت أتكلم مع حبيبة جيديون التي كانت تعمل في الإعلام. كانت تعمل في الإعلان، وكنت مهتمةً بمعرفة الحياة التي كنت آمل في يومٍ من الأيام أن أعيشها. كنا نتناقش بخصوص طرق رواية القصص حين أدرت رأسي إلى الجانب لكي أتفقدك، ولم تكن هنالك. افترضت أنك ذهبت إلى الحمام أو لإعادة ملء كأسك، ثم مرت خمس دقائق، عشر دقائق، عشرون دقيقة ولم تعد.

قلت لها: "أعتذر كثيراً"، حين أصبحت مشتتة التفكير كثيراً ولم أعد أستطيع المشاركة في المحادثة بعدها. "ولكن يبدو أنني أضعت حبيبي".

ضحكتْ: "أتوقع أن هذا يحصل كثيراً معه". لم أضحك معها. سألتها: "لماذا قلت ذلك؟".

هزت كتفيها بطريقة الاعتذار وأدركت أنها قالت الشيء الخاطئ. "أوه، عنيت فقط أنه ساحر. أعتقد أن الناس يحبون التحدث معه".

قلتُ: "حسناً لا أستطيع التحدث نيابةً عن الجميع، ولكني أحب ذلك بالتأكيد". لكنها كانت محقة؛ كان ذلك سحرك. أحب الجميع التحدث معك. كنت تجعلهم يشعرون بقيمتهم، وأن أحداً ينصت إليهم. لطالما اعتقدت أن هذا جزء من السبب وراء قبول الناس الذين لا يسمحون لأحد بالتقاط صورهم بأن تصورهم أنت. كنت تشعرهم بالأهمية. كنت تشعرني بالأهمية.

تجولت في أرجاء الشقة ولم أستطع إيجادك في أي مكان، حتى سمعت صوتك صادراً من المكتبة المحرمة. مددت رأسي وكنت

تتحدث مـع امـرأة لا أعرفها. كانت صهباء مجعدة الشـعر مثل عرف أسد حول وجهٍ رقيق شبيه بالقطط. انقبضت معدتي حين رأيتك متكئاً على خزانة الكتب، منغمساً بما كانت تخبرك إياه.

قلتُ: "ها أنت ذا!".

نظـرت إلـى الأعلـى، ولـم يكن هنالك ذنب فـي تعابير وجهك. ابتسـامة فقـط، وكأنـك كنـت تتوقـع مني الانضمـام إليكمـا، ولكني تأخرت على الموعد.

قلتَ: "أنا؟ ها أنتِ ذا! كانت ريتشـل تخبرني عن المطعم الذي تعمل فيه. قالت إنها تسـتطيع أن تدبر لنا صفقة، حسـماً على لائحة الوجبات المتعددة".

نظـرت إلـى ريتشـل، وكان مـن الواضـح أنها أقل سـروراً منك لرؤيتـي. كانـت قـد وقعـت تحت تأثير سـحرك. قلتُ: "سـيكون هذا لطيفاً".

ابتسـمت ريتشـل ابتسـامة متزمتة. قالت لك: "سررت بمعرفتك غيب". ثم حملت كأسها الفارغة. "سأعود إلى المشرب كي أعيد ملء كأسي. ولكن لديك رقمي... من أجل الحجوزات".

قلتَ لها: "شكراً مجدداً"، موجهاً ابتسامتك باتجاهها بدلاً مني. ثم غادرت الغرفة.

لـم أعرف تماماً ما أقول. لـم أعثر عليك تفعل شيئاً سوى التحدث مـع أحـد مـا حـول حسـومات المطاعم. ولكن لما كنـت في المكتبة معها؟ لـمَ لـم تحاول العثور عليّ؟

قلتُ بصوت رقيق: "ما الذي تفعله هنا؟".

عبرت الغرفة، وأغلقت الباب مع ابتسامة عريضة على وجهك.

قلـتَ: "كنـت أبحـث عن مكان ما لنفعل هذا". ثم أمسـكت بمعصمي ورفعتهما فوق رأسي وأملتني على خزانة الكتب وقبلتني بقوة. قلت لي: "سأمارس الحب معك في هذه المكتبة، بينما تقام الحفلة بأكملها في الخارج. ولن أقفل الباب".

قلت: "ولكن... ".

قبلتني مجدداً، وتوقفت احتجاجاتي. لم أعد مهتمة برؤيتك في المكتبة مع ريتشل بعدها. كل ما كان يهمني هو ....

لـم أكـن لأقبـل ذلـك الآن، ولـم يكـن علـيّ فعل ذلـك حينها. استرضيتني بقبلـة ومحـوت قلقي بنشـوة. كان يجـب أن أطلب منك تفسـيراً ما. كان يجب عليّ مسـاءلتك بسـبب مغازلة واحدة أخرى، ولأنك لم تبحث عني. ولكنك كنت مثل المُخدر. حين أكون منتشية تحت تأثيرك لا شيء آخر مهم.

قلت "هشش" بينما كنت ترفع تنورتي. لم أدرك حتى أني كنت أصدر صوتاً.

عضضت شفتي بقوة كبيرة لأمنع نفسي من الصراخ نشوة ما أدى لتلطخ فمينا بالدماء بعد أن قبلتك.

أحببتـك كثيـراً – ولـم أشـك بحبـك لي – ولكنني لـم أنسَ أمر ستيفاني، وأعتقد أنه في أعماقي كنت قلقة من حصول الأمر مجدداً، وأنك ستتركني بسبب فتاةٍ مثلها أو مثل ريتشل أو مليون امرأة أخرى قد تلتقي بها في قطار الأنفاق أو في ستارباكس أو في البقالة. لم تكن علاقتنا متوازنة دوماً. كنا في العادة متساويين، كنا في العادة متعادلين، ولكن كل فترة كنت أجد نفسـي في القاع، محاولةً النهوض مجدداً، خائفـةً مـن أن تفـرّ لتكون مع أحـد آخر، وكنت أصبح عالقة دون أي

فرصــة فــي تحقيـق التوازن. ولكن حتى لو قلت شـيئاً في المكتبة، لا أعتقد أن ذلك كان سيغير أي شيء.

لأنه لم يجدر بي الخوف من امرأة أخرى.

XII

لـم تظهـر تلـك المخـاوف كثيـراً، لان علاقتنا كانـت أقوى من ذلك بكثير، كنا مناسبين أحدنا للآخر بشكلٍ مثالي. واهتممنا كل منا بشغف الآخر، وبالوظائف التي حلمنا بالحصول عليها في المستقبل. شـاهدتَ كل حلقة من إت تيكس إيه غالاكسـي، البرنامج التلفزيوني الذي كنت أعمل عليه حينها، وشرحت لي أفكارك حول الكيفية التي تمثل فيها المخلوقات الفضائية المختلفة أوضاعاً اجتماعية للأطفال. بدوت مهتماً كثيراً بذلك لدرجة أنني بدأت أسألك عن أفكارك حتى قبل أن يتم إنتاج الحلقات.

لم يكن لدي أي سلطة حقيقية حينها. ولكن سنحت لي الفرصة كـي أراجـع السـيناريوهات والقصص المصورة وإيصـال النتائج إلى رئيسـي. تحملت تلك المسـؤولية بجدية أكبر من اللازم. حين كنت أجلب السيناريوهات إلى المنزل معي كنت تمثلها معي لكي نتحدث حولهـا سـويةً. طلبـت دومـاً أن تؤدي دور غالاكتـو، الرجل الأخضر الصغير الذي يبدو تقريباً مثل ضفدع، كانت الشخصية المفضلة لدى إلكترا، التي كانت ذات لون بنفسـجي غامق وتملك هوائياً براقاً. بدا ذلك مناسـباً، وكانت قراءة سـيناريو إت تيكس إيه غالاكسـي، بشكل ما هي التي ساعدتك على إخباري بأحلامك.

البرنامـج مصمـم لمسـاعدة الأطفـال علـى إيصال مشـاعرهم،

t.me/ktabpdf مكتبة

ولكنـي أعتقـد أنـه كان يؤثـر على البالغين أيضاً. أذكر الحلقة التي كنا نعمل عليها حين جرت محادثتنا. كانت بداية شـهر نوفمبر، وكنا قد اجتزنا ثلث الموسم الجديد.كيدأ

يجلس غالاكتو في باحته الأمامية ورأسه بين يديه. تدخل إلكترا.

إلكترا: ما الخطب؟

غالاكتو: يريد أبي أن ألعب في فريق لعبة السـتاربول، وأنا أكره الستاربول!

إلكترا: هل يعلم ذلك؟

غالاكتو: أنا خائفٌ من إخباره. أنا أخشـى ألا يرغب بأن يكون والدي بعد الآن لأنني لا أحب الستاربول كما يحبه.

إلكتـرا: أبـي يحـب السـتاربول ولكني لا أحبه، لذا نعمل أشـياء أخرى سـويةً. ربما عليك أن تضع قائمة بالأشـياء التي تحبانها أنت ووالدك.

غالاكتو: هل تعتقدين أن هذا سيحل القضية؟ ولن أضطر للعب الستاربول بعدها؟

إلكترا: أعتقد أن الأمر يستحق المحاولة.

غالاكتو: وأنا أيضاً!

سألتك حين انتهينا من القراءة: "ألا تعتقد أنه ربما يجب أن تحب إلكترا لعبة الستاربول وأن يكرهها والدها؟ أنت تعلم، لقلب الصورة النمطيـة قليـلاً؟ ربمـا علـيّ أن أقترح هذا". قلتَ: "أعتقد أن هذه فكرة رائعة" ونظرت إليّ لوقتٍ أطول من المعتاد. شعرت في تلك اللحظة أنك لم تحب فكرتي فحسب، بل كل جانب مما كنت عليه.

وضعـت بعـض الملاحظـات على السـيناريو، ثم أعـدت قراءة

t.me/ktabpdf مكتبة

المشهد بصمت. "هل تعتقد أن إلكترا يجب أن تذكر بعض الأشياء التي تحب القيام بها مع والدها؟ هل سيقوي ذلك الحوار؟".

لم تجب هذه المرة على أسئلتي، فاستدرت لأنظر إليك. كنت مركزاً على حمامة تهدل على مخرج طوارئ الحريق. قلتَ: "أنا أخشى التحول إليه".

وضعت السيناريو جانباً وتساءلت بسخافة "تتحول إلى من؟". وكانت الحمامة أول ما خطر في بالي.

فركت يدك على ذقنك النابتة قليلاً. "والدي. أنني سأملك كل هذه الأحلام ولن أحقق أياً منها. إن ذلك سيغضبني ويجرحني ويكسرني من الداخل، وسأؤذي كل من حولي".

سألتك: "أي أحلام؟ أحلام جديدة؟".

"هل تعلمين من هو ستيف ماكوري؟".

هززت رأسي، رفعتَ حاسوبي المحمول عن الأرض وفتحتَ محركاً للبحث ثم أدرتَ الشاشة لأراها. رأيت غلافاً لمجلة ناشيونال جيوغرافيك عليه صوة فتاة، تضع وشاحاً على رأسها وتملك عينين خضراوين ساحرتين. بدت تعابيرها مسكونة، كأنها مطاردة.

قلتَ: "هذه إحدى صوره. كنا نلقي نظرة على عمله اليوم في درس التصوير، وشعرت بذلك. في قلبي، في روحي، في المكان الذي تشعرين فيه بأعمق المشاعر. هذا ما أريد فعله. هذا ما عليّ فعله".

كانت هنالك نارٌ متقدة في عينيك لم أرها من قبل.

تابعتَ قائلاً: "أدركت أنه إن أردت صنع فرق، صنع فرق حقيقي، كما تحاولين فعله في هذا البرنامج، سأضطر لمغادرة نيويورك. أستطيع القيام بالمزيد أنا وآلة تصويري في مكان آخر".

رددتُ: "تغادر؟" من بين كل ما قلت، كانت تلك الكلمة الوحيدة التي علقت في ذهني، تضيء مثل نيون لوحة غرفة الطوارئ. "ماذا تعني؟ ماذا عنا؟".

خلا وجهك من التعابير للحظة، وأدركت أن ردي لم يكن ما توقعت. ولكن كن واقعياً، ما الذي توقعته؟

قلتَ بصوتٍ متضرع: "أنا... أنا لم أفكر بنا... إنه حلمي، لوسي. أدركت ما هو حلمي الحقيقي. ألست سعيدة لأجلي؟".

سألتك: "كيف سأكون سعيدة بحلم لست جزءاً منه؟".

تذكرتُ ما أخبرتني إياه قبل بضعة أشهر في الحديقة، عن والديك. حاولت أن أطفئ لوحة النيون تلك وأن أتجاهل كلمة مغادرة وما ستفعله بعالمي، وأن أتجاهل الأسئلة التي تركتها دون إجابة. رددتُ: "أدركت حلمك. حلمك لا يمكن الاستغناء عنه".

كنت أستطيع رؤية الدموع وهي تتجمع على رموشك. "أريد أن أجعل جميع من هم هنا يفهمون أن الناس حول العالم يملكون نفس الأحلام، أننا لسنا مختلفين كثيراً. إن استطعت فعل ذلك، إن استطعت أن أخلق جسراً..." هززت رأسك؛ لم تستطع إيجاد الكلمات. "ولكن عليّ أن ألتقط المزيد من الصور، وأن آخذ المزيد من الدروس؛ عليّ أنِ أكون الأفضل قبل أن أغادر".

إذاً كان هنالك وقت. كنا نملك الوقت. وربما سيكون الأمر كما هو بالنسبة إليك وإلى أمك؛ يمكنك أن تحبني عن بعد، ثم تعود حين تنهي المهمة. لم يبدُ ذلك رهيباً. يمكن أن ينجح الأمر.

أمسكت يدك بكلتا يديّ. قلتُ: "ستكون ما تريد. إن كان هذا ما ترغب فيه، ستكون ما تريد".

t.me/ktabpdf مكتبة

تعانقنا على الأريكة بعد ذلك، تائهين في أفكارنا الخاصة.

سألتُك: "هل يمكنني إخبارك شيئاً ما؟" شعرت بك تومئ برأسك.

"أنا أخشى أن أتحول إلى نسخة عن أمي يوماً ما".

استدرتَ لتصبح مقابلي. "ولكنك تحبين أمك".

كنتَ محقاً. أحببتها وما زلت أحبها. سألتك: "هل كنت تعرف أنها التقت والدي في كلية الحقوق؟ هل ذكرت هذا من قبل؟".

هززتَ رأسك نافياً، وسألتني: "أهي محامية؟"

قلتُ: "كانت كذلك" ووضعت رأسي تحت ذقنك. "كانت تعمل لصالح محامي دائرة مانهاتن قبل أن نولد أنا وجيسون. ثم أنجبت جاي واستقالت. وكانت بقية حياتها محددة من قبل علاقتها مع الأناس الآخرين؛ إنها زوجة دون أو والدة جيسون ولوسي. يحصل هذا للعديد من النساء. لا أريد أن يحصل ذلك لي".

نظرت إلى عينيّ: "ليس من الضروري أن يحصل ذلك لك لوسي. أنت شغوفة، أنت تعلمين ما تريدين وتعملين أكثر من أي أحد آخر". ثم قبلتني.

قبلتك، ولكني كنت أفكر في داخلي أن أمي كانت على الأغلب كل ذلك أيضاً، ولم يكن ذلك مهماً. فقدت نفسها على أية حال. أتساءل إن كانت تريد ذلك.

XIII

نتخذ أحياناً قرارات تبدو صحيحة في وقتها، ولكن لاحقاً، ندرك أنها كانت خاطئة بالنظر إلى الماضي. بعض القرارات تبقى صحيحة حتى بعد الإدراك المتأخر. بالرغم من أن الجميع قالوا لي إنها خاطئة، وبالرغم من أنني أعلم ما حصل لاحقاً، إلا أنني ما زلت مسرورة لأنني انتقلت للعيش معك في ذلك اليوم المثلج في يناير.

قالت كيت: "أخبرك أنه مغادر"، بينما كنا جالستين على الكراسي المنجدة أكثر من اللازم في ركن تناول الفطور، وكوبا القهوة على الطاولة أمامنا.

جادلتها: "ولكن ليس هنالك موعد محدد، إنه لا يملك عملاً بعد. سيستغرق الأمر وقتاً طويلاً حتى يجد عملاً. وحتى لو وجده، من يعلم كم سيدوم ذلك؟ قد يذهب لفترة قصيرة ثم يعود".

رمقتني كيت بنظرة أتخيلها وهي تستخدمها الآن على زملائها في شركة المحاماة الخاصة بها. تلك النظرة التي تقول: هل أنت تستمعين لما تقولينه؟ هل تتوقعين من أحد أن يصدق ذلك؟

قلتُ لها: "حتى لو حصل على عمل الشهر القادم، حتى لو غاب لأعوام، أريد أن أقضي معه ما استطعت من الوقت قبل أن يذهب. أعني، قد ينتهي العالم غداً. أو قد تصدمني شاحنة وأموت بعد أسبوع. أريد أن أعيش في الحاضر".

t.me/ktabpdf مكتبة

قالت كيت: "يا لو...". مررت أصابعها على العقد الفضي المزين بالخرز من ماركة تيفاني والذي أهداها إياه توم. أصبحت تتزيّن به كل يوم. "المشكلة في عيش الحاضر أنك لا تضعين مخططات للمستقبل. واحتمال أن العالم سينتهي غداً أو أن تصدمك شاحنة غير مرجح. ولكن احتمال أن يجد غيب عملاً كمصور صحفي خارج البلاد وأن يفطر قلبك خلال ذلك مرجح للغاية. أنا فقط أحاول أن أساعدك كي تستوعبي المخاطر. الخطر أقل إن بقيتِ مكانك".

كان الأمر مضجراً أن أدافع عن خياري أمام الجميع. خضت محادثة مشابهة مع أمي في الليلة السابقة. ومع شقيقي جيسون قبل بضعة أيام. كانت أليكسز موافقة على قراري ولكن حتى أنا كنت أعلم أن حكمها كان مشكوكاً به من بين أصدقائي جميعهم. لم أعد أعرف رقم الرجال الذين أقامت علاقة معهم بسبب شعارها في الحياة "لمَ لا".

قلتُ: "كل ما في الأمر يا كيت، هو أنني قد علقت، إن عشت مع غيب أو لم أفعل. لذا لما لا أستمتع بوقتي بينما هو موجود".

سكتتْ للحظة، ثم مالتْ نحوي وعانقتني. قالت: "أوه يا لو، أحبك مهما حصل، ولكن... حاولي أن تجدي طريقة لتحمي قلبك. لدي حدسٌ سيئ بشأن هذا الأمر".

كانت كيت بالطبع محقة. ولكن في تلك المرحلة، لم يكن هنالك أي شيء يمكنني فعله لأغير مساراتنا؛ مسارك، مساري، مسارنا. بقيت وفية لقراري. حتى الآن، أنا وفية لقراري ذاك. لم أشعر من قبل أنني على قيد الحياة كما فعلت في تلك الأشهر الخمسة التي عشنا فيها سويةً. غيرتَ حياتي يا غيب. أنا مسرورة لأننا اتخذنا ذاك القرار. الإرادة الحرة، بالرغم من قدرنا المكتوب.

XIV

بعـد أن انتقلنا للعيش سـويةً بقليـل، التحقتَ بدروسٍ للتصوير، كانـت مهمتـك فيها التقاط صور لمشـاعر أو مفاهيم مختلفة. اسـتمر "التقاط الجمال" لأسبوع - تفوقت في ذلك، دون مشاكل - ثم "التقاط الحزن". كان كل من السـعادة والخراب وإعادة الولادة موجوداً دون شـك. لا أتذكـر الترتيـب، ولكنـي أذكر أنك كنت تجـول في مانهاتن حامـلاً آلـة التصوير، مغطى بوشـاحك وقبعتك. كنت أرافقك أحياناً، مغلقةً سـحاب معطفي حتى الذقن واضعة غطاء الأذنين الذي يمنح أكبـر قـدر مـن الـدفء. انتهى الأمـر بكثير من واجباتك الدراسـية أن كانت عبارة عن صور لي، مثل تلك التي التقطتها وأنا نائمة، شـعري داكن ومتناثر على غطاء الوسادة. كانت من أجل التعبير عن السكينة على ما أظن. ما زلت أملك تلك الصورة، وضعتها في إطار وغلفتها بالورق البني ووضعتها في صندوق تحت سريري. لم أستطع أن أدفع نفسـي للتخلـص منهـا حيـن انتقلت للعيش مـع دارن. ولا حتى حين تزوجتـه. ربمـا علـيّ أن أفتحهـا الآن، وأن أعلقها فـي مكتبي وأخيراً. هل سيعجبك ذلك؟

كانت المهمة التي كُلفت بها ذاك اليوم التقاط صور للألم.

قلـت صبـاح يـوم السـبت ذاك: "أعلـم إلى أين علـيّ الذهاب"، تأكدت أن آلة تصويرك مشحونة. "غراوند زيرو".

t.me/ktabpdf مكتبة

هـزت رأسـي وأنـا أتناول آخر قضمـة من الوافل على صحني. أرسـلت لـك أمـك آلة لصنـع الوافل، هل تذكر ذلك؟ اشـترتها حين وجدتهـا علـى رف التنزيـلات، وقطعنـا على أنفسـنا ذلـك العهد بأن نستخدمها كلما استطعنا. هل لا تزال تملكها؟ هل احتفظت بتذكارات كما فعلت أنا؟ أشـياء تذكرك بحياتنا سـويةً؟ أو نسـيتنا بين سفرياتك، ورميـت الذكريـات مـع علب الكبريت وأكواب القهوة؟ لا أزال أفكر بآلة صنع الوافل تلك. كانت آلة جيدة لصنع الوافل.

قلتُ: "يمكنك الذهاب، أنا لن أذهب". قلتَ: "إنه من أجل الألم، من أجل واجباتي الدراسية".

هززت رأسي مجدداً، وأنا أقشط ما تبقى من السيروب عن طبقي بالشوكة. قلت لك: "إنها واجباتك الدراسية وليست واجباتي".

قلتَ: "إنني لا أفهم، لمَ لا تريدين الذهاب؟".

هززت كتفي. "أنا فقط... لست بحاجة لرؤية ذلك".

"ولكـن عليـك رؤيته! علينا أن نتذكرالنـاس الذين ماتوا والناس الذين تركوهم، والأسباب الكامنة وراء ما حصل. كل ذلك، لا يجب أن ننسى".

قلتُ: "لست مضطرة لرؤية البقايا كي أتذكر. ذاك اليوم جزءٌ مني، وسيبقى كذلك إلى الأبد".

قلـتَ: "عليـك إذاً أن تقدمـي احترامـك، كمـا هـي الحـال عنـد زيارتك للقبور".

وضعتُ شوكتي جانباً: "هل تعتقد حقاً أن الطريقة الوحيدة لتقدم احترامك لشيءٍ ما – أو شخصٍ ما – هي زيارة مكان حصول الحدث؟ أو المكان الذي دُفن فيه؟ لا أعتقد أنك تقصد ذلك".

t.me/ktabpdf مكتبة

كنت مستاءً الآن، ولكن حاولتَ ألا تظهر ذلك. قلتَ: "لا، لا أقصد ذلك. ولكن... أشعر فقط أننا لا نقوم بما فيه الكفاية. لنتذكر، لنتفهم".

عضضت شفتك وقلت: "نحن؟".

أجبتك: "الجميع".

كانت يداك منقبضتين، وإبهاماك ملتفين حول الأصابع. "كيف يمكن للناس أن يتابعوا حياتهم بشكلٍ طبيعي بينما أمريكا تخوض حرباً مع العراق؟ حين تقع القنابل على الفنادق في إندونيسيا؟ بعد أن كانوا هنا في نيويورك ورأوا ما حصل؟ كيف لا يشعرون مثلما أشعر؟ لمَ لا يريدون القيام بالمزيد؟" حشرج صوتك في آخر كلمة، ولاحظت أنك كنت تحاول كثيراً أن تسيطر على مشاعرك.

لكنك كنت محقاً. لم يشعر معظم الناس كما شعرت. لم أفعل. ليس طوال الوقت على الأقل، ليس كل دقيقة. لم يهيمن ذلك على تفكيري أو قلبي كما كان الأمر معك. "ربما لا يريدون أن يرغموا أنفسهم على الشعور بالألم ليدركوا أنه موجود. فقط لأنهم لا يفعلون ذلك كما تفعل أنت لا يعني أنهم لا يفعلون شيئاً. وعدم رغبتي بالذهاب إلى غراوند زيرو لا يعني أنني لست مهتمة".

لم أنتظر ردك. مشيت نحو المطبخ، أخذت معي الطبقين اللذين كانا دبقين بالسيروب. كان الطبقان ملكك والشوكتان ملكي، لقد كانت أشياء المطبخ عبارة عن فوضى اجتمعت فيها أشيائي مع أشيائك.

فتحت الصنبور وبدأت بغسل الأطباق، لم أستطع إيقاف الدموع عن الانهمار على وجنتي. علمت حينها، علمت يقينياً، أنك ستتركني

يوماً ما قريباً. حلمك الذي كنت تحلم به لم يكن مجرد حلم ليومٍ ما، كان حلماً للحظة الراهنة. لن تكون سعيداً أبداً في نيويورك. لن تكون سعيداً أبداً معي فقط. احتجت لمواجهة خيبة أملك في العالم، لتعمل عبرها، إن كنت ستبقى على ما يرام. حتى وقتها، فهمت ذلك، ولكن أملت فقط أن تعود.

دخلت بهدوء جداً لدرجة أنني لم ألحظ ذلك قبل أن أسمع صوت آلة التصوير. نظرت إلى الأعلى والتقطت صورتي وعيناي مملوءتان بالدموع، في اللحظة التي كانت تنهمر فيها دمعة على خدي. قلتُ: "غيب!" ومسحت عينيّ بساعدي. لم أصدق أنك التقطت صورتي حينها، أنك حولت جدالنا إلى فن.

قلت: "أعرف"، ووضعت آلة التصوير على المنضدة. قبلت رأسي من الأعلى، ثم جفوني، ثم أنفي، وفي النهاية شفتيّ. "أنا آسف، وأعلم أنك تهتمين. أحبك، لوسي".

تركت الأطباق وطوقت ياقة قميصك بيديّ. "أنت أيضاً غيب، أنا أحبك أيضاً".

ذهبت ذاك اليوم إلى غراوند زيرو من دوني والتقطت عشرات الصور. لأنني أعلم كم عنى الأمر بالنسبة إليك، وافقت على إلقاء نظرة عليها ومساعدتك في انتقاء الصورة الأفضل، مع أنني اعتقدت أنني أستطيع شم رائحة الهواء اللاذع والمتفحم الذي انتشر في المدينة يوم 11 سبتمبر. ولكن في النهاية، لم تختر أياً من الصور. الصورة التي سلمتها كانت صورتي، وأنا أغسل الأطباق والدموع في عيني. لم أحب تلك الصورة.

كيف ستشعر لو التقطت لك صورة الآن؟

t.me/ktabpdf مكتبة

XV

بعـد تلـك القصـة عنك وعن والدتك وعن مشـكال عيد ميلاك، فهمـت رغبتـك باللفتـات الكبيـرة، وبالاحتفـال المـدروس والصادر مـن القلـب. ذاك العـام ذهبنـا في جولـة على متن المروحية بمناسـبة عيـد ميـلادك فـي نهاية فبراير، ثـم تناولنا وجبة الذواقـة تلك المؤلفة من عشـرين طبقاً في ذلك المطعم بالقرب من بارم. لا أذكر الاسـم الآن، ولكنك تعلم المكان. بعد تذوق أحد عشر طبقاً كنت قد شبعت كثيراً لدرجة أنك تذوقت طبقين من أطباقي – لذا في النهاية تذوقت أنت اثنين وعشـرين طبقاً وتذوقت أنا ثمانية عشـر طبقاً، وكان ذلك كثيراً بالنسـبة إليّ، شـعرت وكأني أفعى التهمت تمسـاحاً حتى عطلة نهايـة الأسـبوع، ولكنك كنت سـعيداً. قلت إننـا احتفلنا بعيد ميلادك علـى أكمـل وجـه. تحديـداً بعـد أن لاطفتك في رحلة سـيارة الأجرة إلى المنزل.

فـي اليـوم السـابق لعيد ميلادي أرسـلت لي زهـوراً إلى العمل؛ دزينـة مـن الزنابـق المحدقـة إلى النجوم. ما زلت أملـك البطاقة التي أرفقت بها، مخبأة بعيداً مع الصورة المغلفة التي تعبّر عن السـكينة. زنابـق محدقـة إلـى النجـوم لفتاتـي مملـوءة بنور النجـوم. عيد ميلاد سعيد. سنوية سعيدة. أنتظر الليلة بفارغ الصبر. أحبك. غيب.

حين وصلت إلى المنزل كان هنالك صندوق كبير على السرير.

t.me/ktabpdf

مكتبة

قلتَ: "افتحيه" مع ابتسامة عريضة على وجهك.

في الداخل كان هنالك ملابس من متجري المفضل حينها – BCBG – المتجر الذي كنت أتسوق فيه فقط حين كانوا يقيمون تنزيلات السبعين بالمئة. كانت القطعة العلوية من دون كمين مصنوعة من الحرير باللون الفيروزي مع فتحة بشكل V كبيرة في المقدمة وفي الخلف. وكانت التنورة قصيرة وضيقة وسوداء اللون.

قلتَ: "ظننت أن هذه ستبدو رائعة عليك، إنها مناسبة لحضور أبولو في دار الباليه، ثم فكرت... يمكننا العودة إلى بار فيسز آند نيمز. ستبدين الفتاة الأكثر إثارة في المكان".

عانقتك عناق شكر. كانت هديتك مدروسة للغاية، مصممة لي فقط. تخيلتك وأنت تتصفح نايت آوت نيويورك لتجد المناسبة المثالية، وعندما دخلت متجر BCBG، وشعرت وكأنك في مكان غريب قليلاً، تلمس الحرير والساتان وتتخيله على جسدي. وتختار لوناً سيجعلني أتألق.

قلتُ: "أنا محظوظة للغاية، أنا حقاً الفتاة الأكثر حظاً في العالم لأنني معك".

قلتَ: "أعتقد أنك فهمت الأمر بالعكس. أنا المحظوظ. أتمنى لو كان بوسعي أن أفعل المزيد لأُعبر لك كم هو رائع وجودي هنا في هذه اللحظة معك".

قلتُ: "حسناً" وأمسكت بحزامك ودفعتك نحوي. "قد أستطيع تخيل بعض الأشياء التي يمكنك فعلها".

لم نصل إلى السرير حتى ذاك اليوم. والإثبات على ذلك حروق السجادة.

كنا مستلقيين أحدنا قرب الآخر، وملابسنا مرمية على الأرض، قلتَ: "هل تخيلت يوماً أن يكون حبك لشخصٍ يبعث فيك هذا الإحساس؟".

اقتربت منك وعانقتك. لففت ذراعك بقوة حول كتفي. قلتُ: "ولا حتى في أكثر أحلامي جموحاً".

"أنت نجمتي يا لوسي، شمسي. نورك، وجاذبيتك... لا أعلم كيف أعبر عما تعنينه بالنسبة إليّ".

قلتُ: "إننا أشبه بالنجم الثنائي" ومررت أصابعي ببطء على فخذك. لم أستطع أن أبعد يدي عنك. فقدت السيطرة على نفسي. "إننا ندور أحدنا حول الآخر".

قلتَ: "يا إلهي يا لوسي، إن فكرك جميلٌ كجمال جسدك". أسندت رأسك على يدك وواجهتني. سألتني: "هل تؤمنين بالكارما؟".

جاوبت بسؤال آخر: "هل تقصد الكارما الهندية؟ أم تعني مثلاً أنني إن سرقت سيارة أجرة لشخص ما، سألعن وأعاني من الأمر نفسه؟".

ابتسمت. "هنالك كارما أجرة التكسي في هذه المدينة بالتأكيد. ولكن ليس هذا تماماً ما أتحدث عنه. ولا الكارما الهندية أيضاً. أعتقد أني لا أقصد الكارما على الإطلاق. الأمر أشبه بـ... هل تعتقدين أنه يتسنى لنا أن نحب بعضنا بهذه الطريقة – لهذه الدرجة الكبيرة والقوية – لأن أبي كان حقيراً؟ هل هذه مكافأتي بعد أن اضطررت لعيش هذه التجربة؟ أن أحصل على هذه العلاقة؟" أشرت إلى جسدينا العاريين. "أو هل يعني امتلاكي لهذه النعمة حالياً أنني سأعاني لاحقاً أو أضطر

لدفع الثمن؟ هل نحصل جميعاً على كمية محدودة من الأشياء الجيدة في هذا العالم؟".

جلستُ ثم هززتُ رأسي وقلت: "لا أعتقد أن العالم يعمل بهذه الطريقة، أعتقد أن الحياة هي مجرد الحياة. نجد أنفسنا في أوضاع معينة وعلينا أن نتخذ قرارات معينة وهذا فقط السبب وراء حصول الأمور كما تحصل. الانجراف مع التيار حين يكون ذلك مفيداً. إنه ذاك السؤال القديم، من درس كريمر".

كنتَ صامتاً.

تابعت لأملأ الصمت: "ولكن هل تعلم ما أحبّ أن أفكر؟ أحبّ أن أفكر أن الكارما هي السبب. الكارما الهندية. إنني في حياةٍ ماضية فعلت شيئاً رائعاً لأحدٍ ما ومكافأتي هي أنت في هذه الحياة. تعجبني فكرة الكارما هذه أكثر من فكرتك عن القدر غير المحدود من الأشياء الجيدة".

ابتسمتَ مجدداً، ولكن كانت هذه المرة ابتسامةً حزينة.

أحسستُ أنك لم تصدقني. قلتَ: "تعجبني تلك الفكرة أيضاً، أنا فقط قلق من أن يكون الحصول على كل شيء أمراً مستحيلاً، أن تكون جميع جوانب الحياة رائعة".

فكرتُ بالأمر. قلتُ: "أعتقد أن ذلك ممكن، قد لا تكون جميعها كذلك في الوقت ذاته، ولكني أعتقد أنه يمكن أن تنتهي حياة الناس بعد أن حصلوا على ما يريدونه منها". وأنا أؤمن بذلك، غيب، وما زلت أؤمن.

قلتَ: "أرجو أن تكوني محقة".

لم نتحدث عن الأمر بعدها، ولكني شعرت أنك لا تزال تعتقد

t.me/ktabpdf مكتبة

أنه لا يمكن لأحد الحصول على كل شيء. أتمنى لو وجدت طريقة لأغير فيها منظورك بالنسبة إلى الموضوع، لأنني أعتقد أن ما كنت تقوله هو أن عليك التضحية. هذا الحب من أجل ذاك الحب، شعور السعادة هذا من أجل شعور السعادة ذاك. كانت تلك نظرية أثرت في صنع قراراتك، سواء أكان ذلك وأنت واعٍ أو دون وعي. كان ذلك جزءاً مما قادك إلى الطريق الذي سلكته، وأوصلنا إلى هذه اللحظة.

ولكنني أحب أن أفكر أن ذلك غير صحيح، وأنه يمكن أن تملك والداً يحبك وحبيبة تفعل الأمر ذاته، ومسيرة مهنية مثمرة، وحياة شخصية مثمرة كذلك. ولكن ربما ستقول إنك إن امتلكت هذه الأمور، قد تتدهور صحتك، أو أموالك. أو الله أعلم ما قد يحصل.

هل غيرت رأيك، غيب؟ أرجو أن تجيبني.

t.me/ktabpdf
مكتبة

XVI

بعـد عيـد ميـلادي بقليل التحقت بـذاك الصف مع بيت. لطالما تسـاءلت عن الفترة الزمنية التي اسـتمررتَ خلالها بالتواصل معه بعد أن غادرتَ نيويورك. أعلم أنه عنى الكثير بالنسبة إليك. من الواضح أنه كان السبب وراء بدء مسيرتك المهنية. أتساءل إن وجدت فيه أخيراً الدعم والإرشـاد الذي لطالما أردته من والدك. كنت في أسـعد حالةٍ رأيتك فيها حين كنت تحضر درسه، وتبيع الصور بمساعدته إلى مجلة فيـلاج فويـس. جعلنـي ذلك أفكر مؤقتاً بأنني ربما كنت مخطئة، ربما كنت مخطئاً، ربما قد تكون سعيداً إن بقيت في نيويورك.

تحملتَ مسـؤولية إعداد العشـاء أيضاً، لأنني كنت مصرة على البقـاء فـي المكتـب حتـى يغـادر فيل، وكان يعمل كل يـوم إلى وقت متأخر أكثر وأكثر حينها، محاولاً أن يجد أفكاراً لموسـم كامل جديد من إت تيكس إيه غالاكسي. هل تذكر تلك الليلة التي أتيت فيها إلى المنزل متأخرة أكثر من المعتاد – حوالي التاسعة – وحضرت الباستا مع صلصة البيستو المعدة منزلياً. كان هنالك قنينة شراب مفتوحة. ثم دخلت، وكنت جالساً على الطاولة. وكانت موسيقى إيلا فيتزجيرالد تصدر من مكبرات الصوت الموصولة بحاسوبك المحمول.

قلـتَ: "أهـلاً". كانـت قبلتك بطعم الشـراب. أجبتـك: "أنت في مزاجٍ جيد اليوم" وخلعت سترتي المصنوعة من الجينز.

t.me/ktabpdf

مكتبة

سألتني: "خمني من ستتم طباعة صورته على مجلة نيويورك تايمز؟".

لهثت: "أنت؟".

قلت بحماسة: "أنا! عرفني بيت إلى الناس الصحيحين هناك، وسيقومون بطباعة الصورة التي التقطتها في الحي، حين انفجر أنبوب المياه وسط الشارع. إنها من أجل مقالة تتحدث عن البنية التحتية المتهدمة في المدينة".

رميت الأكياس على الأرض وطوقتك بذراعيّ. "مبروك. نخب حبيبي الموهوب والمبدع".

رفعتني عن الأرض، وأنزلتني عن الأريكة، فكرت أنه ربما، ربما فقط، قد يكون هذا عملاً طويل الأمد. ربما لن تغادر في النهاية.

تناولنا العشاء تلك الليلة ونحن شبه عراة، ثم شاركتك بعض أخباري الخاصة. طلب مني فيل أن أساعده في إيجاد بعض الأفكار من أجل حلقات الموسم القادم.

قلتُ لك: "هذه هي. هذه هي فرصتي لأؤثر حقاً في ما يراه الأطفال في هذا البلد وعلى ما سيتعلمونه ويفهمونه".

سهرت معي إلى وقت متأخر تلك الليلة في جلسة عصف فكري على السرير، كنت لوحي لترديد الصوت الداعم بشكل لا يصدق. ولكني لم أكن راضية عن لائحتي. رأيت آلة تصويرك بزاوية عيني.

قلتُ: "هيه، هل من أفكار هناك؟ ما الذي يوجد على بطاقة ذاكرة آلة تصويرك؟".

جلبت آلة تصويرك إلى السرير معنا، وقلبنا صورة تلو الأخرى، حتى طلبت منك التوقف عند صورة طفلة صغيرة على نافذة شقة في

الطابق الأول، كانت تمسك بيديها قضبان النافذة.

سألتك: "ما تعتقد بشأنها؟".

قلـت: " تعانـي الوحـدة؟ تركهـا والداها حين ذهبـا إلى العمل؟ حالمة تتوق إلى شيء آخر؟".

"الأحلام! علينا أن نصنع حلقة عن الأحلام". كانت تلك الحلقة الأولى من الموسم الثاني.

وحصلت على ترقية في بداية الربع التالي. ولكنك غادرت قبل حدوث هذين الأمرين.

XVII

بعد وقتٍ ليس بطويل من نشر صورتك في مجلة نيويورك تايمز، تـم ترشـيح برنامـج إت تيكس إيه غالاكسـي لجائـزة إيمي للعروض النهارية.

جررتك إلى بلومينغديل معي حين جربت الفساتين. مع أنني لا أعتقد أن كلمة جررتك هي الكلمة المناسبة، لأنك استمتعتَ بالأمر. هل تذكر؟ جلست على أريكة بالقرب من غرفة التبديل، كان عرض أزياء خاص يقتصر فيه الحضور على شخص واحد. خرجت أول مرة مرتدية فستاناً مخرماً ضيقاً دون حمالات مع شق عند الجزء الأمامي من ساقي اليمنى.

قلتَ: "مثير. مغر للغاية".

"ليس تماماً ما أبحث عنه، على الأقل ليس من أجل العمل".

ثم خرجتُ مرتديةً ثوبَ حفلات وردي اللون.

قلت لي: "جميل، مثل سندريلا". لم يكن ذلك مناسباً أيضاً.

ارتديت فستاناً أزرق، مليئاً بالزوايا والقصات.

قلت: "رائع، جميل وملفت".

لاحظـتُ أن النسـاء الأخريـات فـي المتجـر كـن ينظـرن إلينـا. ابتسـمت المرأة الأكبر سـناً وكأنها تسـتمتع بالمشـاهدة. أبدت النساء الأصغر سناً الغيرة. ثم رأيتهن يحدقن. حاولت أن أخفف ابتسامتي،

t.me/ktabpdf مكتبة

أن أهدئ الشعور الذي سرى في داخلي والذي يقول كل شيء على ما يرام في العالم. بدت السعادة في ذاك اليوم قدرنا، قدري أنا وأنت سويةً.

جربت عدة فساتين أخرى حتى ارتديت فستاناً أحمر حريرياً، مكشوف الظهر، ضيقاً من الأعلى ثم أوسع من الأسفل، لذا تمايلت وأنا أسير. هل تذكر ما قلت؟ أنا أذكر. يمكنني تخيلك وأنت تقولها الآن، عيناك تتقدان وهما تنظران إلى جسدي من الأعلى إلى الأسفل.

قلت: "هذا ساحر. تبدين ساحرة".

نهضت عن الأريكة وأمسكت يدي، وفتلتني في منتصف قسم الملابس الرسمية في متجر بلومينغديل. ثم عانقتني وقبلتني. همست وأنت تسوي وقفتنا: "هذا الفستان، واشتريه بأسرع ما يمكن. هل هنالك من حمامٍ هنا يمكننا التسلل إليه؟ أو علينا فقط أن نأخذ سيارة أجرة إلى المنزل؟"

ضحكت وهمست: "سيارة أجرة"، وساعدتني على فتح السحاب.

مكتبة t.me/ktabpdf

XVIII

حيـن عدنـا إلى المنـزل ذاك اليوم، طوقتني وأكياسـي بذراعيك وركضنا صاعدين السلالم، حاولت البحث بيدٍ واحدة عن مفاتيحك بينما عانقت عنقك وأنا أضحك.

سألتُ: "ما الذي تفعله؟ أنت مخبول".

قلتَ: "لا أستطيع الانتظار أكثر من ذلك"، ودفعت الباب وفتحته ورميتني على السـرير. رميت أكياسـي على الأريكة ثم عدت، رافعاً قميصك فوق رأسـك. "رؤيتك مرتديةً هذه الفسـاتين، وعلمي بأنك كنت عارية في غرفة تبديل الملابس تلك... كان ذلك مؤلماً".

خلعـت قميـص التي شـيرت الذي كنت أرتديـه أيضاً، وفككت حمالـة صـدري. حيـن أنزلـت حمالتيهـا عن كتفـي، تأوهـتَ. قلتَ: "لوس، لوسي".

ثم صعدت على السرير...

قلتُ: "غابرييل، إنك تشعرني وكأنني لست محدودة".

أملت رأسـك للأسـفل وقبلتني بقوة. همست: "وأنت تشعرينني وكأنني لا أقهر".

يفعل الحب ذلك. يجعلك تشعر وكأنك غير محدود ولا تقهر، وكأن العالـم بأكملـه مفتـوحٌ أمامك، وكل شـيء قابل للتحقيق، وكل يوم مليء بالروعة. ربما ذلك بسـبب انفتاحك، والسـماح لأحد آخر

t.me/ktabpdf مكتبة

بالدخـول إلـى عالمـك، أو ربما ذلك بسـبب اهتمامك بشـكلٍ عميق للغاية بذلك الشـخص لدرجة أن ذلك يتسـبب باتساع قلبك. سمعت كثيـراً مـن النـاس يقولـون لـم أعلم أبداً أنني قادر على حب شـخص آخـر لهـذه الدرجـة... وبعد حتى تأتي جملة مثل: ثم ولدت ابنة أخي أو ولـدت طفـلاً أو تبنيـت طفـلاً. لم أعلم أبـداً أنني قادرة على محبة إنسان آخر لهذه الدرجة حتى التقيت بك، غيب.

لن أنسى ذلك أبداً.

XIX

أعتقد أنني كنت متألقة في ذلك اليوم. أحببت رجلاً أحبني بنفس القوة، وساعدني على انتقاء ثوبٍ من أجل حفل توزيع جوائز سيكرم بإنجازاتي. نسيت حقيقة أنك أردت المغادرة، حقيقة أنك تحت مظلة السعادة هذه. علمت أنك لم تكن سعيداً حقاً. لأن كل شيء بدا مثالياً في ذلك اليوم.

t.me/ktabpdf مكتبة

XX

في صباح يوم الحفل، صففت شعري وتركته منسدلاً ومتموجاً. انتهيت من تبرجي ووضعت كثيراً من الكحل والمسكرا وأحمر شفاه كاد يطابق بلونه لون ثوبي الحريري، شعرت أنني ساحرة ومتحمسة، وأن كل شيءٍ كنت أعمل عليه منذ أيام الجامعة كان يستحق العناء.

قلتَ: "الذكاء والجمال" مع نصف ابتسامة حين رأيتني.

أجبتك: "وأنت لست سيئاً أيضاً". كنت ترتدي بذلة ذات ياقة رفيعة مع صدرية وربطة عنق، وسرحت شعرك المجعد مستخدماً نوعاً من الهلام الذي كنت تستخدمه فقط في المناسبات المهمة. كان هنالك رائحة تفوح منك وكأنك غادرت لتوك صالون الحلاق. كنت أحياناً أمر بالقرب من أحدٍ ما وأشتمّ نفس الرائحة، وتذكرني بذلك اليوم، حتى الآن. هل حصل ذلك معك من قبل؟ هل عدت يوماً في الزمن بسبب رائحة أعادت ذكراي إلى تفكيرك؟

بينما قطعنا طريقنا إلى مركز روكفيلر ذاك اليوم، وبعد أن التقينا بزملائي وجلسنا في مقاعدنا، كنت أستطيع ملاحظة أن ذهنك كان في مكانٍ آخر. كنت تستمر بالتصفيق للحظات بعد أن ينتهي الجميع من التصفيق، وكنت تنظر إليّ وأنت تعضّ على شفتك السفلى. وكنت أعرف تعابير وجهك حين تكون تفكر بشيءٍ بشكل معمق، وتقلبه مرة تلو الأخرى في ذهنك. ما الذي كان يدور في ذهنك تماماً ذاك اليوم؟

ثـم حـان وقـت جائزتنـا التي رشـحنا لهـا، وربحنا! لم أسـتطع التنفـس بسـهولة. كان الهـواء مملوءاً بالسـعادة. تخيلت والديّ وهما يشاهدان، وهما يبكيان، ووالدي يتظاهر أنه لا يبكي. تخيلت جيسون وهو يصيح، وكيت تهلل. صعدت إلى المسرح مع فيل وباقي الفريق، وكنت واقفةً إلى جانبه وهو يتحدث. كانت ابتسامتي عريضة لدرجة أنـي شـعرت بخديّ يكادان ينفرجـان. نظرت إليك من بين الحضور، وأردت أن أشـاركك سـعادتي، ولكن كانت عيناك مشـتتتين. لم تكن تنظر إليّ. تسـاءلت للحظة عما يحصل، ولكن بعدها اسـتدرنا جميعاً وغادرنـا المسـرح، وحيـن عـدت إلـى مقعدي، بالقرب مـن مقعدك، قبلتني برقة وهمست: "أحبكِ".

احتفلنـا بعدهـا، مثارين بسـبب تدفق الأدرينالـين الذي نتج عن الفوز. رقصنا وضحكنا وتحدثتَ قليلاً مع زوجات زملائي وحبيباتهم وخطيباتهم. ولكني أدركت أنك لم تكن هنالك حقاً طوال الوقت.

XXI

حيـن عدنـا إلـى المنـزل، خلعت حذائي عالـي الكعب وانهرت على الأريكة. جلسـت بالقرب مني وأمسـكت قدميّ بيديك، وبدأت بتمسيدهما لتزيل ألم ارتداء الكعب الرفيع لثماني ساعات.

تأوهـت: "يـا إلهـي. غيـب، قد يكـون هذا أفضل مـن الجنس". لكنك لم تضحك بالطريقة التي توقعتها. قلتَ: "لوسـي"، وأصابعك تدلك قوس قدمي اليسرى، "علينا التحدث".

نهضت وسحبت قدميّ من بين يديك، ووضعتهما تحتي.

سـألتُك: "مـا الأمـر؟ هـل أنت علـى ما يرام؟ هـل نحن على ما يرام؟ اعتقدت أن الأمور ممتازة، ولكن إن كان هنالك شيء ما...".

قلتَ: "لوسـي" اسـمي بأكمله. "توقفي". ثم أخذت نفسـاً عميقاً. "لا أعلم كيف سـأقول هذا، لذا سـأقوله بشـكلٍ مباشـر. عُرض عليّ عمل مع أسوشيتد برس. يريدون مني أن أذهب إلى العراق، وأن أبقى هناك مع القوات من أجل عمل سينشر، كبداية. مع احتمال حصولي علـى وظيفـة براتـب بعدها. أجرى بيت بعـض الاتصالات، وتلاعب ببعض الأمور. علمَ أنني أردت السفر خارج البلاد".

لم أستطع التنفس للحظة. همست: "متى؟ ولكم من الزمن؟".

"يريدون مني المغادرة خلال أسبوعين. سيستمر العمل لشهرين على الأقل. وقد يستمر لأكثر من ذلك بكثير".

t.me/ktabpdf

مكتبة

سألتك: "متى يتوجب عليك الرد عليهم؟" كنت أفكر: يمكننا تجاوز شهرين. أو حتى أكثر. يمكننا تجاوز ذلك.

قلتَ: "لقد رددت عليهم". نظرت إلى أصابعك. "قلت إنني موافق".

سألتك: "ماذا فعلت؟" شعرت أن أحداً ما قد سحب سدادة بالوعة حوض الاستحمام، وكأن حياتنا سويةً كانت تنجرف بعيداً في دوامة. انتقل تفكيري إلى كيت، وما قالته عن أرجحية مغادرتك وفطرك لقلبي.

وقتها لم تنظر إليّ.

قلتَ: "كان يتم التحضير لذلك لفترة، ولكن قُبلت اليوم جميع الأوراق. لم أكن واثقاً من قبولها. لم أرد أن أقول شيئاً إن لم يكن ذلك مؤكداً. لم أرد أن أجرحك إن لم أكن مرغماً على ذلك".

شعرت بكل ضربة من ضربات قلبي، بكل نبضة من الدماء وهي تتحرك خلال جسدي. فتحت فمي، ولكني، لم أستطع أن أكتشف ما عليّ قوله.

"قبل بضعة أشهر، حين رأيت المقالة الأولى تلك عن أبو غريب وكانت من الأسوشيتد، علمت أنه عليّ الذهاب. يمكن للصور أن تغير المناظير. يمكنها أن تغير الآراء والتفكير. لا يمكنني أن أقف ساكناً وأن أثق أنه يوجد أحدٌ ما سيقوم بهذا العمل، تحديداً وأنا أعتقد أن الأمر هام كثيراً. أخبرتك أنني سأغادر يا لوس. علمتِ أن تلك كانت خطتي في النهاية".

وفعلت ذلك حقاً. ولكني لا أعتقد أنني فهمت أن ذلك سيكون إلى الأبد، وأنه لن يكون قابلاً للنقاش، وأننا لن نعمل سويةً لنكتشف

t.me/ktabpdf مكتبة

ما العمل. وأكثر من ذلك، لم أكن مستعدة، خصوصاً في تلك الليلة. كان من المفترض أن تكون ليلة احتفال، وسعادة، ونجاح. كنت أطير أعلـى ممـا فعلـت من قبل في حياتي. العمل الذي أنجزته حاز جائزة إيمي. وكنت دون احتياطات. سمحت لنفسي بأن أكون سعيدة كلياً. لماذا لم تخبرني بما كان بيت يعمل عليه؟ أو بالاتصالات التي لا بد أنك أجريتها؟ وبالمخططات التي كنت تضعها؟ كيف تسنى لك اتخاذ ذلك القرار من دوني؟ ما زال ذلك يغضبني يا غيب، لأنك لم تجعلني جـزءاً مـن الفريـق الذي اتخذ القرار. كنا نجماً ثنائياً. كنا ندور كل منا حول الآخر. حين قررت ألا تخبرني، غيّرت ذلك، لم تكن تدور من حولي بعدها، كنت تدور حول شـخص آخر، شـيء آخر. سـرعان ما بدأت بتخبئة الأسرار، لم نكن نملك فرصة للنجاة.

علـى الفـور، غمـرت الدمـوع عينـيّ؛ دمـوع الغضـب والحـزن والارتباك والألم. قلت مرة تلو الأخرى: "غيب، غيب، كيف يمكنك ذلـك؟" ثـم تمكنـت من إكمـال الجملة. "كيف يمكنـك ألا تخبرني؟ كيف يمكنك أن تخبرني الليلة؟".

حاولت أن تلمسني ولكني قاومت، وأبعدتُ ذراعيك عني بقوة لم أعتقد أنني أمتلكها من قبل.

قلـت: "لـكان ذلـك أقل إيذاءً لـو علمت من قبل، لو تحدثنا عن الأمـر. ألا تفهـم ذلـك؟ كنا فريقاً، وأقصيتنـي. كيف أمكنك أن تضع خططاً من دوني؟ كيف أمكنك أن تضع خططاً مثل هذه من دوني؟".

كنت تبكي أيضاً، والمخاط يسيل من أنفك على شفتيك. قلتَ: "أعتـذر، كنـت أحـاول القيـام بالأمـر الصحيح، لم أقصـد إيذاءك، أنا آسف".

t.me/ktabpdf مكتبة

اختنقـت بالكلمـات: "ولكنـك فعلت. أكثـر مما كان يجدر بك. أكثر من اللازم. وكأنني لا أهمك على الإطلاق".

مسـحت أنفـك: "ذلـك غيـر صحيـح" وحاولت الاقتـراب مني مجدداً.

قلتُ لك: "لا تلمسني".

قلـتَ: "أرجوك، لوسـي، أرجوك". كنـت حينها تبكي أكثر مني. "أحتـاج أن تفهمـي. أتمنـى لـو لم أرد هذا، أتمنى لو لم أشـعر أن هذا مـا علـيّ القيـام به، الطريقة الوحيدة لكي أشـعر بالاكتمال. لم أرد أن أجرحك أبداً. هذا لا يتعلق بك".

قلتُ: "لا. إنه لا يتعلق بي. ولكنه لا يتعلق بك وحدك أيضاً. إنه يتعلق بنا. وبتدميرك لنا".

نظرت إليّ وكأنني صفعتك، وأردت ذلك.

قلـتَ: "أنـا لسـت... الأمـر لا يتعلق بنا لوسـي. أعنـي ذلك. إنه يتعلق بي أنا. عليّ القيام بهذا من أجلي. هنالك شيءٌ بداخلي مكسور، وهـذه الطريقـة الوحيدة لإصلاحه. ظننت أنك سـتتفهمين. أنت دوماً تتفهمين...".

ولكني لم أتفهم هذه المرة.

قاطعت: "لماذا لا يمكنك البقاء؟ ماذا عن تصوير مدينة نيويورك؟ هنالك قصص كثيرة هنا لتخبر عنها. كنت سـعيداً جداً حين نشـرت نيويورك تايمز صورتك".

هززت رأسـك. "يمكنني القيام بالمزيد في مكان آخر. يمكنني أن أقـوم بعمـلٍ أفضـل. يمكنني إحـداث تغيير أكبر. أتمنى لو لم يكن ذلك صحيحاً. أنت تعلمين ما يعنيه ذلك بالنسبة إليّ".

"أعلم، ولكن لا بدّ من أن هنالك طريقة أخرى".

قلتَ: "ليس هنالك".

"ماذا عن الذهاب في رحلات، والعودة إلى الوطن حين تنتهي؟" كنت أرجوك. علمت ذلك ولكني لم أهتم.

قلتَ: "لا تجري الأمور بهذه الطريقة. قال بيت إنه إن أردت القيام بهذا، فعليّ أن ألتزم".

كنت غاضبة الآن: "أوه، قال بيت. إذاً تحدثت مع بيت بخصوص هذا الأمر ولكن لم تتحدث معي".

بدأت: "لوسي...".

قلتُ: "أتعلم ماذا؟ تباً لك". بدأ الغضب بالانتشار إلى نهايات أصابع يدي ورجلي. سرت إلى سريرنا ورميت وسادتك والبطانية الإضافية على الأريكة. "ستنام هنا الليلة".

"لوسي، لم ننهِ الحديث بعد". وكانت البطانية متدلية من أصابعك.

قلتُ: "بل انتهينا". فتحت سحاب فستاني وأطفأت النور.

بالطبع، لم ينم أي منا ليلتها. استرجعت المحادثة التي خضناها لتونا مرة تلو الأخرى في ذهني. بالرغم من مقدار كرهي لك في تلك اللحظة، إلا أنني أردت أن أعبر الاستديو لأنزلق بالقرب منك على الأريكة، لأشعر بصلابة جسدك بقرب جسدي. كنت راحتي وألمي في الوقت ذاته.

في مرحلة ما لاحقاً نهضت ووقفت بالقرب من السرير. قلتَ: "لدي فكرة".

لم أجب.

قلتَ: "أعلم أنك مستيقظة، يمكنني أن أرى عينيك".

لم نغلق الستائر. كنت مناراً من الخلف، بسبب أضواء المدينة. التي شكلت حولك هالة. فكرت الملاك الساقط.

سألت في النهاية: "ماذا؟"

"ربما... ربما يمكنك القدوم معي" مددت يدك في شبه الظلمة.

"ربما يمكننا أن نتدبر ذلك".

التقت أصابعك بأصابعي. بدا ذلك منطقياً لوهلة. ثم ركّز ذهني على طلبك. ركّز على بغداد. على التأشيرات. على الشقق. على الوظائف. سألت: "ولكن كيف؟".

جلست على السرير، ما زلت تمسك بيدي، وهززت كتفيك.

"يمكننا إيجاد طريقة".

"ولكن أين سأعيش؟ ماذا عن مهنتي، غيب؟" شعرت بالغضب يسري في جسدي من جديد. كنت تطلب مني التخلي عن أحلامي من أجلك، في حين لم تكن لتفعل ذلك أبداً من أجلي، ولن تفكر حتى بتسوية، ولم تتحدث بخصوص الأمر حتى معي.

هززت رأسك. قلتَ: "لا أعلم، ولكني متأكد من أن الناس يقومون بهذا. ربما يمكنك الحصول على مهنة أخرى. يمكنك أن تعملي في كتابة المقالات وأن تصنعي تغييراً بتلك الطريقة. يمكننا أن نصنع الصور والكلمات سويةً. كان عليّ التفكير بهذا من قبل. سيكون الأمر مثالياً".

قلتُ: "ظننت أنه ليس عليّ التخلي عن أحلامي، غيب". أحببتك. أحببتك حقاً، كثيراً. ولكن ما كنت تطلبه مني لم يكن عادلاً. وآلمني ذلك حينها – ولا يزال يؤلمني الآن – أنك اتخذت قرار المغادرة دون

t.me/ktabpdf مكتبة

رأيي ولم تكن مستعداً للتفكير بحلول أخرى.

قلتَ: "ليس هذا ما عنيته".

تنهدت. كان ذلك كثيراً. قلتُ لك: "لنتحدث عن الأمر في الصباح".

بدأت: "ولكن...". ثم أغلقت فمك. وقلت: "حسناً". ولكن لم تتحرك. بقيت في مكانك، جالساً على السرير. وأبقيت يدك على يدي.

سألت: "غيب؟".

استدرتَ لنصبح وجهاً لوجه. مرت سيارة شرطة مسرعة، انعكست أضواؤها الوامضة على عينيك. "لا يمكنني النوم من دونك، لوسي".

شعرت بالدمع يتسلل إلى عينيّ مجدداً. قلتُ: "هذا ليس منصفاً، لا يمكنك قول هذا. ليس لديك الحق في ذلك".

قلتَ: "ولكن الأمر صحيح. ولذلك عليك القدوم إلى العراق".

"لأنك تواجه مشكلة في النوم من دوني بقربك في السرير؟"

سحبت يدي وأفلت يدك.

قلتَ: "لم أقصد ذلك حرفياً، قصدت أنني أحبك. قصدت أنني آسف. قصدت أنني أريدك أن تأتي معي". لم تستوعب الأمر.

جلست، وأشعلت المصباح الليلي. أغمضنا أعيننا نصف إغماضة بسبب نوره القوي.

رأيت الألم في وجهك. بدوت ضعيفاً وهشّاً، بائساً، ضائعاً. كما كنت تلك الليلة في حانة فيسز آند نيمز، الليلة التي تواصلنا فيها من جديد. وتلك كانت اللحظة، بذرة رمانتي، ذاك الجزء منك لا يزال يصعّب عليّ المغادرة. حين تريني الجزء الهش منك، يجعلني

ذلـك أحـسّ بالمسـؤولية. لأننا فقط نظهر حقيقتنـا للناس الذين نهتم بهـم بالدرجـة القصـوى. أعتقـد أن هـذا ما جعل علاقتنا تبدأ بسـرعة كبيرة. لم نكن نملك حدوداً يوم 11 سبتمبر، كشفنا عن أنفسنا السرية أمـام بعضنـا علـى الفور. ولا يمكنك أبداً أن تتراجع عن ذلك. ولكن تلـك الليلـة لـم يكن ذلك كافياً. احتجت لأرى المزيد منك. احتجت للتفهم والصدق والتسـوية. احتجت للالتزام. لم يكن الأمر يسـتحق القتال بعد ذلك.

أمسـكت يـدك. قلـتُ: "أحبك أيضـاً، ولكن لا يمكننـي القدوم معك. أنت تعلم ذلك. أحلامك هنالك، ولكن أحلامي هنا".

قلـتَ: "كنـت محقـة سـابقاً" بدا صوتك مخنوقـاً. "لنتحدث عن الأمر في الصباح".

رأيتك تعبر الشقة، وتثني جسدك الطويل على الأريكة. أطفأت النـور وفكـرت بجميـع الأسـباب التـي جعلت من ذهابـي معك إلى العـراق أمـراً غير منطقي، والسـبب الوحيـد الذي جعله منطقياً: لأنني لم أتخيل حياتي من دونك.

حين استيقظت برؤيةٍ مشوشة، وأعاني من الصداع، كنت جالساً على الأريكة تشاهدني.

قلـتَ بهـدوء فـي اللحظـة التي فتحـت فيها عينـي: "أعلم أنه لا يمكنك القدوم معي ولكن أعدك، سـنبقى على تواصل. سـأراك حين أزور المدينة. سأحبك على الدوام". صوتك علق في حلقك. "ولكني بحاجة إلى فعل ذلك. وحقيقة أني كنت مستعداً لرمي أحلامك بعيداً – جعلتني كوالدي مجدداً، لوسي. أعتقد... أعتقد أنك ستكونين في حالٍ أفضل من دوني". ارتجّ رأسي. احترقت عيناي. وتدمرت بالفعل

حينهـا؛ لـم أسـتطع كبح نفسـي عن البـكاء، والارتجاف، والأصوات الغريبة التي بدأت بالخروج من فمي. وكأنها تعابير عن الألـم منسوجة فـي حمضنـا النـووي من أسـلافنا الذين لـم يملكوا لغـة. كنت مغادراً حقاً. كنت ستتركني حقاً. علمتُ أن ذلك سـيحصلِ، في مرحلة ما، ولكن لم أدع نفسـي أتخيل أن الأمر سـيحصل حين حصوله. وكان ذلك كابوسـاً. كأن قلبي كان مصنوعاً من الزجاج ورماه أحد ما على الأرض، وانكسر لملايين القطع الصغيرة، ثم طحنوا القطع بالدعس عليها.

حقيقـة أنـك قمت بدعوتي للذهاب معك عنت لي كثير. لطالما عنت ذلك. لكنه لم يكن عرضاً حقيقياً، لم تفكر به ملياً. كان اعتذاراً بنصـف الليـل، محاولـة لإصلاح خطـأك بعدم إخبـاري بوقتٍ أبكر، وإخفاء الأسرار، وإبقائي خارج الأمر. مع أنه يوجد جزءٌ مني يتساءل دوماً عما كان سيحصل لو وافقت. هل كان ذلك سيغير حياتينا كلياً، أم كان الأمـر سـينتهي بنـا هنـا على أية حـال، حيث أنا في هذه الغرفة المنارة أكثر من اللازم، أتمنى لو كنت في أي مكانٍ آخر، وأتمنى في الوقت ذاته ألا أضطر للمغادرة؟ لن نعرف يوماً.

حزمـت أغراضـك ذاك الأسـبوع وغادرت لتقضي بعض الوقت مع أمك قبل أن تغادر البلاد. وجلسـت في الشـقة التي كانت شـقتنا في يومٍ ما وبكيت.

t.me/ktabpdf مكتبة

XXII

لـم نتحـدث عمـا حصـل بعدهـا. لم أخبـرك من قبـل كم كنت مكسورة. كيف نظرت إلى المساحات الفارغة التي تركتها كتبك على الرفوف ولم أستطع أن أرغم نفسي على ملئها. كيف لم أستطع تناول الوافل دون البكاء، أو وضع السوار الخشبي الذي جلبته لي من البازار في جـادة كولومبـوس؛ ذاك الذي رأيناه بالصدفة وأمضينا فيه كل بعد الظهـر، تناولنـا الموزاريـا والكريب وتظاهرنا أننا نحتاج إلى سـجادة جديدة من أجل منزلنا الخيالي الخاص بالتزلج.

فـي إحـدى الليالي، بعد أسـبوعين من مغادرتـك، تناولت قنينة من شـرابك المفضل عن الرف فوق مغسـلة المطبخ. كنت قد تركتها هناك. سـكبت لنفسـي كأسـاً تلو الأخرى، كانت في البداية مع ثلج، ولكن عندما فرغ دلو الثلج، شـربت من دون ثلج. احترقت شـفتاي عندما كنت أشربه، ولكن المذاق كان شبيهاً بمذاق قبلاتك، وخفف من الألـم. للمرة الأولى منذ أن غادرت، استطعت أن أنام ليلةً كاملة. كان شعوري سيئاً للغاية في صباح اليوم التالي، وادعيت أنني مريضة كي أتغيب عن العمل. ولكني فعلتها مجدداً في الأسبوع التالي. وفي الأسبوع الذي تلاه. أرغمت نفسي على الذهاب إلى العمل، وتعلمت التعايش مع الألـم.

كان هنالك متاجر لم أسـتطع المرور بالقرب منها ومطاعم لم

t.me/ktabpdf

مكتبة

أستطع تناول الطعام فيها. قضيت شهراً وأنا أنام على الأرض، لأن كل ما شعرت به هو غيابك حين حاولت النوم في سريرنا، وكانت الأريكة أسوأ. ذكرتني بالليلة التي تلت حفل إيمي. تبرعت بنصف ملابسي لجمعية غودويل ورميت الملصقات التي علقناها على الجدران.

بعد ستة أسابيع من مغادرتك، جلست في الشقة التي كانت شبه فارغة، واتصلت بكيت: "لا يمكنني البقاء هنا".

أجابتني: "يجب أن لا تبقي، تعالي للعيش معي".

وضبت بقية الشقة وعشت معها لأسبوعين. ساعدتني كيت على استئجار الاستديو ثم انتقلت إلى بروكلين. لم أستطع تحمل الأمر لوقتٍ أطول. احتجت لمكانٍ جديد، لبداية جديدة. وحتى هنالك كنت أتجنب بوبيز، عندما ذهبنا إلى زفاف كيفن وسارة، ومطعم ريد هوك لوبستر بوند، حين ذهبنا للاحتفال بالرابع من يوليو. كنت في كل مكان. كنا سويةً لأربعة عشر شهراً فقط، ولكن تلك الأشهر الأربعة عشر غيّرت عالمي.

أرسلت إليك بريداً إلكترونياً، هل تذكر؟ لم أخبرك كيف كنت أشعر، كيف كنت أنهار. سأحصل على حصة مع أليكسز في هامبتونز! قرار في آخر لحظة، ولكن سيكون الأمر ممتعاً. كتبت بفرحة زائفة. رأيت لتوي بين فولدز يعزف على خشبة سومرستيج - كنت ستحب العرض. كيف كل شيء؟ ثم انتظرت وانتظرت وانتظرت رداً لم يأتِ. لم أنفك عن التفكير بقولك إننا سنبقى على تواصل. كيف قلتَ إنك ستحبني دوماً. كل مرة كنت أتفقد فيها بريدي الإلكتروني، كنت أشعر بمزيج من الغضب والحزن، وخيبة الأمل بشكل أعمق مما اختبرت

t.me/ktabpdf مكتبة

مـن قبـل. بـدأت بكتابة الرسـائل إليك، رسـائل تهجمية فـي الواقع، ولكني رميتها جميعاً قبل إرسـالها. كنت خائفة من أنني إن صرخت عليك عبر القارات، لن تكتب لي أبداً، ولن أسـمع منك مجدداً. لم أعتقد أنني قادرة على تحمل ذلك.

بالنظـر إلـى الماضـي، أعلم الآن أنك كنت تتألـم أيضاً، تحاول نسيان الأمر، وإيجاد طريقك الخاص. لا بد أن رسالتي من نيويورك بدت وكأنها قادمة من كوكب آخر. "سومرسـتيج"، "ذا هامبتونز"؟ لا يمكنني أن أتخيل حتى ما فكرت به حين قرأت ذلك. ولكن عندئذٍ.. عندئـذٍ لـم أسـتطع أن أفهـم كيف يمكنك تجاهلـي. كيف يمكنك أن تفتلني وتقبلني وتقول لي إنني جعلتك تشعر وكأنك لا تقهر للحظة، ثم تختفي فجأة.

بعد شهرين من مغادرتك، وصلني بريد إلكتروني منك. أول بريد منذ أن وصلت إلى العراق. أنا مسرورٌ أنك بحال جيدة! الأوضاع هنا جنونية. آسف لأنني لم أستطع أن أكتب لك من قبل. كان الاستقرار صعبـاً، ولكنـي أحب العمل. الصور المطلوبة جاهزة وسـيبقونني هنا لفترة. آمل أن تستمتعي بوقتك في نيويورك!

ربمـا قـرأت ذاك البريـد الإلكترونـي لمئة مـرة. أو حتى لمئتي مرة. حللت كل كلمة. كل علامة ترقيم. بحثت عن المعاني الخفية، كل فكرة يمكنني أن أسـتخلص منها ما كنت تشـعر به أو تفكر به. محاولةً أن أكتشـف إذا ما كنت مشـتاقاً إليّ، إذا ما وجدت شـخصاً جديداً.

ولكن الأمر كان كالتالي: لم يكن هنالك نصٌّ ثانوي، ولا رسائل خفية، ولا رموز سرية. كان رداً سريعاً مرسلاً على عجل. لقد انتظرت

لمـدة شـهرين دون سـبب. عملـت مجلداً على موقع جيميل سـميته "المصيبـة" ووضعـت كل رسـائلك الإلكترونيـة هناك، بمـا فيها تلك الرسالة. لم أكتب لك رداً. علمت أنني لن أكون قادرة على التحمل إن تجاهلتني مجدداً.

XXIII

أحياناً يخبرني من حولي أشياء لا أدرك أهميتها إلا لاحقاً. فهذه هي حالي مع أخي عندما يتخطى حديثنا الاطمئنان عن أنفسنا إلى أي حديث آخر أكثر جدية. فقد لزمني الأمر سنين حتى أدركت ما كان يحاول إخباري إياه. اتصل بي جيسون بعد بضعة أسابيع من رحيلك. كان حينها في الثامنة والعشرين من عمره، وكان قد مر على مواعدته لفانيسا ما يقارب العام. التقى بها في مختبر تابع لشركة أدوية، بينما كان هو يحاول تطوير علاج موضعي للسرطان مازلت أحاول فهمه.

قال لي حين أجبت على الهاتف: "مرحباً لولو، أنا.. أنا أتصل لأطمئن عليك. قالت أمي أنك تمرين بوقت عصيب".

قلت والدموع تملأ عينيّ تأثراً بقلقه عليّ: "أجل، أفتقده كثيراً يا جاي. إنني أحبه وأكرهه في الوقت نفسه. هذا الأمر يقتلني".

كان صوتي يرتعش. لم أكن أشكك في قراري بعدم ذهابي معك. كنت مقتنعة بذلك، لكنني رحت أعيد في رأسي محادثاتنا مراراً وتكراراً محاولة إيجاد شيء كان بإمكاني قوله ويجعلك تعدل عن الرحيل. وما الأمر الذي جعلك تخفي عني أسراراً. تساءلت ما إذا كنت ستتصرف على نحو مختلف لو كنت تواعد شخصاً آخر. قالت كيت إنك كنت غادرت في زمن أقصر. لم آخذ رأيها بعين الاعتبار حينها، لكنني الآن أتساءل إن كانت محقة.

t.me/ktabpdf مكتبة

قـال جيسـون: "آسـف يا لو لـم أقصد أن أجعلـك تبكي، أردت فقط أن...حسـناً.. أعلم أننا لم نتحدث عن العلاقات من قبل، لكن هل تذكرين حين انفصلت وجوسلين آخر مرة؟".

لا أعلـم إن حدثتـك مـن قبل عن جوسـلين، فهي كانت صديقة جاي الحميمة أيام الجامعة وما بعدها. تقابلا في العام الدراسي الثاني في برينسـتون، ولخمسـة أعوام بقيت علاقتهما تتأرجح بين انفصال ووصال حتى قررت أخيراً أن تلتحق بكلية الطب في سـتانفورد. لقد انفصلا بشـكل نهائي بعد محاولة باءت بالفشـل لإقامة علاقة طويلة المدى.

أعتقـد أن علاقتهمـا التي دامت خمسـة أعـوام لا تُقارن بعلاقتنا التي دامت.. لا أدري كم من الوقت.. ثلاث عشـرة أو إحدى عشـرة سنة، لست أكيدة.

"أتذكر" أجبت جيسون بالرغم من أنني لم أكن أتذكر بوضوح. كنـت حينهـا فـي مرحلة الدراسـة الجامعية، وكنـت أعيش في عالمي الخاص، وكنت بعيدة كل البعد عما يدور في حياة أخي.

"السبب الذي جعلني قادراً على إنهاء علاقتي بها نهائياً هو إدراكي أن تلـك العلاقـة كانت تشـبه تجربة الحلوى المطاطية، أتذكرين تلك التجربة؟ أعتقد أنني أريتك إياها في المختبر عندما زرتني في الجامعة في سنتي الأولى. حينها وضعت أملاح البوتاسيوم في أنبوب الاختبار ثم أضفت قطعة من الحلوى المطاطية، إن اختلط البوتاسيوم بالحلوى الهلامية يسـبب الانفجار. في كل مرة كنت وجوسـلين نعود فيها إلى بعضنـا كنـا تمامـاً مثـل تلك التجربة، كنا ننفجر، أحيانـاً كان تأثير هذه الانفجارات مشوقاً لكن من منا يريد العيش في سلسلة انفجارات؟".

"امم" أجبته وأنا أفكّر بعلاقتنا، التي كانت بالفعل رائعة وشيقة. كانت حالنا أفضل ونحن سوية من أن يكون كلّ منا على حدة.

"أيـاً يكـن الأمـر، عندمـا قابلت فانيسـا كانت التجربـة مختلفة. كانـت... كانـت أشبه بتجربة ناسـو القديـم، أتذكرينهـا؟ بدأت تلك التجربة بخلطك محلولين من أصل ثلاثة. أتخيل أنني هذان المحلولان وعندما تضيفين المحلول الثالث لا يحدث شـيء في البداية لكن لا يلبث أن يتحول المحلول إلى اللون البرتقالي بسـبب يود البوتاسـيوم ثـم يصبـح أبيـض اللون، بعـد ذلك بفترة قصيرة يتغيـر لون المحلول مـرة أخـرى. هـذه المرة إلى اللون الأسـود، والذي هو لوني المفضل كمـا تعلميـن، لأنـه اللون الذي يحمل جميع الصبغات لكنه مع ذلك يبقى على لونه".

توقف عن الكلام لبرهة وبقيت صامتة. لم أكن أعلم بماذا أجيب.

"مـا أحـاول قولـه يـا لـو أنـه كلمـا طالـت العلاقة غـدت أقوى واسـتمرت لوقـت أطـول. فبدل من أن تشـبه تجربـة انفجار الحلوى المطاطية، تكون أقرب إلى تجربة المحاليل تلك. أتفهمين قصدي؟".

لم أفهم حينها لكني بت الآن أفهم. فقد بيّن دارن الأمر لي. على الأرجح أنه كان يصف الحب كشراب معتق حيث يتكثف مذاقه ويتغير بمرور الزمن. كل ما قلته لجيسون هو: "لكنني أحبه كثيراً يا جيسون".

أجابنـي: "أعـرف ذلـك، وأنا أحببت جوسـلين كثيـراً. وما زلت أحبها، على الأرجح سيظل جزء مني يحبها دائماً. لكنني أحب فانيسا بطريقة مختلفة. ما أردت قوله هو أن هناك طرقاً عديدة لتحبي وأعلم أنـك سـتحبين مجـدداً. ولـو كانت التجربة مختلفـة فعلى الأرجح أن جزءاً منها سيكون أفضل من تجربتك السابقة".

أجبته هامسة: "لكني لا أريد هذا". أردت أن أحبك أنت ولا أحد سواك. لم أستطع تخيل أي شيء أفضل من أن أكون معك. صمت جيسون لبرهة ثم قال: "ربما لم يحن الوقت لكلام كهذا بعد. أنا آسف حقاً، فأنا لا أجيد الكلام في أمور كهذه لكن لعل ما قلتُه سيتخزن في ذاكرتك إلى حين تحتاجين إليه".

قلت له: "ربما، حسناً، شكراً لاتصالك".

"أحبك يا لوسي، أحبك كحب الهيدروجين للأوكسجين، حبّ يختلف عن جميع أنواع الحب، حبٌّ جوهري". ضحكت عندما قال هذا، ضحكت رغم دموعي لأن أخي استطاع تفسير الحب مستخدماً الجدول الدوري.

XXIV

قضيت ذلك الصيف مع أليكسز، فقد أجبرتني على الذهاب إلى الحانات، إلى الحفلات الموسيقية وغيرها وإلى عروض الأفلام. كنا نتزين كل ليلة وننطلق، إلى بروكلين، مانهاتن، ساوثمبتون وقد ساعدني الشراب في الترويح عن نفسي قليلاً.

أخذتني كيت إلى منزل أهلها في كايب كود لمدة أسبوع تاركة طوم في مانهاتن. دللتني، فأخذتني إلى منتجع، ثم إلى صالون تصفيف الشعر من أجل تسريحة شعر جديدة رأتها في مجلة فرنسية كانت قد أرسلتها أختها إليها.

حينها قصصت ضفيرتيّ وتبرعت بهما.

أخبرتني جوليا أنها كانت تنحاز إلى موقفي، وأنها ستكون بجانبي في أي وقت أحتاج إليها. قضينا ليالي كثيرة نأكل المعكرونة بالجبنة، لأنك كنت تكره تلك الوجبة، وكنا نشاهد أفلام الحركة الأكثر عنفاً. كانت صديقات رائعات لكنهن كن يكرهنك حينها.

لا أدري ما إذا كانت كيت وأليكسز قد سامحتاك يوماً لهجرك لي، أما جوليا فقد سامحتك، لكن استغرقها الأمر وقتاً لتتفهم ما حظينا به أنا وأنت إلى يوم معرضك. كانت أمي تبعث لي بالرسائل النصية طوال اليوم، وترسل في البريد مقالات محفزة. زارني جيسون، وأخذني لمشاهدة مباراة فريق بروكلين سايكلونز، وتناولنا الهوت

دوغ وصنعنا المفرقعات من علب المشروبات الغازية.

في الواقع، حاول الجميع أن يفرحوني بشتى الطرق، وأنا بدوري حاولت جاهدة أن أتخطاك، لكن ما احتجت إليه فعلاً كان الوقت.

XXV

في نهاية الصيف، قبل أسبوعين من إرسالك لي الرسالة الإلكترونية وإنشائي لمجلد الكارثة، التقيت دارن. هل يزعجك أنني أتحدث عنه؟ أنا آسفة إذا كان هذا يسبب لك الإزعاج لكنه هو أيضاً جزء من قصتنا.

بقدر ما تكره هذا الأمر أو تكره دارن، فما كانت حالنا على ما هي عليه الآن لولاه.

استيقظت لأعد القهوة في الأسبوع الأخير من عطلتي في ساوثمبتون، في عطلة يوم العمال، كان دارن نائماً على الأريكة في منتصف غرفة المعيشة، لم أكن قد رأيته من قبل، ومن المؤكد أنه لم يكن هناك حين خلدت إلى النوم. حينها لم يكن من الغريب رؤية أشخاص غريبين نائمين على أرائكنا أو حتى على أرض غرفة المعيشة، لأن سابرينا صديقة أليكسز كانت قد اعتادت أن تحضر معها أشخاصاً إلى المنزل. مشيت بهدوء على أصابع قدمي بالقرب منه متوجهة إلى المطبخ لأعد بعض القهوة للموجودين.

بعد رحيلك تغير أسلوب نومي كلياً. ففي اللحظة التي كنت أستيقظ بها، كنت أنهض على الفور، متجاهلة الساعة المبكرة ومتجاهلة آثار الثمل، لأني لم أكن أطيق لحظة واحدة وأنا مستلقية بدونك. فصنع القهوة بات عملي اليومي الصباحي في ذلك الصيف.

t.me/ktabpdf مكتبة

كان المنزل يعج بالناس طوال الوقت، وحاولت جاهدة ألا أبدو وكأنني نهضت لتوي من الفراش.

في ذلك الصباح، ارتديت زي السباحة الأحمر، فكان المفضل لديّ في ذلك الصيف، مع سروال قصير. ورفعت شعري بمنديل مزركش مسدلةً خصلة شعر من مقدمة رأسي فوق عيني اليسرى. كان لون بشرتي قد مال للاسمرار إثر قضائي تلك العطلة بالقرب من الشاطئ. ركوب الدراجة إلى الشاطئ يومياً حسّن من بنية جسدي أكثر مما كنت أتوقع. أحببت ما كنت أرى في المرآة ذلك الصيف. غالباً ما كان عليّ أن أمنع نفسي من التساؤل ماذا كنت لتقول لو رأيتني، إذا كان سيعجبك أنت أيضاً أم لا.

في حين كانت آلة صنع القهوة على وشك أن تنهي عملها، كان دارن قد استفاق. دخل المطبخ وألقى عليّ التحية بطريقة تافهة. كانت أكثر شيء تافه سمعته في حياتي. أو لعلها لم تكن نكتة. فهو لم يعترف أبداً. كانت إحدى الجمل السخيفة التي لا يمكن أن تتفوه بها أنت. سألني: "هل مت واستفقتُ في جنة من القهوة؟ لأنك تبدين كملاك صنع القهوة". ومع ذلك ابتسمت قليلاً. كان شعره منسدلاً لكنه لم يكن مرتباً من أحد الجوانب حيث كان مستلقياً على الأريكة. كان يرتدي سروالا داخلياً وقميصاً مكتوباً عليه: نيوجرسي- البقاء للأقوى.

لم يسعني سوى التساؤل عن مكان باقي ملابسه. أعطيته أول فنجان قهوة وقلت له وهو يرتشف منه: "لست ملاكاً، بل أنا لوسي".

قال وهو يمد يده: "وأنا دارن. هذه القهوة ممتازة".

أجبته: "طحنت حبات البن البارحة. جلبتها من محل بيع البن في البلدة".

أخذ رشفة أخرى وقال: "لا بد أن صديقك الحميم محظوظ جداً لمواعدته فتاة تعد قهوة كهذه". حرقت الدموع عيني رغماً عني حين قلت: "ليس لديّ صديق حميم".

قال وهو يرتشف المزيد من القهوة: "حقاً؟". لاقت عيناه عيني من خلف حافة فنجان القهوة. قارنته بك حينها. قارنت شعره المسبل بشعرك المجعد، قامته القصيرة وبنيته العضلية مقابل قامتك الطويلة والهزيلة، عينيه البنيتين بعينيك الزرقاوين. قلت له: "سأذهب لأوضب أغراضي، سأذهب إلى الشاطئ. وسأقول لك سعدت للقائك، تحسباً، في حال غادرتَ قبل أن أخرج من غرفتي".

هز رأسه وقال وهو يحمل فنجانه: "شكراً على القهوة يا لوسي".

t.me/ktabpdf

مكتبة

XXVI

كان قـد غـادر قبـل أن أخـرج من الغرفـة. أو بالأحرى لم أخرج مـن غرفتـي حتـى تأكـدت أنـه غادر وأصدقـاؤه. لكن لا بد أنه سـأل سابرينا عني، لأنه أرسل لي بطلب صداقة على أحد مواقع التواصل الاجتماعي في اليوم التالي، ورسالة يسألني فيها عن اسم المتجر الذي ابتعت منه البن.

تبادلنـا الدعابـات عبـر الرسـائل، ثـم دعانـي لشـرب القهوة مع الشـوكولا في مكان ما قرأ عنه في بارك أفينيو. كان مسـاء يوم أحد، ولـم يبدُ موعداً غرامياً، وهذا ما أراحني. لـم يكن لديّ شيء للقيام به، فلـم أجـد ضيـراً مـن الذهاب. لن أكذب وأقول إنني لـم أُفكّر بك. في الحقيقة فكرت بك كثيراً.

وبالرغـم مـن ذلـك، كان هناك لحظات من المـرح والدعابات، ولحظـات كادت القهـوة فيهـا تخرج من أنف دارن من كثرة الضحك على وصف الثنائيات التي كانت موجودة هناك أيضاً. كان ذلك أفضل وقت أمضيته منذ شهور دون أن أكون ثملة. عندما دعاني إلى العشاء بعد أسـبوع وافقت. صحيح أنه لم يكن أنت، لكنه كان ذكياً ووسـيماً ويجعلني أضحك. لقد أرادني، وجعلني أنسى أمرك، ولو لمدة قصيرة.

t.me/ktabpdf مكتبة

XXXVII

أصرّ دارن على أن يقلني من شقتي من أجل موعدنا. كان يرتدي بذلة وشعره مسرّح إلى الخلف، وكنت يومها قد ارتديت إلى العمل فستاناً جديداً مخططاً باللونين الأصفر والأبيض، وانتعلت صندلاً، لكنه بدا متأنقاً أكثر مني.

لا بد وأنه رآني أحدق إلى بذلته لأنه قال لي: "إنه لباس العمل في المصرف، فلم يكن لديّ الوقت لأبدل ملابسي".

ابتسمت وقلت: "تبدو ظريفاً في هذه البذلة". كنت قد أدركت هذه الحقيقة وأنا أقولها. كانت كتفاه أعرض من منطقة خصره، وكانت البذلة محاكة لتناسب ذلك.

وأنا على وشك أن أقترح تغيير ملابسي قال لي: "لكنك تبدين أكثر ظرافة مني في هذا الفستان. في الحقيقة إذا أقمنا منافسة الآن، وجعلنا أشخاصاً حياديين يصوتون لعنصر الظرافة في لباسي ولباسك، ستفوزين".

لم يسعني سوى الضحك وكررت جملته: "عنصر الظرافة في لباسنا؟".

فأجابني: "هذا هو المصطلح المستخدم".

لم يكن مثلك. فأولاً كان أكبر منك سناً، كان في التاسعة والعشرين، كان أهدأ منك وأكثر اتزاناً. متزناً كما كانت تقول جوليا.

t.me/ktabpdf

مكتبة

لقـد كان الشـخص الوحيـد القادر علـى إضحاكي منذ رحيلك، وهذا عنى لي كثيراً.

ثنـى ذراعـه وعرضهـا علـيّ لأتأبطها وقـال: "سـيدتي"، فتأبطتها وأغلقت باب شقتي. في الحقيقة، كنت أتطلع لتناول العشاء معه.

XXVIII

بعد العشــاء تلك الليلة قال دارن أنه سيمشــي معي إلى المنزل. كان شـيئاً لطيفاً. حتى إنه مشــى على الرصيف في جهة الشـارع وقال إنه فعل ذلك ليمنع وصول الماء إليّ، في حال مرت سيارة فوق بركة ماء صغيرة بالقرب منا.

أجبته: "حسـناً، وماذا بشـأن السـيدات؟ ما الذي يتوجب عليهن فعله؟".

أجابني: "لا شيء أكثر مما تقومين به أصلاً" ما جعلني أضحك.

"أتعلمين أني عملت دليلاً سياحياً في جامعة بنسلفانيا، وأصبحت مؤهلاً كمرشد للقيام بجولات في بروسبيكت هايتس".

سألته: "حقاً". وأنا لست متأكدة ما إذا كان يتكلم بجدية.

بـدأ يتكلـم بلهجـة شـخص مـن طبقـة اجتماعيـة عليا قـد تبرع بمبنـىً لجامعـة مـا. هـذا جعلني أضحك على الفـور. فقد بدا مثل آل شيرمرهورن أو آل هافرماير أو آل هارتلي، فهناك مبانٍ جامعية سُميت على أسـمائهم. لطالما تسـاءلت عنهم حين كنت في الجامعة. كنت أتخيلهـم يعيشـون فـي بيـوت فخمة في مكان مثـل أرمونك ويقضون الصيـف فـي حدائـق مارثا. تخيلت السـيد شـيرمرهورن يرتدي ذلك البنطال الأحمر الذي يرتديه الجميع في جزيرة نانتاكيت ويضع سمرة صناعية. أما السيدة هافرماير فلم يسبق أن غادرت منزلها بدون ماسة

t.me/ktabpdf

مكتبة

من عيار ثلاثة قيراطات تتدلى من كل أُذن. ولديها ثلاثة أولاد تتولى رعايتهم ثلاث جليسات أطفال، كل منهن أثّرت في شخصيتهم بطريقة مختلفة. كانت هذه السيدة مهووسة بالرقم ثلاثة. وكان لآل هارتلي كلاب استعراض. كورغيس كان يشبه ملكة إنكلترا.

أعتقد أنه يمكنني تتبع أخبارهم على الإنترنت هذه الأيام إذا أردتُ ذلك، لكن هذا سيفسد القصص التي رسمتها في مخيلتي.

لم أفكر بتلك القصص منذ وقت طويل. استدار دارن إليّ، وبصوت كصوت أحد أفراد عائلة شيرمرهورن قال: "ذلك المنزل هناك هو منزل أشتون كرانتستون ويلينغتون ليدز الرابع من عائلة ليدز التابعة لكينسينغتون، القسم النبيل من العائلة. الجميع يعلم عن آل ليدز التابعين لكلاسغو أنهم مقامرون ومحتالون ويسرقون الأحصنة. يستخدمون ملاعق صغيرة لتناول الحساء والشوكة لتناول الحلوى. يا للعار. في الحقيقة هناك اقتراح حول إضافة اسم المنطقة إلى الكنية لتصبح كينغستون-ليدز، تحسباً للالتباس".

ضحكت بشدة على هذا لدرجة أني كدت أشخر، الأمر الذي جعلني أضحك أكثر.

أكمل حديثه بصوت شيرمرهورن: "سمعت أن هذا هو سبب تركيب كنية جوليا لويس-درايفس بهذا الشكل. فباقي عائلة درايفس كانوا فظيعين. الأمر ذاته مع وول-مارت فباقي عائلة مارت.. انسي الأمر. فالالتباس ليس مهماً جداً".

في كل مرة كنت أحاول فيها أن أجيبه كانت القهقهات تقاطع كلماتي. التففت ودارن عند الزاوية متجهين إلى شقتي. توقفنا أمام المبنى الذي أسكن فيه. توقفت عن الضحك حين رأيت نظرته إليّ.

كان سيقبلني. حاصر الذعر رئتي.

فأنا لم أقبّل أحداً منذ مغادرتك.

لم أرد أن أقبل أحداً بعد مغادرتك.

"أنـا.." بـدأت بالكلام متلعثمة، لكنني في الحقيقة لم أكن أدري ماذا سأقول.

لا بد وأن دارن رأى النظرة على وجهي، فبدل أن يقبل شـفتي، انحنى وقبل رأسي.

قال لي: "أشكرك على هذه الليلة الممتعة، أتمنى تكرارها".

هززت رأسي موافقة إياه.

ابتسم وقال: "سأتصل بك".

كنت حينها قد التقطت أنفاسي.

أجبته: "بالطبع" لأنني اسـتمتعت بوقتي معه ولأن قضاء الوقت معـه كان أفضـل مـن بقائـي وحدي في المنـزل أو أن أقضي الليل في منزل أليكسز.

حين غادر أدركتُ أنني مستاءة لمغادرته. كان العالـم أفضل حين كنت برفقته، وأحببت هذا كثيراً.

بعد ذلك توجهت إلى شقتي وعدت إلى التفكير بك.

t.me/ktabpdf مكتبة

XXIX

في اليوم التالي، اتصلت بأليكسز. سألتها: "ماذا أخبرت دارن عني؟".

أجابت متسائلة: "أنا؟ لا شيء".

كنت أفكر بتلك القبلة على جبيني طوال الصباح، ثم أدركت أن أحداً ما قد أخبره شيئاً. لا بد وأن أحداً قد أخبره ألا يتسرع.

"حسناً، لستِ أنتِ، لكنِ ماذا عن سابرينا؟ ماذا أخبرته؟".

أخذت أليكسز نفساً عميقاً. كنت أستطيع تصورها وهي تمرر يدها بشعرها وهي تتكلم على الهاتف. لم أرها منذ سنة، منذ آخر رحلة لي إلى لوس أنجلوس. كانت جزءاً كبيراً من حياتي حينها، لكنها لم تعد كذلك. من المحزن أنني لم أعد أفتقدها. أعتقد أن الناس يتغيرون والحياة تتغير. أنا وأنت نعلم هذا أكثر من أي شخص.

قالت أليكسز عبر الهاتف: "أخبرته أنك خرجت للتو من علاقة جدية، أخبَرَته أن يصبر وألا يزعجك".

لم يعجبني سماع هذا، على الرغم من أن سابرينا كانت على حق بقولها كل تلك الأشياء.

سألتها: "وماذا قال؟".

"قال إنه لن يجرحك، بل سيساعدك على شفاء جراحك القديمة".

أسندت رأسي إلى الأريكة وقلت: "ما هذا الهراء؟ ما قصته؟

t.me/ktabpdf

مكتبة

هل يعاني من عقدة مساعدة أو ما شابه؟ أو حاجة ملحة ليكون بطلاً مثلاً؟".

قالت أليكسز: "إنه شخص طيب حقاً، وعلى عكس أصدقائه فهو شخص نزيه فعلاً، ولا أقصد أن غيب لم يكن كذلك.. لكن.. أعطِ دارن فرصة يا لو".

شعرت بالدموع تملأ عينيّ مجدداً عندما نطقتْ اسمك. كان عليّ إيقاف هذا، ولم يكن لديّ أي فكرة كيف أفعل ذلك.

قلت وأنا أمسح أنفي بظاهر كفي: "لا أعتقد أنني أستطيع".

قالت أليكسز: "يتطلب الأمر رجلاً آخر لتنسي أمر الرجل السابق. وصدقيني فأنا أعرف ما أقول".

أصدرت صوتاً ما بين الضحك والبكاء حينها.

أكملت أليكسز: "هيا أعطيه فرصة أخرى. سيريك أن هناك رجالاً رائعين وأذكياء في هذا العالم يعتقدون أنك رائعة".

هززتُ برأسي موافقة رغم أنها لن تستطيع رؤية هذا وقلت: "حسناً، سأعطيه فرصة".

فأجابت: "ولا أريد منك أكثر من ذلك، إلا ربما أن نلتقي مساء يوم الجمعة مثلاً؟ أتذكرين ذلك الشاب المثير الذي التقيته في القطار؟ سيقدم عرضاً في منطقة لور إيست سايد. هل بإمكانك الذهاب معي؟".

سألتها: "أتقصدين ذلك الشاب أخضر الشعر؟".

فأجابت باشمئزاز: "كلا، كلا. ألم أقل لك؟ كان ينقر أنفه أثناء العشاء فلم أخرج معه بعدها. إنه ذلك الشاب ذو اللحية والنظارة من نوعية بادي هولي".

أجبتها: "أجل أجل عرفته، سأذهب معك".

على الرغم من أنه كان آخر شـيء أريد رؤيته هو عرض لشـاب غريب الأطوار التقت به أليكسز على متن القطار. لكن كان هذا أفضل من أن أجلس وحدي لأتذكرك وافتقدك.

XXX

لم يحاول دارن تقبيلي مجدداً في المرات التي تلت ذلك الموعد إلى أن أتى الهالووين.

سألني عندما اتصل بي بعد أيام قليلة من آخر لقاء لنا: "أتريدين مرافقتي إلى حفلة الهالووين في العطلة؟ أعدك بأننا سنمرح".

وهذا ما يميز دارن، فكنت دائماً أمرح وأنا برفقته. التواجد معه كان سهلاً ومريحاً. وكنت أتطلع للخروج معه أكثر فأكثر وأفكر فيك أقل. وكان هذا شيئاً جيداً، لأني لم أسمع منك أخباراً بعدها، ولم أحاول الاتصال بك. كنت قد بدأت أشعر برجاحة عقلي عندما لم أعد أنتظر وصول رسالة منك، مع أنك لم تكن قد خرجت من حياتي بشكل نهائي. فبين الحين والآخر كنت أرى صورك المنشورة في مجلة نيويورك تايمز، وكان اسمك يخطر ببالي وأنا أركب القطار. في كل مرة كان يحدث فيها هذا كان قلبي يخفق بسرعة، وأشعر بالغثيان، وأبقى شاردة الذهن طوال اليوم. لكني لم أشعر بأي من هذا عندما كنت برفقة دارن.

سألته: "حفلة الهالووين؟" وقلت: "حسناً، يبدو هذا جيداً. هل سنحتاج لزي تنكري؟".

قال وكأنه يحدث شخصاً آخر مع أنه يعيش وحده في المنزل، وأنا كذلك: "إنها تسأل إذا كنا سنحتاج لزي تنكري". وأكمل: "بالطبع

t.me/ktabpdf

مكتبة

سنحتاج لأزياء تنكرية. كنت أفكر بزي سجين أزكبان، يمكننا أن نكون هاري بوتر وهيرميوني. أو ربما سأذهب كشخصية سبايدرمان وأنت كأم جاي". لم يسـعني تلك اللحظة سـوى التفكير أنه لن يخطر لك أبداً أن تقترح هذين الزيين في حياتك كلها.

فـي العام السـابق تنكرنا كقابـس ومقبس كهربائي، أتذكر؟ كان هذا نمط الأزياء التي تختارها، التي كلانا يختارها بالواقع.

سألت دارن: "ستختار إذاً زياً دارجاً؟".

قال: "حسناً، أريد الاعتراف بشيء".

"تفضل"، أجبته وقلبي يخفق بسرعة وأنا لا أملك أدنى فكرة عما سيقول. كنت قد ندمت أصلاً لعدم تقبيلي له ولأنني لم أحاول أكثر.

"لم يكن لديّ أي اقتراح لأزياء الهالووين فبحثت على الإنترنت عن أزياء هالووين رائجة إن كان لديك أي أفكار أفضل فأنا كلي آذان صاغيـة. فـي الحقيقة لسـت كذلـك. وأنا أيضاً عيـون وأنف وفم و.. أعضاء أخرى كما تعلمين".

ضحكت وارتحت كثيراً.

سـألته مدركـة وللمـرة الأولـى أنني أريد مغازلته وأنني اسـتمتع بذلك: "وأعضاء أخرى؟ حقاً؟".

لـم يُجـب لبرهـة. كنـت أسـتطيع تخيـل وجهه، عيناه تتسـعان ووجنتاه تتوردان.

ثم قال: "لم أقصد...".

فسألته: "ما رأيك بعقدة أوديب كزي لحفلة الهالووين؟ سأرتدي قميصاً طويلاً وأربط حول خصري عقدة كبيرة وأكتب على القميص أوديب وأنت تتنكر كأنك فرويد. سأجد لك سيجاراً".

ضحِك وقال: "أعجبني هذا، يبدو أفضل من سبايدرمان وأم جاي بالتأكيد".

سألته: متى تبدأ الحفلة؟".

"تبدأ عند الساعة التاسعة، في منزل غافن وآرجيت. أتذكرين آرجيت من العطلة في هامبتنز".

أجبته: "لا. لا أعتقد أني أتذكره".

"سنلتقي بهما في الحفلة على أية حال. ما رأيك أن أجلب البيتزا وآتي إلى منزلك عند الساعة الثامنة. يجب أن نتحصن قبل الذهاب إلى تلك الحفلة فأنا لا أعلم ما الذي سيقدمونه من طعام فيها".

"حسناً. فكرة جيدة. أعتقد أنني أملك قميصاً طويلاً في مكان ما. سأبحث غداً عن قلم تخطيط للملابس".

سأل دارن: "وماذا عن السيجار؟ في الواقع أعتقد أنني سأجلبه بنفسي".

"حقاً؟".

فارتبك مجدداً. "اهدأ، إنني أحاول إغاظتك فقط. سأراك مساء السبت."

حلت ليلة السبت، ووصل دارن إلى شقتي مرتدياً بذلة رمادية من ثلاث قطع وربطة عنق مقلمة ويضع لحية بيضاء مزيفة حاملاً علبة بيتزا بيد وسيجاراً باليد بالأخرى.

سألني: "هل أشبه فرويد؟".

أجبته: "أجل. كثيراً. وهل أبدو أنا كعقدة أوديب؟".

كان شعري مسدلاً ومسبلاً وكنت أرتدي قميصاً حتى ركبتي

كتبت عليه باللون الأحمر أوديب ووضعت عليه عقدة كبيرة. لم أكن متأكدة أي حذاء يناسب الزي أكثر فاخترت خفاً فضياً. وضعت أحمر شفاه يطابق لونه لون الكتابة على القميص، اللون الأحمر الفاقع.

ابتسم دارن من خلف لحيته البيضاء المزيفة وأجاب: "أجل بكل تأكيد".

شيءٌ ما بيننا كان قد تغير تلك الليلة. فبدل ثنيه لذراعه لكي أتأبطها، أمسك بيدي بينما مشينا إلى شقة صديقيه. بدأنا باللعب فور وصولنا الحفلة. من لعبة تتضمن الشراب إلى أخرى ما جعلنا ثملين.

كان دارن يتتبعني بعينيه من حيث يكون وكأنه يتأكد إذا كنت بخير أو إذا كنت لا أزال هناك. أتذكر ذهابي معك للحفلات. فعيناي كانتا تجولان في الغرفة بحثاً عنك كما عيني دارن تجولان بحثاً عني. كان جميلاً أن تنقلب الأدوار.

كنت أتحدث مع بعض الفتيات عن شيء ما حين قال دارن لي: "أنا متعب قليلاً".

فالتفتُ إليه وقلت: "وأنا أيضاً. هلا نذهب؟".

هز برأسه وقال: "سأذهب لأُحضر المعاطف. لنلتقي عند الباب".

ودعتُ الفتيات وتوجهت إلى دارن حيث كان يكلم غافن. كنت قد سمعت عنه لكننا لم نلتقِ من قبل.

قال دارن بينما كنت أقترب: "هذه لوسي".

فقال غافن: "إذاً أنتِ هي تلك الدمية".

سألته: "أنا ماذا؟".

t.me/ktabpdf

مكتبة

ثم رأيت دارن يرمق غافن بنظرة فقال غافن بسرعة: "إنك جميلة جداً.. كالدمية".

شكرته وأنا أبتسم. علمت أن هناك شيئاً ما يخفيانه.

حين غادرنا الحفلة تلك الليلة كنت فرحة جداً ومتشوقة لأن دارن كان يمسك يدي.

سألني: "أيمكنني أن أمشي معك إلى المنزل؟".

أجبته: "أجل بالطبع".

نظرت إلى شفتيه البارزتين من لحيته الفرويدية تلك. لو أنه حاول تقبيلي قبل ثلاثة أسابيع لكنت هلعت وربما لامتنعت عن رؤيته مجدداً. لكنني أردته حينها. أردت تقبيله. صحيح أنه لم يكن أنت، ولن يصبح أنت أبداً، لكنه كان طريفاً ولطيفاً وذكياً. كان ثمةَ شيء رائع حول هذا. توقفنا عند باب شقتي. وقفنا متقابلين. أزال اللحية ووقعت عيناي على شفتيه مجدداً.

قال: "لوسي.. لا أريد أن أتسرّع لكنني أريد أن..".

قاطعته وقلت: "تقبلني".

فرفع حاجبيه.

أكملت: "تريد تقبيلي. لا بأس، هيا قبّلني".

انحنى نحوي فالتقت شفاهنا وسط هواء الليل الدافئ واللطيف. تلاصق جسدانا. شممت رائحة عطره من نوع كينيث كوول ريأكشن الذي بدأ أغلب الشبان في العمل بوضعه في تلك الفترة. رائحته كانت مختلفة عن رائحتك وقُبلته كانت مختلفة عن قبلتك.

أطبقت عيني لبرهة لأنزل الدمع منهما ثم افترقت شفاهنا. نظر دارن إليّ ثم ابتسم. تساءلت ما إذا كان يجب عليّ أن أدعوه للدخول.

t.me/ktabpdf مكتبة

لم أرد ذلك لكنني بالمقابل لم أرده أن يعتقد أنني لست مهتمة به.

أوقفني وسط حيرتي وقال: "عليّ الذهاب.. هذه الليلة كانت رائعة.. ألديك أية مشاريع يوم الخميس؟".

ابتسمت وأجبته: "كلا".

فانحنى ليقبّلني مجدداً. قال إنه سيتصل بي ثم غادر ودخلت الشقة.

XXXI

من الغريب أن تختبر نفس المواقف لكن مع أشخاص مختلفين. تراقب كيف يتصرفون وإذا كانوا يلاقون توقعاتك أم يخالفونها. كان هـذا يحـدث كثيـراً خلال علاقتي بدارن. كنت أعتقد أنك نموذج عن الرجـال. أنـك تتصـرف كسـائرهم. لكنني كنت مخطئـة، فليس هناك مقياس.

أول صباح خرجنا فيه أنا ودارن للركض كان صباح اليوم الثاني الذي بات فيه دارن عندي. كان قد عاد من العمل ومعه حقيبة مخصصة للنادي الرياضي. في الحقيقة، لم يكن يستخدمها في النادي. قال إنه كان ينـوي الذهـاب بعـد أن ينهـي عمله في المكتب، لكن ثمة خطب مـا فـي قطـار الأنفـاق. صدقته حينها. لكن في ذلـك الصباح بينما كنا نركـض اعتـرف بالحقيقـة. كان قد وضّب الحقيبة على أمل أن أدعوه لقضاء الليلة عندي، وبهذا يكون لديه ما يحتاج إليه من ملابس وليس مجرد لباس العمل.

سألته: "لكن ماذا لو أنني لم أدعك للدخول؟".

أجابني: "كنت سـأحمل حقيبتي تلك وأعود إلى المنزل لأزيل أحزاني بتناول الكعك المملح المغمس بزبدة الفستق..".

سألته متعجبة: "كعك مملح مغمس بزبدة الفستق؟ حقاً؟".

أجابني: "إنه مزيج شهي صدقيني. يمكننا أن نجلب البعض منه

في طريق عودتنا إذا أردتِ."

كان دارن أسرع مني، لكنه لم يكترث لذلك. انتظرني حتى بدأت بالركض ثم لحق بي لنكون معاً. كان هذا فعلاً لطيفاً.

هل لاحظت أنني نادراً ما كنت أقبل أن أركض معك. لم نتحدث عن هذا مطلقاً. لربما كان يجدر بنا التحدث. عندما كنا نركض سوية كنت أشعر أنني أعيقك.

بدأت بالتباطؤ فسألني: "هل أنت بخير؟".

أومأت برأسي بينما ألتقط أنفاسي وقلت: "أستطيع أن أتابع لقليل من الوقت".

فأجابني وهو يبطئ خطواته: "لستِ مضطرة لفعل هذا".

قلت له بينما أخفف من سرعتي أيضاً: "بإمكانك أن تتابع الركض. أكمل تمريناتك".

هذا ما كنت تفعله بعد أن أتعب. أومأ رافضاً ثم قال: "أفضل أن أمشي معك على أن أركض وحدي. إن المشي جيد أيضاً. فكمية السعرات الحرارية التي تحرقينها حين تمشين لمسافة ميل هي نفسها حين تركضين المسافة عينها. إنك فقط تستغرقين وقتاً أقل عند الركض".

نظرت إليه متسائلة ما إذا كان صادقاً في قوله. بدا وكأنه يقول الصدق. قلت: "كما أنك تبقى أقل عرضة للإصابة بأمراض القلب".

هز كتفيه ثم قال: "هكذا سيسعني قضاء وقت أكثر معك."

في ذلك المساء، مارست معه الحب للمرة الأولى. كان الأمر مختلفاً عما كان معك. ليس للأسوأ، فقط مختلف. كان أمهل منك

t.me/ktabpdf مكتبة

وأكثر مراعاة. فكان يتفقد إذا كنت أستمتع بما يفعل وإذا كان هناك شيء أريده أن يفعله. في البداية وجدت الأمر مربكاً. لكن ما لبث أن بدأ يستهويني. بدأت إخباره بما أريده أن يفعل، وهذا أمر لم أقم به معك مطلقاً.

قلت له: "ضع ساقيّ على كتفيك".

ففعل هذا ... وهمس بينما يسرع: "يا إلهي".

أجبته: "أعلم".

كانت عيناي مغمضتين وأنا أشعر به ...، فقلت له: "إذا أبقيت على فعل هذا سأبلغ ...".

فقال: "وأنا أيضاً. سنبلغها سوية".

فتحت عيني ورأيته ينظر إليّ. لون عينيه في الحالة الطبيعية غامق، لكنهما بدتا الآن سوداوين. بدأت أتنفس بشكل أسرع، وهو أيضاً. كنا قريبين جداً من بلوغ... وكنا ننتظر بعضنا. فسألني: "الآن؟".

أجبته: "أجل، الآن".

شعرت بالدموع تملأ عيني حين بلغتها ثم سالت على وجنتي وصولاً إلى أذُني.

سألني بعد أن أزال ... واستلقى بجانبي: "هل أنت بخير؟".

فأجبته: "بأفضل حال".

أجابني: "وأنا أيضاً". ثم ضمني إليه وبقينا مستلقيين مكتفيين بالتنهد، بدون كلام. فكّرت بك حينها لوهلة. فكّرت كيف أن كل شيء مختلف مع دارن. لكني معه لم أنهر أو أتحطم. ربما يتطلب الأمر رجلاً آخر لنسيان أمر الرجل السابق أو ربما كان يساعدني على لم شتاتي.

t.me/ktabpdf مكتبة

XXXII

يمكنك أن تعرف كثيراً من مراقبة الثنائيات في حفلات الزفاف. فمنهم من يتصرف بحب شديد فيلف الثنائي بعضهما بينما يشاهدان الزوجين يتلوان عهودهما. وهناك النوع الذي يحدق أمامه مباشرة أثناء مراسم الزواج غير مبالٍ بالشريك، وينتهي الأمر بهذا الثنائي ثملين على خشبة الرقص. يبدون وكأنهم يستمتعون بوقتهم لكنهم في الحقيقة تعيسون في داخلهم. أحياناً يصعب تحمل حفلات الزفاف إذا لم تكن مرتاحاً بعلاقتك مع الشريك.

تواعدت ودارن لثلاثة أشهر حين تلقيت دعوة زفاف جيسون وفانيسا. كان جيسون قد أخبرني أنه يمكنني أن أحضر شخصاً معي إذا أردت، في حال كان هذا الشخص شاباً ما أو كيت، أليكس أو جوليا. أيّاً كان سيجعلني أسعد.

تحدثت إلى كيت لساعات عن هذا. كانت قد اقترحت أن تأتي هي بالطبع. لكن فكرة ذهابي إلى زفاف أخي مع صديقة طفولتي بدلاً من صديقي الحميم جعلتني أرتبك.

يمكنني تخيل نظرات الشفقة في عيون أصدقاء أهلي. لم أكن أريد أن أكون مِن مَن يُشفَق عليهم. فكّرت في أن أذهب وحدي لكنني لم أكن متأكدة ما إذا كنت سأتحمل البقاء وحدي خلال الحفلة. كنا حتى ذلك الوقت منفصلين منذ سبعة أشهر ومع ذلك لم أكن أستطيع

التحدث عنك دون أن تحرق الغصات حنجرتي. كنت لا أزال أتجنب تناول الكعك المحلى..

بقيت كيت تقول: "خذي دارن".

لم أكن متأكدة بعد.

أجبتها: "لكن لم يمضِ على علاقتنا سوى ثلاثة أشهر ولا أعلم ما إذا كنا سنستمر".

فكررت السؤال: "ثلاثة أشهر فقط؟ لكم من الوقت تواعدتما أنت وغيب قبل أن تنتقلان للعيش سوية؟"

فأجبتها: "كان ذلك مختلفاً. فقد كنا نعرف بعضنا قبل ذلك. دارن رائع لكن الأمر معه مختلف عما كان مع غيب".

قالت بنبرة سيدة كبيرة في السن: "هل تستمتعين مع دارن؟".

فأجبتها "أجل".

أكملتْ متسائلة: "هل تعتقدين أنك ستستمتعين بوقتك معه في حفلة زفاف أخيك؟".

قلت: "أجل، أعتقد ذلك".

فقالت: "إذاً انتهت القضية. عليك بدعوته."

كنت قد انتظرت شهراً كاملاً قبل موعد الزفاف، إلى اليوم الذي كان جيسون وفانيسا يريدان تأكيد عدد المدعوين، حتى سألت دارن.

أجاب: "حقاً؟ زفاف أخيك؟".

شعرت بحرارة في وجهي. ففي جميع محادثاتي مع كيت كنت أفترض أنه سيريد الذهاب.

فسألته: "ألا تريد ذلك؟".

أجابني: "بالطبع أريد ذلك. شكراً لك على الدعوة".

مكتبة t.me/ktabpdf

ثم ابتسم أصدق ابتسامة. تلك الابتسامة التي تبدو وكأن أحد ما رسم نصف دائرة بدقة وملأها بصفين من الأسنان. فأجبته: "على الرحب والسعة. سنمرح كثيراً."

وضع إصبعه على شفتيه وسألني: "إنه بعد شهر أليس كذلك؟".

فأومأت برأسي ثم أكمل وقال: "سيبدو هذا سخيفاً لكن أعتقد أن هذه إشارة".

"إشارة إلى ماذا؟".

فأجاب وهو يضع يده في حقيبته ليسحب إعلاناً ملوناً: "من أجل هذا".

أعطاني إياه وقال: "أعطاني إياه شخص في محطة القطار قرب مكتبي، وشيء ما في داخلي جعلني أمتنع عن رميه."

كانت تلك الورقة قسيمة بقيمة حسم 50 بالمئة على بضعة دروس رقص، وعليه كتب التالي: **تعلم الفوكستروت، التشاتشا والتانغو وعش حياتك.**

فضحكت وقلت: "أحقاً تريد القيام بهذا؟".

لم تكن لتقترح شيئا كهذا أبداً.

أجابني: "بصراحة، لست براقص ممتاز، بالإضافة إلى أنني أعتقد أنها ستكون تجربة مضحكة جداً. حسم خمسين بالمئة؟ من يقدم عرضاً كهذا؟" ورفع كتفيه مستهجناً. شيء ما بطريقة رفعه لكتفه كان محبباً على قلبي. قبّلته ثم وضعت ذراعيّ على كتفيه وأسندت رأسي على رأسه. كان شعوراً جميلاً.

بعد انقضاء أربعة أسابيع في دروس الرقص لم نكن قد أحرزنا تقدماً كبيراً وعلى الأرجح أننا كنا أسوأ من في الصف، ولكن بالمقابل

t.me/ktabpdf مكتبة

كنا نستمتع بوقتنا. كنا نضحك كثيراً لدرجة أن مدربة الرقص كانت تحاول إسكاتنا طوال الحصة، وأثناء درس التانغو أخبرتنا أنه علينا المغادرة إذا لم نأخذ دروس الرقص على محمل الجد.

أثناء مراسم الزفاف، وقفت إلى جانب وصيفات الشرف، وأبقيت نظري مثبتاً على دارن ونظره يتنقل بين برنامجه وبيني، ثم إلى فانيسا وجيسون.

مكتبة

حين بدأت الحفلة أخذني دارن إلى خشبة الرقص. حاولنا رقص التشاتشا، التانغو والفوكستروت فتعثرنا كثيراً وضحكنا أكثر.

في وسط رقصة التشاتشا علق كعب حذائي بطرف فستاني، فتعثرت إلى الأمام مرتمية بين ذراعيّ دارن فقال: "إنها طريقة جيدة للتعثر".

بعدما ساعدني على النهوض، انحنى ليحرر فستاني، فشكرته بينما كنت ألملم أطراف فستاني كي لا أتعثر فيه مجدداً.

فقال: "إنه لشرف يا سيدتي".

فلم أستطع أن أحبس ضحكتي فقال عمي جورج من حيث كان واقفاً يأخذ صوراً بإحدى الكاميرات ذات الاستعمال لمرة واحدة التي وزعتها فانيسا في الصالة: "هل سيكون زفافكما التالي؟".

شعرت بوجهي يحمر ونظرت إلى دارن آملة ألا يكون قد ارتبك من سؤال كهذا، لأن هذا ما حصل لي لكنه اكتفى بالابتسام وقال: "إذا كنت محظوظاً".

حاولت تخفيف حدة الهلع في قلبي. فأنا لم أكن مستعدة للتفكير

بالمستقبل بعد، لكن لم يسعني سوى التفكير في أن أي امرأة ستكون من نصيب دارن فهي محظوظة، إنني فقط لم أكن متأكدة ما إذا كنت أريد أن أكون تلك المرأة.

XXXIII

لطالما كان شعوري تجاه عيد الحب غريباً. حتى في المدرسة الابتدائية عندما كنا نكتب بطاقات للجميع في الصف ونضعها في صندوق بريد على شكل قلب كنا نصنعه بأنفسنا من الورق المقوى والصمغ. كنت أقرر بعناية لمن سأعطي كيس الفستق كهدية عيد الحب، هل لتشارلي، جايمس براون أم لوسي التي كانت المفضلة عندي لأننا كنا نتشارك الاسم وتسريحة الشعر ذاتها. كان المقربون مني من الأصدقاء هم الوحيدون الذين تلقوا مني بطاقات معايدة.

وعندما كبرت أصبح هذا اليوم مثل ليلة رأس السنة والرابع من تموز الذي يشعرك أنه من المفروض أن يكون خلاباً لدرجة أن التوقعات تفسد عليك أي شيء فعلته في تلك الليلة فينتهي بك المطاف في حانة ما أو تحت الملاءة وحدك تتأمل السماء وأنت تفكر: كان من المفترض أن أستمتع بوقتي أكثر من هذا.

أول عيد حب بعد أن أنهيت دراستي الجامعية وقبل أن نتواصل أنا وأنت مجدداً بشهر تقريباً، خرجت مع أليكسز، جوليا وسابرينا وشربنا حتى الثمالة، فجوليا لم تنهض حتى الثانية بعد الظهر أما أليكسز فأرسلت لنا رسالة نصية في كل مرة تقيأت فيها والتي أعتقد أنها كانت ست مرات. أما أنا فعانيت من صداع لإحدى عشرة ساعة متواصلة وسابرينا كانت طبعاً بخير.

t.me/ktabpdf مكتبة

ثـم كنـت أنت واحتفالاتك الملحميـة. عيد الحب الذي قضيناه سوية كان رائعاً. كان يوماً لم يكن لأحد غيرك أن يحققه.

فـي حيـن وصلـت إلى المنزل من العمل كنت أنت قد قصصت صوراً لنا على شكل نجوم وألصقتها على سقف الغرفة. عندما رأيت الغرفة اقتبست شكسبير قائلة: "وستجعل وجه السماء جميلاً/ إلى أن يغرم العالم أجمع بالمسـاء/ متجاهلين الشـمس المزخرفة". فأجبت وأنت تلفني بذراعيك: "يا إلهي كم أحبك".

"وأنا أحبك أيضاً". قبلت رأسي بينما كنت أجول بناظري. كنت قد أزحت الأثاث ليتسع المكان لبساط نزهة كبير في منتصف الشقة. كان يوجـد طبـق مـن شـطائر الجبنة عنـد زاوية البسـاط وزجاجة من الشراب في دلو مملوء بالثلج. عندما خلعت معطفي شغلت مختارات من سوناتا شكسبير.

قلت وأنا أعلق معطفي: "كم هذا جميل يا غيب". كل شيء قمت به أذهلني لكن بطريقة ما أحسست أني لا أستحق هذا. فأنا لم أخطط لعيد الحب بقدر ما فعلت أنت.

قلت لي: "بما أن الطقس بارد في الخارج ولن نستطيع الذهاب للتخيم تحت النجوم ففكرت بجلب النجوم إلينا. نجوم شكسبير".

قبّلتك بشدة ثم نزعت حذائي وجلست معك على البساط.

"هـذه أفضـل طريقـة فكرت فيها للاحتفـال معاً". قلت لي وأنت تلتقط شطيرة من الجبنة وسألتني: "هل أنت جائعة؟".

فأومـأت وأنــت تعطينـي إياها. فقضمت منها قضمة ثم قضمت منهـا أنــت أيضـاً. بعدها نظرت إليك وقلت: "هديتي لك ليسـت بهذه الروعة".

مشيت إلى الطرف الآخر من الغرفة، وسحبت حزمة مغلفة من أسفل جهتي من السرير. كان وشاحاً من الكشمير أزرق اللون كزرقة عينيك، كنت قد حكته بنفسي أثناء شهر في فترات استراحة الغداء في العمل، ثم قلت وأنا أعطيك الهدية: "عيد حب سعيد" ففتحتها وأنت تبتسم ثم سألتني: "هل حكته بنفسك؟".

فأومأت برأسي وإحساسي بقلة قيمة هديتي قد زال بعض الشيء. ثم أردفت وأنت تلفه حول عنقك قائلاً: "إنه ناعم جداً".

بقيت تضعه طوال تلك الليلة. قلت لي: "أحببته كثيراً.. أحببته بقدر ما أحبك".

رأيتك توضبه بين أشيائك حين غادرت إلى العراق. هل تضعه هناك؟ هل ذكّرك بي؟ إذا توجهت إلى غرفتك الآن هل سيكون موضوعاً في أسفل أحد الصناديق؟

بعد أسبوعين تقريباً من زفاف جيسون وفانيسا في العام 2005 جاء عيد الحب. دارن ليس هذا النوع من الأشخاص الذي يبتكر نزهات رومانسية في عيد الحب كالتي كنت تخططها. لكنه لطيف وكريم وعلمت أنه سيقوم بشيء للاحتفال بذلك اليوم لكنني لم أكن متأكدة إذا كنت أريده أن يفعل ذلك. لم أكن متأكدة ما إذا كان يجب أن أنفصل عنه بما أني لم أكن متأكدة من أن مشاعري تجاهه كانت بقوة مشاعره تجاهي.

اتصلت بكيت وأخبرتها بما كنت أفكر. قلت لها: "لم أشعر معه بالذي شعرته مع غيب".

سـمعتها تأخذ نفسـاً عميقاً ثم قالت: "عليك أن تكوني منصفة معه لأنني أعتقد أنه كان جاداً بما أجاب عمك في زفاف جيسون".

"أعلـم، وهـذا الـذي جعلنـي أفكر بكل تلك الأمـور. ولأن عيد الحب قد اقترب".

فسألتني كيت: "هل وجودك معه يسعدك؟".

"أجل".

فقالت: "هذا جيد، هل يمكنك تخيل نفسك واقعة في حبه؟".

فكّرت بالأمر، فكّرت في دارن وبكياسته وحس الفكاهة لديه. فكّرت بالأوقات التي كنا نذهب فيها للركض وبذهابنا إلى الحفلات وإعدادنـا للطعـام سـوية. فكرت بجسـده عارياً بالقرب من جسـدي، وأجبت كيت: "أعتقد أنه يمكن حدوث ذلك".

فسألتني: "هل تعتقدين أنه يمكنك الزواج منه؟ لأنه كما تعلمين سـيبلغ الثلاثيـن قريبـاً وسـيفكر بالأمر بجدية إذا لـم يكن قد فكر فيه أصلاً".

حاولت تخيل الأمر. أنا ودارن، زفاف، طفل، العودة إلى المنزل كل ليلة ثم أجبت كيت: "ربما. لا أعلم".

صمتت كيت لبرهة ثم قالت: "إذاً لا أعتقد أنه عليك الانفصال عنه. لو أنك قلت إنك لن تستطيعي الوقوع في حبه أو لا تري نفسك متزوجة منه، لكنت قد نصحتك بالانفصال، وقلت إن بقاءك معه ليس عـادلاً. لكـن بمـا أنك تسـتطيعين هـذا أعتقد أنك تدينيـن لعلاقتكما بفرصة لتري إلى أين يمكن أن تؤول. فقط خذي الأمور بروية".

فأجبتها: "حسناً، يبدو هذا منطقياً".

t.me/ktabpdf مكتبة

أردفت كيت قائلة: "وبالمناسبة، أنا وتوم نخطط لعشاء عيد الحب. أتريدان الانضمام إلينا؟".

تساءلت لوهلة ما إذا كان سبب معارضتها لانفصالنا هو لكي نأتي أنا ودارن إلى ذلك العشاء كثنائي.

"سأكلم دارن وأعلمك لاحقاً".

كنت قد سألته ووافق على الذهاب وسألني: "لكن هل بإمكاننا قضاء يوم الأحد الذي يسبق عيد الحب سوية؟".

"بالطبع، هل تريد أن تقترح شيئاً لنفعله؟".

فأجابني: "لديّ بعض الأفكار".

عيد الحب مع دارن يعني الذهاب في رحلة لابتياع دراجة من متجر في تشلسي. قال لي: " كنت أحاول أن أختار الهدية المناسبة لأقدمها لك في عيد الحب. أردت أن يكون شيئاً يوحي بارتباطنا. كنت أمشي بالقرب من ذلك المتجر حين رأيت لافتة".

ثم أشار إلى لافتة كتب عليها "خاص للحبيبة.. قودي دراجةً مع الحبيب!" وقال: "ذهبت لأرى ما حكاية هذا الإعلان فوجدت أنه يمكننا شراء دراجتين متطابقتين بسعر دراجة واحدة بيوم عيد الحب..".

نظرت إليه وقلت مستغربة: "تريد أن تشتري لي دراجة؟".

هزّ كتفيه ثم قال: "في الواقع أريد أن أشتري دراجتين، لكلينا وربما لاحقاً يمكننا أن نقودهما معاً إما هنا أو في هامبتونز في حال ذهبنا إلى هناك. قيادتنا الدراجات معاً إلى الشاطئ ستكون ممتعة جداً". طرفت عيني بعد برهة من التحديق بعد أن استوعبت أن دارن

t.me/ktabpdf مكتبة

يريد أن يجلب لي دراجة لعيد الحب.

إنها هدية غريبة لكن ما لبثت أن أدركت كم أمعن التفكير بهذه الهدية. أراد أن يجلب لي هدية توحي بأنه خطط لأن نقضي الصيف والربيع سوية فإذا قبلت هذه الهدية هل سأكون قد وافقت على ذلك أيضاً؟ هل أريد أن أوافق على ذلك الأمر؟ فكّرت بركوب الدراجة معه. على الأرجح سيكون ذلك ممتعاً. فكرة قضائنا العطلة سوية في هامبتونز بدل قضاء الوقت وحدي كانت مغرية. أعجبتني حياتي ودارن جزء منها. كنت متأكدة أنها ستظل تعجبني أكثر فأكثر.

قلت لدارن: "إنها هدية كبيرة جداً".

فأجابني: "في الواقع ستكون دراجتك أصغر من دراجتي بقليل".

فضحكت وسألته: "أيجب أن يتطابق لونهما؟".

حك رأسه ثم أجاب: "لا، لا أعتقد هذا، لكن دعينا نذهب ونسأل".

قالها بنبرة سؤال، وكأنه ليس على ثقة إنني سأقبل هديته أو اقتراحه أن نذهب للمتجر أصلاً.

أخذت بيده وقلت: "أجل، لنذهب. وشكراً، في حال نسيت أن أشكرك لاحقاً".

كنت قد خططت أن أقدم له في عيد الحب زجاجة شراب من النوع المفضل لديه، لكن سرعان ما بدلت رأيي فقلت له: "بالمناسبة، سأعيد هدية عيد الحب التي كنت سأعطيك إياها".

فنظر إليّ والحيرة في عينيه. تابعت قائلة: "سأجلب لنا خوذتين متطابقتين بدلاً منها".

t.me/ktabpdf مكتبة

ثـم أشـرت إلـى لافتـة كُتـب عليهـا: تنزيـلات في موسـم البرد خوذتين بسعر واحدة.

فانحنى ليقبل وجنتي وقال لي: "كنت أعلم أنك الفتاة المناسـبة لي". كنت قد بدأت أفكر أنه على حق.

XXXIV

بعد أسبوع على انقضاء عيد الحب، جاءني اتصال من رقم خارجي. لم أتعرف على رمز البلد وكان من المفاجئ أنك لست أول من خطر لي أن يكون المتصل. اعتقدت أنه أحد ما من المحطة في أوروبا من الذين ينظمون عملنا، كان يحاول الوصول إلى فيل لكنه لم يجده، فحاول الاتصال برقمي.

أجبت الهاتف كما أجيبه في العمل: "هنا لوسي كارتر".

لم يجب أحد فقلت مرة أخرى: "ألو؟".

"لوس؟". كنت أنت. كان ذلك صوتك. شعرت به في أعماقي. صدى اسمي من شفتيك جعل جسدي يرتعش. لحسن الحظ أنني كنت جالسة على الكرسي لأنني لا أعتقد أن ساقي كانتا ستحملانني.

"غيب؟"

كنت قد سمعتك تشتم. "ما الذي يجري؟ هل أنت بخير؟".

فأجبتني: "لقد أصبت بكدمات وشفتي قد جُرحت وأضلاعي متورمة".

بدأ قلبي يخفق بسرعة. قلت: "أين أنت الآن؟ ما الذي حصل؟".

"لقد حاولوا أخذ كاميرتي، لكنني ردعتهم فبدأوا يضربونني حتى جاءت مجموعة جنود أمريكيين وأوقفوهم".

"هل أنت في بغداد؟".

t.me/ktabpdf مكتبة

"أجل، أنا حالياً في المنطقة الخضراء. أنا بأمان هنا. أردت فقط أن... أسمع صوتك. أتمنى ألا يكون هناك مانع من اتصالي".

"بالطبع لا مانع".

قلت لك والدموع تملأ عيني من فكرة أنك تريد أن تكلمني وأنت تنزف. تساءلت إذا ما تأذيت يوماً، من سيشعرني بحال أفضل؟ أنت أم دارن أو ربما كيت أو أهلي.

"هل من شيء يمكنني فعله؟".

فأجبتني: "إنك تفعلينه أصلاً. إنك تتكلمين معي. عندما كان هؤلاء الشبان الملثمون حولي فكرت: ماذا لو لم أسمع صوت لوسي مرة أخرى؟ وأنا الآن بخير وأسمع صوتك، وهذا جيد. العالم بخير".

لم أعلم بما أجيب. بعد أشهر من الانقطاع كنت متأذٍ ومشتاق إليّ.

سألتك: "هل ستعود إلى نيويورك عما قريب؟".

"أعتقد أني سأعود في الصيف. ستعطيني وكالة الأنباء الأسبوع القادم عطلة سأزور فيه أمي. ثم يأتي وقت عطلتي في الصيف وكنت أفكر أنني سأزورك حينها. أفتقد الجميع، وأنت خصيصاً".

أردت أن أسألك إذا كنت ستعود بشكل نهائي وإذا افتقدت الجميع لدرجة أن تتخلى عن فكرة عيشك في العراق، وإذا ما افتقدتني كفاية، لكنني اكتفيت بأن أقول "اشتقت إليك أيضاً يا غيب".

كان فيل واقفاً عند مدخل مكتبي وسألني: "هل لديك الملاحظات من اجتماع الميزانية البارحة؟".

حينها أومأت إليه وقلت لك إن عليّ الذهاب، فقلت لي إننا سنتكلم قريباً. لكنني لم أسمع منك مجدداً حتى آخر يوم لك من

زيارتـك لوالدتـك. فعندها أرسـلت لي بريـداً إلكترونياً تقول فيه إنك قد تحسـنت وأنك سـتعود إلى بغداد. حينها، كل القلق الذي شـعرت بـه عندمـا سـمعت صوتك تحول إلى غضـب. كيف أمكنك الاتصال بي وأن تأجج كل تلك المشاعر فيّ إذ لم تكن تخطط لأن تفعل شيئاً تجاه الأمر.

لـم يكـن هـذا عـادلاً يا غيـب. كثير ما طلبته منـي، لو أنني كنت حكمـاً ولـو أن الحيـاة كانت عبارة عـن لعبة كرة قدم، لكنت أعطيتك مخالفة عليه كما كنا نفعل في المخيم الصيفي، لكن لا وجود للحكام في واقعنا ولا يمكن طلب الإعادة.

في تلك الليلة قبّلت دارن بشـدة، لكنني لم أسـتطع إبعادك عن تفكيري. بقيت أفكر كيف كنت تحاول أن تُظهر للناس كم نشبه بعضنا نحن البشر، بأملنا أن نواجه العنف وبالمقابل أنت من تأذى.

لا بـد وأن كان هنـاك مغـزىً مـن كل هذا. أردت أن أحوّل شـيئاً رهيباً إلى شيء مفيد، وأن أتابع بمهمتك بطريقة أو بأخرى.

بعد بضعة أسابيع، اقترحت عنواناً جديداً لحلقة من إت تايكس أي غالكسي. كانت القصة عن روكسي، مخلوقة فضائية رمادية اللون، تذهـب إلـى كوكـب آخر وتلتقط صوراً من أجل كتاب الاهتمام، فهو عبـارة عـن كتيب كانت تجمعه وتشـاركه مـع أصدقائها والجيران في حلقـات لاحقـة. عندمـا وصلت وبـدأت بأخذ الصـور، بعض الناس على ذاك الكوكب لم يفهموا ما كانت تفعله، لماذا تصورهم. فصاروا يضربونهـا بسـبب ذلـك. حـدث جـدل كبير في المكتب بسـبب تلك

t.me/ktabpdf مكتبة

القصة، لكن العنف ضد الأطفال كان شائعاً حينها فاقترح فيل أن نقوم بنشرها. لا أعلم إذا قرأت ما قيل عن تلك القصة لكنها تبقى الحلقة الأكثر جدلاً في تاريخ البرنامج. كانت المرة الأولى التي يعرض فيها عنف جسدي في برامج الأطفال على التلفاز.

كان هناك جدل كبير حولها على الإنترنت، وبدأ النقاد يتكلمون عنها في نشرات الأخبار. فقد رفعت هذه الحلقة مستوى برنامجنا وكانت السبب في تخصيص قناة لنا لمعالجة أمور شبيهة بتلك. أخذت تلك الحلقة برنامجنا إلى منحى جديد كلياً وكانت السبب في حصولي على ترقية أخرى. كان عليّ أن أشكرك على ذلك، على إلهامي بتلك القصة. أنا آسفة لأنني لم أقم بهذا قبلاً. لكنني ها أنا الآن أشكرك.

t.me/ktabpdf مكتبة

XXXV

من المضحك أنه عندما كنا سوية كنت أحياناً أحلم بالمستقبل لكن ليس بالطريقة الصحيحة. كانت الأفكار تأتي متقطعة، كالومضات. كنت أتخيل مقابلة والدتك والتعرف إليها، وأعتذر أنه لم يتسنَ لي القيام بهذا وجهاً لوجه. أو أتخيل أننا انتقلنا إلى شقة أكبر لنتمكن من الحصول على مكتب غير طاولة القهوة.. أو أتخيل أننا ذهبنا في عطلة طويلة. وهذا شيء آخر عليّ الاعتذار عنه أيضاً لعدم القيام به.

مع دارن لم أكن أتخيل المستقبل على شكل ومضات لأننا كنا نناقشه مراراً وتكراراً. كان دارن يخطط دائماً. هو يلعب الشطرنج فأدركت أنه يتعامل مع الحياة كلعبة شطرنج، فكان يخطط مسبقاً لست أو ثماني خطوات ليضمن أن يصل للهدف الذي يسعى وراءه. في أول سنة تواعدنا فيها أنا ودارن، سألني قبل أسبوع من عيد ميلادي إذا كان لديّ "لائحة".

سألته متعجبة: "لائحة ماذا؟".

فأجابني: "لائحة تضعينها لنفسك بالأشياء التي تريدين أن تقومي بها في حياتك".

سحب محفظته وقال بينما يفتح ورقة كانت فيها: "أنا بدأت بكتابة لائحتي من... يا للعجب! منذ خمس سنوات. عندما بلغت الخامسة

والعشـرين من عمري بدأت أشـطب أشـياء عن اللائحة وأضيف إليها منذ ذلك الحين."

كان ثمـة شـيء جميـل حيال كوني مع شـخص يكبرني بخمس سـنوات. كنـت أرى الأعمـال تتغير والأفراد تجتمع لتشـكل ثنائيات والأمـور تنتهـي علـى نحـو جيد، لكن بين الحين والآخر كنت أشـعر بأن هذا الفارق بيننا يزداد، كأنه فعل بحياته أشـياء أكثر مما فعلت أنا في حياتي. وهذه المرة كانت إحدى المرات التي شعرت فيها بذلك. فتح الورقة أمامنا على العشـاء في مطعم "تيريسـا" في شـارع مونتاغ، مطعمه المفضل، فنظرت إليها وقرأت التالي:

"اللائحة1،

ركوب الـ"سيغويه"2،

المشاركة في ماراثون3،

التنقل بين جزر اليونان4،

تعلم الغوص5،

الذهاب في رحلة بحرية6،

اقتناء حيوان أليف7،

تعلم اللغة الصينية8،

قيادة سيارة سباق9،

الزواج10،

أن أصبح أباً11،

زيارة أستراليا12،

المشاركة بسباق دراجات13،

شراء منزل على الشاطئ14،

مكتبة t.me/ktabpdf

ركوب دراجة من بروكلين إلى مونتو".

قلت: "إنها لائحة مثيرة للإعجاب. والمثير للإعجاب أكثر هو الأشياء التي قد فعلتها منها. كيف كانت رحلتك إلى اليونان؟".

أجاب: "كانت جميلة. ذهبت مع قريبي فرانك. فهو يعيش في وادي سيليكون، إنه شخص طيب. شربنا كثيراً ومارسنا الغطس والإبحار وأكلنا الكثير من المأكولات الشهية".

"إذاً، ما التالي؟". سألت آملة ألا يكون الجواب هو "الزواج" وألا يكون هذا يعني أنه سيعرض عليّ الزواج الآن.

فتمعن باللائحة ثم أجاب: "التالي سيكون إما ركوب السيغويه أو سباق الدراجات، لكن هذا يتطلب كثيراً من التمارين والالتزام إذا ما قررت القيام به".

سألته: "كم تبلغ المسافة من بروكلين إلى مونتو؟".

"حوالي 25 ميلاً. تفقدت الخريطة لكنني لا أظن أنني مستعد للقيام بهذا."

ابتسمت وقلت له: "لكن الآن بما أننا نملك دراجات... أتود أن تقودها معي إلى هناك؟ ما رأيك بهذا ليوم عيد ميلادك. هذا سيجعلنا نعمل على زيادة قدرتنا على الاحتمال. يمكننا أن نتمرن بغضون ثلاثة أشهر".

انحنى فوق الطاولة وقبلني ثم قال: "إن هذه أفضل طريقة يمكن أن أفكر بها للاحتفال بعيد ميلادي الثلاثين. لكنني كنت أتكلم بجدية عن لائحتك من أجل عيد ميلادك أنت. هل من شيء تريدين القيام به؟".

لم يخطر أي شيء في بالي فقلت له وأنا أُخرج قلماً وإيصالاً

t.me/ktabpdf مكتبة

قديماً من متجر دواين ريد: "ربما عليّ أن أنشئ قائمة لأرى ما يمكن أن تؤول إليه الأمور".

ما زالت قائمتي تلك موجودة على ظهر ذلك الإيصال ولا أعتقد أنني أريتك إياها من قبل، أظن أن عليّ إضافة هذا إلى القائمة فوراً: مشاركة هذه القائمة مع غيب، وربما أيضاً: قولي لغبيتو أن يعد قائمته الخاصة. لكن إذا أضفت هذين الأمرين لن يسعني تخطيهما أبداً. أرجوك أثبت لي أني مخطئة.

كتبت في أعلى الإيصال:" قائمة تذكير" ثم كتبت تحتها بضعة أمور كنت قد قلدت بها لائحة دارن على الرغم من أن الأمر رقم اثنين وثلاثة كانا شبه تحصيل حاصل أكثر من كونهما رغبتين لديّ:

الذهاب إلى استراليا2،

الزواج3،

أن أصبح أماً4،

الصعود إلى قمة مبنى الإمبايرستايت5،

قيادة قارب6،

الذهاب في عطلة طويلة إلى باريس بدون سبب7،

أن أصبح المنتجة المنفذة لبرنامج للأطفال على التلفاز8،

الحصول على حذاء عالي الكعب من ماركة مانولو بلانيك9،

أن أقتني كلباً10.

ثم قلت لدارن: "نفذت مني الأفكار".

فأجاب: "ستفكرين بالمزيد طوال الوقت لكن هذه بداية ممتازة".

ثم سحب مني الورقة وقال: "عجباً. بعض هذه الأمور سهل

مكتبة t.me/ktabpdf

جداً. أتعلمين ما الذي سنفعله لعيد ميلادك؟ سنصعد إلى قمة مبنى الإمبايرستايت وبذلك سيتسنى لك شطب أحد الأمور فوراً".

"حقاً؟".

أجاب: "أجل، بكل تأكيد".

كنت حينها وكأنني أستطيع رؤية الأفكار تدور في رأسه بحثاً عن أشياء لننفذها في عيد ميلادي. لطالما تساءلت ما إذا كانت تلك هي اللحظة التي فكّر فيها بالذهاب إلى باريس ليعرض عليّ الزواج أم أنه كان يخطط مسبقاً للرحلة إلى أستراليا التي سنقوم بها في عيد ميلادي الثلاثين، أو ربما أنه كان يخطط لشراء حذاء المانولو بلانيكس من أجلي. إنه مُخطِط بارع ولا يخشى الانتظار إذا كان متأكداً أن خطته حتماً ستنجح وهذا شيء يعجبني فيه. لكن سرعان ما نقل نظره إلى الرقم7.

وقال: "تريدين أن تصبحي المنتجة المنفذة لبرنامج للأطفال؟".

أومأت برأسي فابتسم وقال: "كم هذا ظريف".

"ماذا؟".

"عملك محبب جداً، مثلك أنت".

بدا قوله وكأنه يحط من قيمة عملي لكنني علمت أنه لم يقصد ذلك بقوله. وأياً يكن، فأنا لم أعتبرها كذلك. لم يسعني الامتناع عن التفكير كم أخذت أحلامي على محمل الجد وكيف كانت أهميتها كبيرة بالنسبة إليك.

قلت: "عملي ليس ظريفاً وليس محبباً".

بدا دارن تائهاً فقد فاجأته كلماتي. لم يكن لديه فكرة أنه قال شيئاً سيئاً، الأمر الذي زاد الطين بِلة.

t.me/ktabpdf مكتبة

"هل كنت لتخبر رجلاً يعمل كمنتج منفذ في برنامج لو آند أوردر أن عمله ظريف؟ ما هو الذي يوحي بالظرافة في عملي بالضبط؟".

فقال: "ما بالك؟ لم أقصد أي شيء في كلامي. أنا آسف. كان اختياري للكلمة خاطئاً. تعلمين كم أرى كل شيء ظريفاً عندما يكون متعلقاً بك؛ حذاؤك، فرشاة شعرك، علبة اللبان التي في حقيبتك وكل شيء.. فقط لأنه ملك لك."

وضعت قلمي جانباً والتقطت شوكتي لآخذ قطعة أخرى من المعكرونة على الرغم من أنني كنت قد انتهيت من الأكل، لكن فعلت ذلك تجنباً للنقاش. أردت أن أقول إنني أكثر من محببة، وأنني أحتاجك لأن تفهم كم يعني لي عملي، وأنني أريدك أن تحبني لذلك، ورغم ذلك. لكن دارن كان رائعاً وبدأ يعتذر فهو لم يقصد أذيتي، بالإضافة إلى أنه رجل ذكي. فكرت أنه سيفهم مع الوقت. أنهيت قطعة المعكرونة ثم قلت: "أتمنى لو أنك تعتبرني أكثر من محببة".

"بالطبع. إنك جميلة أيضاً ولطيفة وذكية ومرحة.. أتريدينني أن أتابع؟ فهناك صفات كثيرة لأصفك بها".

ضحكت وقلت: "لا مانع من القليل بعد".

ابتسم دارن ثم قال: "ما رأيك بمثيرة؟ ومراعية؟".

"هذا جيد."

أحياناً أتساءل ما إذا كان عليّ أخذ الحديث بجدية أكثر، وإذا كان عليّ أن أقول كل تلك الأشياء التي كنت أفكر فيها ولم أنطق بها.

t.me/ktabpdf مكتبة

XXXVI

تحضيراً لعيد ميلاد دارن أحضرنا حقائب للدراجات وثلاثة سراويل قصيرة مخصصة لركوب الدراجة لكل منا، وحجزنا في مطعم للفطور في سايفيل وفي ساوثمبتون. قررنا أن نحتفل أبكر من اليوم المحدد وأن نبدأ رحلتنا في يوم عطلة ميموريال داي.

بما أننا حجزنا مكاناً في مونتو ذلك الصيف، قررنا قضاء الليلة الأخيرة من عطلتنا هناك على أن نستقل القطار للعودة إلى المنزل في اليوم التالي.

كان كل شيء يسير حسب الخطة، تماماً كما يحب دارن أن تكون الأمور. بدأنا التدريبات في نهاية شهر آذار، فبدأنا بقيادة الدراجات صعوداً إلى ويستشيستر أو فوق جسر جورج واشنطن أو إلى كوني آيلاند. أصر دارن على أخذ حقائب معنا وفيها ملاءات وماء لكي نقوم بالنزهات حيث نشاء في طريقنا ولكي نتدرب على ركوب الدراجة بالوزن الفعلي.

في اليوم التدريبي الأخير لنا، ركبنا الدراجة فوق جسر بروكلين وصولاً إلى مانهاتن ثم صعوداً إلى كلويسترز. كان ذلك اليوم خلاباً وضحكنا كثيراً على كثير من الأشياء التي إذا قلتها لك الآن لن تبدو

t.me/ktabpdf مكتبة

مضحكة، لكن حينها كنا في ذلك الجو حيث يبدو كل شيء مضحك.اً

قال دارن عندما وصلنا إلى المنزل ذلك اليوم: "أنا محظوظ جداً لأنني حظيت بك".

فأجبته: "كلانا محظوظ لأننا سوية".

كنت أشعر بذلك حقاً حينها. في الصباح كنا جاهزين للانطلاق. كنت قد استيقظت باكراً جداً. كانت اللحظات الجميلة لآخر رحلة لي مع دارن ما زالت عالقة في رأسي وهذا جعلني متحمسة من أجل رحلتنا المنتظرة وبالوقت نفسه قلقة قليلاً. ستكون هذه الرحلة أطول فترة نقضيها أنا ودارن وحدنا. شعرت وكأنها تجربة عن المستقبل. ماذا سيحدث إذا سئمنا من بعضنا؟ والأكثر من ذلك ماذا سيعني إذا لم يحصل ذلك؟ لكن حينها استيقظ دارن واستدار ليصبح رأسانا على نفس الوسادة.

قال: "أشكرك على قيامك بذلك معي. سيكون الأمر رائعاً. أنا فقط أريدك أن تعلمي إذا اضطررنا لأن نستريح أو نأخذ طريق سكة الحديد فلا مانع من ذلك. فأريدك ألا تقلقي، اتفقنا؟".

زال قلقي. قبّلته ثم قلت: "لا تقلق، فرحلتنا ستنجح."

كان اليوم الأول ممتعاً، لكن بدأ الأمر يصبح مملاً قليلاً بعد أن قطعنا مسافة ثلاثين ميلاً تقريباً. لم نتمكن من التكلم كثيراً. فكل ما فعلناه كان ركوب الدراجة. كان دارن أمامي بما أنه كان يعرف الطريق وأنا تبعته طابعةً شكل ظهره في رأسي وقميصه والسرعة التي كان يحرك بها ساقيه. بقيت أغني بعض الأغاني في رأسي حتى قاطعني قائلاً: "لنأخذ استراحة لنتناول بعض الشطائر؟".

قبل أن نغادر للرحلة كان قد أعد عشر شطائر زبدة الفستق مع

المربى، كان قد أعد شطائر الزبدة السائلة لي والمقرمشة له. كلانا كان يفضل مربى الفراولة.

"سيدتي" قال ثم أخذ جانب الطريق وتوقفنا لنركن دراجتينا على العشب.

سألني: "أتسمحين لي أن أقدم لك شطيرة أو اثنتين؟".

مددت عضلات جسمي وضحكت قائلة: "واحدة تكفي للآن".

نزعنا خوذتينا والقفازات ثم غسلنا أيدينا وجلسنا لنأكل.

سألني وهو يتمدد على العشب سانداً رأسه على الحقيبة "أتريدين أن نأخذ استراحة ما بعد الطعام؟".

وافقته وأنا أُسند رأسي على صدره.

"هذا مذهل. هل أخبرتك يوماً أنه في عيد ميلادي العام الماضي تمنيت أن أجد في العام المقبل فتاة رائعة وجميلة وحنونة وتجعلني أضحك، ومن ثم كنتِ أنتِ، بعد أشهر قليلة، في ذلك المنزل على الشاطئ؟".

جلست كي أستطيع أن أنظر إليه ثم قلت: "ربما عليك أن تنتبه لما تتمناه لهذا العام لأنه يبدو أن أمنياتك تتحقق".

"لا تقلقي، فأنا خططت لتلك الأمنية مسبقاً".

ابتسمت وقلت: "بالطبع فعلت ذلك".

ضحك وقال: "تعلمين أنه لا يمكنني إخبارك بها لأنها لن تتحقق إذا ما أفصحت عنها".

أزاح غرتي جانباً وقال: "هذا صحيح، عليك أن تبقيها سراً، سيصيبنا التشنج الليلة. لكنني جلبت بعض المراهم من باب الاحتياط في حال حدوث اهتياج جلدي للمؤخرة".

"ماذا؟".

"لن أرغب في قيادة الدراجة في حال حدوث ذلك".

أجاب ونظرة خجل رسمت على وجهه ما جعلني أرى كيف كان يبدو شكله في سن السادسة، الثامنة والثالثة عشرة من عمره. استطعت رؤية حياته كلها من خلال نظرته تلك، بدا لطيفاً جداً حينها وامتلأ قلبي به وقلت: "أحبك".

كانت تلك هي المرة الأولى التي ينطق فيها أحدنا بهذه الكلمة. نظر إليّ وبقي ثابتاً لبرهة ثم قال: "وأنا أحبكِ أيضاً".

ثم جلس وقبّلني وقال: "أيمكنني أن أخبرك سراً؟".

أومأت ولا فكرة لديّ عما كان سيقول. "أحببتك منذ أشهر، منذ أن أخذنا دروس الرقص تلك".

"لمَ لمْ تقل شيئاً؟".

"لأنني لم أرد أن أخيفك فتبتعدين عني".

كان صدقه منعشاً ومحبباً. قبّلته مجدداً لأنه كان على حق. يتفهم دارن جوانب كثيرة مني، فهو يفهمني منذ البداية لكن مع ذلك لم يفهم علاقتي بك قط لكنني لا ألومه.

مكتبة t.me/ktabpdf

XXXVII

هناك أشخاص نصادفهم في حياتنا، وعندما يختفون منها يكون اختفاؤهم نهائياً. حتى لو رأيناهم مجدداً يكون ذلك سريعاً وبلا معنى مقتصراً على مرحباً، كيف الحال؟ وهناك أشخاص آخرون عندما نلتقي بهم مجدداً تتابع علاقتنا من حيث توقفت. فيبدو الأمر وأن العلاقة لم تنقطع أبداً.

هذا ما شعرت به عندما رأيتك مجدداً، بعد سنة نصف تقريباً من رحيلك وبعد أشهر قليلة من اتصالك، أرسلت لي رسالة الكترونية تقول فيها:

مرحباً، لقد وصلت لتوي إلى مطار جون كينيدي. هل لديك أوقات فراغ هذا الأسبوع؟ الأربعاء أو الخميس مثلاً؟

غيب

ملاحظة: شاهدت حلقة إت تايكس أي غالاكسي على متن الطائرة. أعجبني كيف قُدمت فقرة الحلم.

كنت في شقة دارن عندما وصلتني رسالتك الإلكترونية. كان يوم أحد، وكنا قد عدنا للتو من مونتو. أردت أن أعود إلى منزلي في ذلك اليوم، ولكن منزلي كان خاوياً من الطعام بخلاف منزل دارن، كنا سنأكل معاً، قبل أن أغادر إلى شقتي، وأغسل ثيابي وأحضر نفسي للعمل في اليوم التالي. كان دارن يفرغ حقيبته من الأغراض المبللة

التي استخدمها على الشاطئ ويضعها في حوض الاستحمام كي لا تتعفن، أما أنا فكنت أفتش في أغراض مطبخه بحثاً عن مكونات إضافية لنضيفها إلى الشطائر.

أخرجت هاتفي كي أتفقد ما الجديد الذي حصل في العمل منذ أن استقللنا القطار. لم أجد رسائل من العمل بل بالأحرى لم أجد سوى رسالتك. كنت سعيدة لأن دارن كان في الغرفة الثانية. فردود فعلي على أخبارك غريبة. فمنذ أن عرفتك وأنا أنتظر أو على الأقل آمل أن تتغير ردود فعلي هذه. لكن ذلك لم يحصل.

عندما رأيت اسمك، آلمتني معدتي. فتحت الرسالة على الرغم من أن جزءاً مني كان يقول إن هذه فكرة سيئة، أن ألتقي بك مجدداً. أردت أن أراك وأن أسمع أخبارك. كنت أعلم أيضاً أن عليّ مناقشة الأمر مع دارن، ليس لآخذ إذنه، بل لأن من الخطأ ألا أخبره. كانت تعابير وجهه هادئة كُلياً عندما أخبرته أن رسالة وصلتني من حبيبي السابق، لكنها تبدلت قليلاً عندما أخبرته أنني سألتقيك، لكن سرعان ما عاد وجهه طبيعياً فسألني: "هلا تخبرينني متى سيكون ذلك؟".

"أجل بالطبع".

"وهل ستأتين إلى هنا بعدها؟".

لم أكن أخطط لأن أمارس معك الحب ولا حتى أن أتأخر معك، لكن جاءني شعور أنني سأرغب بالبقاء وحدي بعد لقائك. لكن كان عليّ أن أسوي الأمر من أجل دارن، لأنني أحببته فأجبته: "أجل بالتأكيد".

بدا سعيداً، ثم تابعنا حديثنا عن الشاب الجديد الذي تواعده أليكس متزلج الأمواج الذي قابلته في ديتش بلاينز في عطلة نهاية

الأسبوع الفائتة، وعن حفلات الزفاف الثلاث التي كنا سنحضرها ذلك الصيف، وعما إذا كان يجب علينا أن نستأجر سيارة لنقود وصولاً إلى فيلادلفيا لحضور حفل زفاف براد وترايسي أو أن نستقل القطار ثم نتنقل في أرجاء المدينة بسيارات الأجرة عندما نصل إلى هناك. كنت أبدو طبيعية من الخارج بقيامي بتلك المحادثات مع دارن، لكن من الداخل كل ما كان يجول في خاطري هو أنني أريد أن أتفقد هاتفي لأرى إذا ما رددت على رسالتي، لأعرف متى سأراك مجدداً. لهذا السبب كان عدم تواصلنا أفضل. فالانتظار مرهق جداً.

صباح الخميس، بدلت ملابسي أربع مرات. في البداية ارتديت فستاناً فضفاضاً مما أخفى معالم جسدي. اعتقدت أنها طريقة لأبقي الأمور بيننا عُذرية. لكن بعدها نظرت إلى المرآة مجدداً، وأنا لم أرك منذ مدة، فلم أرد أن تعتقد أنني أهملت نفسي، فارتديت شيئاً ضيقاً لكنني فكرت أني قد أبدو أنني أحاول جاهدة أن ألفت انتباهك. فارتديت سروالاً صيفياً وقميصاً يظهر عنقي. لكن سرعان ما تذكرت أنك تحب التنانير عليّ. فارتديت تنورة وقميصاً حريرياً بدون كمين، وانتعلت حذاء عالي الكعب مفتوحاً من الأمام. أشعرتني ملابسي بالنجاح والثقة بالنفس وأنني أنا المسيطرة. ارتديت شيئاً كهذا عندما قدمت عروضاً تقديمية في المكتب. أسبلت شعري، وقضيت وقتاً إضافياً في تسريح غرتي.

لم أستطع أن أركّز على عملي طوال اليوم. كان من المفترض أن أدقق نصوص الحلقات الجديدة من إت تايكس أي غالاكسي، فاضطررت لأن أقرأ أحد النصوص أربع مرات قبل أن أدرك ما الذي

t.me/ktabpdf مكتبة

يحصل في البرنامج. بعد العمل، تمشيت وصولاً إلى مطعم باتزا نوتي. وصلت أبكر بقليل فدخلت وحجزت لنا كرسيين على منضدة المشروب. أرسلت لي رسالة نصية تخبرني فيها أنك ستتأخر قليلاً. لم يكن التأخر من شيمك، فطلبت كأس شراب. كنت قد شربت نصفه حين وصلت وأثرت زوبعة من الاعتذارات.

قلت وأنت تحتضنني: "سررتُ برؤيتك لوس".

بدوري احتضنتك، وأدركت أن رائحتك لا تزال كما أذكرها.

يقول العلماء إن الروائح من أقوى المنبهات التي تثير الذاكرة. كنت مقتنعة بذلك تماماً. عدت بالزمن إلى الوراء عندما قابل وجهي قميصك. بعد أن فرغنا من عناقنا، نظرت إليّ مطولاً ثم قلت: "إني فقط أتفحصك. تبدين.. بحال رائعة وتعجبني قصة شعرك".

شعرت أنني أحمّر خجلاً.

وأجبتك: "شكراً، وأنت كذلك". وكنتَ بالفعل كذلك.

بغيابك خسرتَ بعض الوزن، وباتت معالم وجهك محددة أكثر، لا يزال شعرك مجعداً، لكنه كان أقصر وحلقاته أصغر. كنت قد اكتسبت سمرة والشعر الذي يغطي ذراعيك ازداد شقاراً.

انهمكت بالنظر إليك وتفحصك لدرجة أني لم أعد أذكر ما الذي تكلمنا عنه تلك الليلة. هل تستطيع أن تتذكر؟ أنا متأكدة أن الأحاديث كانت عن عملك، عائلتينا، برنامجي. لا أتذكر سوى أنني كنت أشعر بأني حية كلياً. وكأن كل جزيئات جسدي كانت يقظة ومتنبهة ومتحمسة. أي مشاعر أخرى كانت تُنحى جانباً وتُحطم لأنك كنت أمامي تبتسم وكأنني الشخص الوحيد الموجود في هذا العالم.

لم أرد أن أخون دارن ولا أعتقد أني سأفعل، لكن وجدت نفسي

t.me/ktabpdf مكتبة

مستاءة قليلاً لأنك لم تحاول أي شيء. مثلاً قُبلة على وجنتي وصولاً إلى شفتي أو أن تضع يدك على فخذي. أحياناً أتساءل ما الذي كان ليحصل لو أنك قمت بأي من هذا. هل كان ذلك ليغير أي شيء؟

أرسل لي دارن رسالة نصية واحدة ليلقي التحية، فأدركت أن خروجي معك لم يكن سهلاً عليه، وأنه ربما كان قلقاً بعض الشيء. المضحك في هذا، أنه لم يكن عليه القلق حينها بل كان عليه أن يؤجل قلقه لوقت لاحق من تلك الليلة. لكن أظن أن فكرة أن أمارس الحب معك كانت آخر ما سيخطر بباله. كان يعتقد أنه يمتلكني لكنني لم أكن كذلك يوماً.

XXXVIII

بعـد أيـام قليلـة من لقائنا، ذهبت للتسـوق مـع كيت. وكانت قد أخبرتني برسالة نصية أنها ستذهب وتوم للمرة الأولى بعيداً، سيذهبان إلى إسبانيا لعشرة أيام وأرادت أن تشتري ملابس أنيقة.

سألتها حين وصلت إلى شقتها: "ما الذي تحتاجين إليه؟". فقد كنت تشاركتها وإياها لفترة. لم يكن توم يقيم معها. كانت قد أخبرتني أنها لن تسكن مع رجل إلا إذا وضع خاتم خطوبة حول إصبعها. لم يسعني سوى أخذ موقف دفاعي بشأننا من كلامها.

كنـت أعلـم أن تلـك كانت خطتها منذ البداية، لكنني توقعت أن تبدل رأيها عندما تقابل شـخصاً رائعاً. فتوم كان بالفعل رائعاً، هادئاً، عطوفاً وكريماً. ورغم كل هذا فإنها لم تغير رأيها بالأمر.

أظهـرت كيـت لائحة على هاتفها وقرأت: "ثوبا سـباحة، شـال، فسـتان طويل من أجل الوقت في سـان سيباسـتيان وبرشـلونة وربما حذاء عالي الكعب ذي الأرضية الإسفنجية من أجل المشي ولا مانع من قبعة كبيرة. ألا تعتقدين أن هذه القبعات خلابة؟".

ابتسمت لها وقلت: "أعتقد أنك ستبدين مثل نجوم الأفلام بقبعة كهذه. مثل.. غيرتا غاربو؟".

نظرت إليّ من زاوية عينها ثم ضحكنا. قالت وهي تلف كتفي بيدها: "ليس لديك أية فكرة عما هو نمط أزياء غيرتا غاربو أليس كذلك؟".

t.me/ktabpdf

مكتبة

"ولا أدنى فكرة. لكن ألا يفترض أن يكون شيئا خلاباً؟".

تنهدت كيت وقالت: "أجل، كثيراً. لكن أعتقد أنك تقصدين هيدي لامار. فقد بدت فاتنة بالقبعات الكبيرة".

قلت لكيت وأنا أطوق خصرها بذراعي: "أجل. بالطبع، هيدي لامار". وتابعت: "إذاً.. إلى أين وجهتنا الآن؟ هل سنأخذ كل تحدٍ على حدة أم نذهب إلى المجمع التجاري؟".

أجابت من دون تردد: "إلى المجمع التجاري". وأكملت: " كنت أفكر بمحال بلومينغدايل بما أنها الأقرب ثم يمكننا تناول الغداء."

بالطبع محال بلومينغدايل جعلتني أفكر بك. في الواقع كنت أتجنب ذلك المتجر طوال العام الماضي، ولم يكن الأمر سهلاً خصوصاً وأنني أعيش في بروكلين، لكنني كنت قد قررت أن الوقت قد حان لإعادة الأشياء التي تذكرني بغيب إلى حياتي، فلم أقل شيئاً لكيت سوى: "كم أحب اللبن في ذلك المكان."

وصلنا إلى هناك، وبحثنا في أكوام ملابس السباحة. كانت كيت تريد واحداً يتماشى مع قبعة هيدي لامار التي لم تبتعها بعد. فبدأنا نبحث عما هو كلاسيكي وبألوان معتدلة. أخذنا إلى غرفة قياس الملابس خمسة أو ستة خيارات. جلست على كرسي وملابس السباحة على ركبتي وأخبرت كيت، للمرة الأولى، أني قد التقيت بك فسألتني بحذر: "كيف كان ذلك؟".

"غريب. أنا أحب دارن حقاً، ومن دون شك، لكن الأمر مختلف مع غيب. لا أعرف ما إذا كنت أحب دارن أقل أو أنني أحبه بطريقة مختلفة... هل تشعرين بالحيوية وأنت مع توم أكثر من الأوقات التي لا يكون فيها معك؟".

t.me/ktabpdf مكتبة

نظـرت إلـيّ بجديـة، وكأنها تفكر ملياً بالسـؤال وبالطريقة التي ستجيب فيها. أحب هذا في كيت فهي تأخذ بعين الاعتبار كل كلمة تتفوه بها.

أجابـت أخيـراً: "كلا. أشـعر معـه بنفس الحيوية التي أشـعر بها الآن في هذه الغرفة معك".

أعطيتهـا إحـدى قطع الملابس وقلت لها: "أشـعر وأنا مع غيب بالحيوية أكثر من أن أكون مع أي شخص آخر في العالم، بغض النظر عن مقدار حبي لك".

فسألت: "ودارن؟".

أجبتهـا: "الأمـر مختلـف.. وأنـا قلقة أن هذا قد لا يكون كافياً.. وأن ما أشعره تجاه غيب كبير جداً لدرجة أن لا شيء سيكون كافياً". أخذت كيت قطعة الملابس وقالت وهي ترتديها: "ما رأيك؟".

ونظرت إلى نفسها بالمرآة فأجبت: "أتريدين الصراحة؟".

"دائماً".

"بصراحة تبدو مؤخرتك مضحكة".

استدارت لترى نفسها من الخلف في المرآة وقالت: "يا إلهي، إنك محقة.. كم هذا غريب."

بـدأت كيـت تنـزع الملابس عنها وقالـت: "كنت أكلم أختي عن العلاقات في وقت سابق وأخبرتني شيئاً مثيراً للاهتمام".

هـل سـبق وقابلـت أخـت كيـت؟ لا بد وأننـي أخبرتك عن ليز حتى لو لم تقابلها. درسـت في جامعة براون وهي على عكس كيت تماماً. إنها خلّاقة وفنانة فقد انتقلت إلى باريس بعد أن أنهت دراستها الجامعية لتعمل في مجلة فوغ عندما كنتُ وكيت في السادسة عشرة

من العمر. وكانت قد خاضت كثيراً من تجارب الحب... وتبقى حتى هذا اليوم أكثر الشخصيات المثيرة للتساؤل بنظري.

سألتُ كيت: "ماذا قالت ليزي؟".

"قالت إن كل علاقات الحب التي مرت بحياتها بدت كالنار. وأن بعض العلاقات تبدو كأنها نار متقدة فتكون قوية وعريقة وخطيرة وقاهرة ولديها القدرة أن تحرقك قبل أن تدركي ذلك. وأن بعض هذه العلاقات تبدو كنار المدفأة باستقرارها ووثاقتها. كان لديها أمثلة أخرى مثل العلاقات التي تشبه نار الموقد، ذات شرارة.. كالعلاقات العابرة.. لا أذكر كثيراً كل شيء، فلم يعلق في ذهني سوى علاقات النار المتقدة والعلاقات التي تشبه نار المدفأة".

"وهل أنت وتوم في علاقة نار المدفأة؟".

أومأت ثم قالت: "أعتقد هذا وأعتقد أيضاً أن هذا ما أريده، الأمان والاستقرار والدفء".

قلت لها محاولة استذكار ما قالته: "أعتقد أن دارن وأنا كذلك أيضاً، في علاقة نار المدفأة" وأكملت "وأنا وغيب في علاقة النار المتقدة".

أعلنت وهي ترتدي لباس سباحة من قطعتين منقط باللونين الأحمر والأبيض مع قطعة سفلية عالية الخصر: "أجل، أعتقد ذلك".

فأخبرتها: "يبدو هذا رائعاً عليك". فتفقدت نفسها في المرآة وقالت وهي تومئ في رأسها: "إنه يعجبني".

وقالت: "لباس سباحة آخر وننتهي".

سألتنها: "هل قالت ليز أيهما أفضل؟".

هزت رأسها وهي تنزع عنها قطعة الملابس العلوية، وأجابت:

t.me/ktabpdf مكتبة

"قالت لي إن هذا يعتمد على شخصيتك وعلى ماذا تريدين. قالت إن علاقات نار المدفأة التي مرت بها سرعان ما بدأت تضجرها وأنها تفضل علاقات النار المتقدة، لكنها تعتقد أن ما تريده الآن هو شيء بين الاثنين. وأعتقد أن هذا هو ما عنته بعلاقات نار الموقد تلك حيث تستغرق العلاقة كل شيء لكن لا تطور إلى أكثر من ذلك. وقالت إنها لم تخض علاقة من هذا النوع من قبل لكنها تود تجربة الأمر".

"هل يمكن ترويض النار المتقدة أو تغذية نار الموقد؟".

أجابت وهي تخلع القطعة السفلية: "لا أعلم. تقول ليز إنها لم تنجح بتحويل أي من العلاقات التي خاضتها إلى نوع آخر. لكن، ما أقصده هو أنه إذا حاولنا الإضافة إلى مقولة أن محاربي النار يمكنهم ترويض النار المتقدة، فالناس العاديون يمكنهم ذلك أيضاً. أعتقد أن السؤال يكمن في ما إذا تستطيعين ترويض تلك النار دون إخمادها نهائياً".

ناولت كيت لباس سباحة آخر متسائلة إذا كان عليّ أنا أيضاً أن أبحث عن علاقة النار المتقدة، وإذا كان يجب أن أخوض جميع أنواع العلاقات حتى أقرر أي واحدة أريد.

قالت كيت: "الأمر الذي يقلقني هو أنه إذا ما تخليت عن علاقة رائعة من نوع نار المدفأة لتخوضي علاقة نار الموقد ورأيت لاحقاً أنها ليست ما تريدين تكونين قد خسرت نار المدفأة".

فسألتها: "هل تتكلمين عن علاقتك بتوم؟".

رفعت كتفيها وقالت: "ربما. لا أعلم".

قلت: "أعتقد أن الأمر معقد. وتلك الصدرية تظهرك بمظهر مضحك".

نظـرت كيـت إلـى المـرآة وقالـت وهـي تنزعها: "يـا إلهي! هذا رهيـب! أعتقـد أن عليـك أن تقومي بنوع من تحليل للخسـائر في أي علاقة. مدى سـعادتك يعتمد على ما إذا كانت خسـارة تلك السـعادة ستعوض بإيجاد سعادة أكثر مع شخص آخر. لا أعلم إذا كنت سأقوم بتلـك المخاطـرة فأنـا لا أعلم الحدود الدنيا للأمر، فإذا كنت سـعيدة بنسـبة خمـس وثمانيـن بالمئـة مع تـوم، هل أخاطـر بالعلاقة لأحظى بسـعادة بنسـبة خمس وتسـعين بالمئة؟ ما هي الحدود العليا للسـعادة التي يمكن تحصيلها مع شـخص ما؟ لا أعتقد أنها قد تصل إلى مئة بالمئة".

قلـت: "لا، بالطبـع لا. فهـي لـن تكـون أبداً مئة بالمئة. لا شـيء كامل".

تساءلت عن نسبة سعادتي معك ومع دارن، وتساءلت إن كنت ودارن تستطيعان الإجابة عن هذا السؤال، عن نسبة سعادتكما معي. ما رأيك؟ هل كان مقدار سـعادتنا متسـاوياً؟ هل كانت نسـبة سـعادتنا ثمانين بالمئة؟ أم خمس وثمانين بالمئة؟ لديّ شعور أنني كنت أسعد منك لأنك أنت من غادر.

حتى لو أنك لم تفكر بالأمر بالمصطلحات نفسها، من الواضح أنك مستعد للمجازفة لمعرفة إن كانت حياتك ستكون أسعد من دوني بسعيك وراء مهنتك. هل نجح الأمر ولو لفترة قصيرة؟

أعلم أنه في النهاية لم ينجح.

XXXIX

في بعض الأحيان تمر السـنة وكأنها دهرٌ مقسـمٌ إلى كبسـولات زمن صغيرة كل كتلة منها هائلة لدرجة أنها تبدو وأن لها عمراً كاملاً بحـد ذاتـه. هـذا كان حالـي في العام 2004. كتلـة الزمن التي كنا فيها سـوية أنـا وأنـت، كتلـة الزمن بعد أن انفصلنا وأخـرى بعد أن التقيت دارن. كان لتلك السنة ثلاثة أقسام منفصلة. لكن الأشهر الاثني عشر التي تلت لقائي بدارن بدت وحدة متماسكة. حتى إنني تفاجأت عندما قال لي دارن ذات سبت في اللحظة التي دخلت فيها إلى منزله بعد أن عدت من لقائي مع جوليا على الغداء: "ذكرى ارتباطنا بعد أسبوعين، هل تفكرين بالقيام بشيء على وجه التحديد".

انتابني شـعور ملح أنه عليّ أن أتأكد من التوقيت على هاتفي، لكنني علمت أنه محق. فمن المستحيل أن ينسى دارن موعد أي شيء بالإضافـة إلـى أن الصيـف كان فـي نهايته، ونحـن التقينا في مثل هذه الفترة من العام الماضي، نهاية أحزن صيف قضيته.

سـألته: "هـل يعني ذلك قضاءنا أسـبوعاً في مونتـو؟" وأنا ألتقط كأسـاً من الماء. كان دارن يحجز لنا لقضاء عطلات الأسـبوع وكان مسؤولاً عن عدم حدوث أي خطأ.

أجابني: "أجل بالطبع". كان عليّ أن أعرف. لا بد وأنه قد خطط للموعد مسبقاً.

t.me/ktabpdf مكتبة

سألته وأنا أضيف الثلج لكأس الماء: "ربما نتناول العشاء في ذلك المطعم الفاخر المطل على البحر حيث كل من هناك يكون راشداً ومتأنقاً؟".

اقترب ليقبلني وقال: "نحن راشدان".

ضحكت وقلت: "تعرف ما الذي قصدته". هذه المرة قبّلني على أنفي.

قال: "أعتقد أن هذا سيكون رائعاً. وعندي فكرة أخرى أيضاً، بشأن الهدايا".

تساءلت ما إذا كان سيتكلم عن خاتم خطوبتنا. فقد أُعلنت خطوبة سابرينا الشهر الفائت، على الأغلب بسبب حملها، لكن رغم ذلك كانت الفكرة محببة على قلبي، ومُشبِعة مثل الشعور حين تضع القطعة الأخيرة للعبة ألغاز كنت تحاول إيجادها ولن تضطر للبحث عنها مجدداً، ليس من الضروري حدوث ذلك الآن، لكن يوماً ما.

سألته: "ماذا بشأن الهدايا؟".

فأجاب: "حسناً، كنت أفكر بالقوائم التي كتبناها فقائمتي ذُكر فيها إنقاذ حيوان أليف وقائمتك ذُكر فيها اقتناء كلب، وكنت أفكر بالقيام بهذا منذ سنوات، لذا لديّ مفاجأة لكِ. أعلم أنه لم يحن الوقت بعد، لكن لم أستطع الانتظار بعد أن خطرت لي الفكرة!".

اتجه نحو باب غرفة نومه الذي كان مغلقاً على غير العادة، ودخل ثم خرج، وبين ذراعيه كتلة فرو بيضاء صغيرة، فنبحت تلك الكتلة. إنها جرو. لقد كان يحمل جرواً بين ذراعيه. جمدت.

فقال: "انظري ماذا جلبتُ لكِ! أظن أنها يمكن أن تعيش معي لفترة ثم يوماً ما تنتقلين للعيش معي ومع الكلب".

قلت: "كلب؟ جلبت لي كلباً؟" كنت مصعوقة.

فقـال: "كنـت آمـل أن تشـاركيني إياها. فيمكـن أن تكون الكلبة خاصتنا نحن الاثنين".

ناوَلَني إياها فأخذتها تلقائياً. لعقَت عنقي وذقني وأنفي.

قال دارن: "كانت أظرف جروٍ في ملجأ نورث شور أنيمال ليغ. شاهدت كل الكلاب الموجود هناك".

نظرت إلى الجرو فنبحت لإلقاء التحية، رددتُ السلام فابتسمت ابتسامة عريضة. فكرة اقتناء كلب كانت لطيفة لكن ما لم يلاحظه دارن عنـي فـي تلـك الفتـرة وحتـى الآن، هـو أنني أردت أنـا أن أقابل تلك الـكلاب فـي نـورث شـور أنيمال ليغ، وأردت أن أكـون من يقرر أي كلب سـأختار أو حتى إذا ما أردت اقتناء جرو أم لَا. أعتقده يظن أن هناك بسـالة في وضعي تحت الأمر الواقع عند تقديمه أي شـيء لي. هذا يشعرني بأنني طفلة، وأنه يقلل من شأني، وكأن آرائي لا تستحق الأخذ بعين الاعتبار. لم تكن أنت لتفعل هذا أبداً.

فقلت لدارن: "أتمنى لو أنني شاهدت جميع الكلاب. إنها هدية رائعة لكنني أشعر أنني فوتت الجزء الممتع".

بدا مرتبكاً وقال: "الجزء الممتع هو الآن، عندما نقتني الكلب".

تنهـدت وقلـت: "أعـرف، لكـن كان من الأفضل لـو أننا اخترنا الجـرو معـاً، ليكون خاصتنا، لنكـون اخترناه ووافقنا عليه معاً، أردت أن نكون شريكين يا دارن".

فقال وهو يقترب: "بالطبع نحن شـريكان يا لوسـي. أردت فقط أن أفاجئك بشيء مميز. أليس مسموحاً لي أن أفاجئ حبيبتي الجميلة بأشياء مميزة بين الحين والآخر".

t.me/ktabpdf

مكتبة

ذات يوم، قال لي إنني لا أعرف كيف أجيب. في ذلك السياق بدوت وكأنني أتصرف بسخافة. لم أستطع أن أقول له أن يكف عن مفاجآتي. كيف لي أن أبدأ خلافاً مع شخص قام لتوه بهذا الشيء العظيم؟ حاولت الكلبة لعق أنفي من الداخل، وكأنها تحضني على الضحك. ربما فهمت ما كان يجري.

قلت لدارن: "بالطبع يمكنك ذلك. إذا هل لديها اسم؟".

أجابني: "وجدوها من دون اسم، لكن أحد العاملين هناك كان يطلق عليها اسم آني بسبب فروها المجعّد، لكن وجدت أن نطيل الاسم قليلاً".

فسألت: "لانجل؟".

فقال: "آنيفيرسري".

ضحكت لأن ذلك كان اسماً عبثياً لكلب، لكنه في الوقت نفسه مثالي، وبالفعل كانت كلبة مثالية محبة، ذكية وليست كثيرة النباح. حمداً لله أنها لم تكن خاتم خطوبة، لكن تشارك مسؤولية الاعتناء بكائن حي بدا التزاماً حقيقياً. بما أنني وافقت على آني، أستطيع الآن رؤية كيف سيكون الأمر سهلاً إذا ما وافقت على الأشياء الأخرى القادمة.

XL

لطالما عرفت أن الناس نوعان في هذا العالم، الذين يحبون أن يقدموا الهدايا وآخرون يحبون تلقيها. لطالما أحببت تلقي الهدايا ولا أزال. لكـن فـي عيـد الميلاد الثاني الذي قضيته مع دارن أدركت أنني أحب تقديم الهدايا أيضاً.

كان يفتـرض بنـا الذهـاب مع عائلـة دارن إلى كولورادو في عيد الميلاد. سـبق لي أن قابلتهم. أصغر أخواته الثلاثة اللواتي تكبره سـناً مـع زوجهـا كانـا أول من قابلته، بعدها قابلـت الأختين الأخريين مع زوجيهمـا ثـم والديـه. بعدها التقيتهم بتسلسـل وترتيب مختلف بعدة مناسـبات. لكـن تلك العطلة الأولـى التي أقضيها مع عائلته بأكملها. إنهـم لطفـاء وخاصـة والده الهادئ، لكننـي قلقت حول كيفية قضائي لوقت أكثر معهم، وكيف أنني سأفتقد لعائلتي.

استأجرت عائلة دارن شاليهاً كبيراً في فايل، ووعدت أمه بنصب شـجرة ميـلاد كبيـرة فيه. أرسـلت عائلة دارن علـب الهدايا إلى هناك مسـبقاً، وبمـا أننـا تأخرنـا بإرسـال هديتنا، فتوجب علينـا جلب هدايا صغيرة يمكن توضيبها بحقائبنا.

فكرنـا بإحضـار آنـي، لكن أخي عرض عليّ أن يأخذها معه إلى منزل أهلي في غيابنا، وبطريقة ما، وجودها هناك أشعرني أنني هناك أيضاً، فوافقت.

t.me/ktabpdf مكتبة

قال جاي، عندما أخبرته عن خطتي لقضاء عيد الميلاد مع عائلة دارن: "هذه خطوة كبيرة يا لولو. هل هو بحق المنشود؟".

تذكـرت تلـك المحادثـة التـي قمنـا بها منذ عـام ونصف عندما أخبرته أني لا أريد أن أحب أحداً سـواك. من الواضح أن مشـاعري تغيرت.

أجبت: "أظن ذلك".

استطعت سماع ابتسامة أخي في صوته حين قال: "أنا سعيد من أجلك مع أنني سأفتقدك في ليلة عيد الميلاد".

"سـأفتقدك أنا أيضاً كثيراً، لكنني سـأراك عندما أعود. ما رأيك بغداءٍ يوم رأس السنة؟ أنا، أنت، فانيسا ودارن؟".

"يبدو هذا جيداً. أتطلع لهذا منذ الآن".

كنا قد ذهبنا إلى منزل والديّ قبل ذلك بأسبوع لكي أجلب بنطال التزلج والنظارة من المخزن.

قـال أبـي بينمـا كان يسـاعدني على إيجاد خوذتـي: "دارن رجل صالح، خسارة أنه لن يتسنى لنا قضاء عيد الميلاد معكما، لكن ربما سيتسنى لنا أن نحظى بكما في العام المقبل، ربما في عيد الفصح".

ابتسمت وقلت: "أنا موافقة". أحبّت عائلتي دارن.

أمضيت ودارن كثيراً من الأوقات معهم أكثر مما كنت أنا وإياك نمضي معهم، لا أعرف لماذا. ربما لأنه عندما كنا سوية لم نحتج إلى وجود أي شـخص آخر، ولم نفكر بأي شـخص آخر. لكن عالمنا أنا ودارن شمل كل ما نعرفه. كان منظماً للمواعيد الاجتماعية حيث كان يعمل جاهداً أن نخصص أوقاتاً لجميع من نعرف. كان متحمساً جداً

مكتبة t.me/ktabpdf

من أجل رحلة عطلة عيد الميلاد. فقد أعدّ قائمة كي نضمن ألّا ننسى شيئاً وبعد أن تفقد الحقائب مرات ومرات قال إننا أصبحنا جاهزين للمغادرة قبل يوم عيد الميلاد.

لكنه أصيب بنزلة برد في الثالث والعشرين من ذلك الشهر، فخلد إلى النوم باكراً تلك الليلة على أمل أن تتحسن صحته. كانت الخطة أن نبيت في شقته، ثم نتوجه إلى المطار معاً. فانتهى بي الأمر أشاهد إتس أيووندرفل لايف وحدي في غرفته، ثم خلدت إلى النوم بعد دقائق قليلة من منتصف الليل. عندما تمددت بالقرب منه -بعد ثلاث ساعات- وجدت أن جسده أصبح أكثر دفئاً من المعتاد. استدرت كي أقبل جبينه، كما اعتدت أن تفعل لي ولأخي عندما كنا نمرض. شعرت بجبينه ساخناً على شفتي. فتح عينيه، فاستطعت رؤية الاحمرار في عينيه وسط ظلام الغرفة.

فهمستُ: "دارن، حرارتك مرتفعة، هل أنت بخير؟".

أجاب بعد أن أنهى سعاله الذي طال: "لا، لا أشعر أنني بخير. رأسي يؤلمني. أتعتقدين أنها الحمّى؟".

ذهبت لأجلب ميزان الحرارة الذي كنت أعلم أنه يبقيه في خزانة للأدوية. قست حرارته فكانت 102.4.

عندها قمتُ بتعقيم الميزان بالكحول، وقست حرارتي، فأشار الميزان إلى أنها 98.6 عندها قلت: "لا أعتقد أنه معطل وأظن أنك مصاب بنزلة برد.

أعطيته خافض حرارة ثم غفونا.

في صباح اليوم التالي، استيقظ دارن باكراً بنفس درجة الحرارة، ونفس حدة السعال وألم الرأس بالإضافة إلى سيلان بالأنف.

فقال عندما استيقظت على سعاله: "يبدو أني مريض حقاً".

فقلت: "أجل، أعتقد أنك كذلك".

ثـم فاضـت عينـاه بالدمـوع. كانت المـرة الأولى التـي أراه فيها يبكي.

ثم قال: "سـتقلع طائرتنا بعد سـاعتين. لا أعتقد أنني أسـتطيع الذهاب إلى كولورادو اليوم. في الواقع، لا أعتقد أنني أستطيع حتى النهوض من الفراش". بالرغم من أن دارن كان من يتولى أمر الاتصال بالخدمـات والحجـوزات، اتصلـت فوراً بخطوط الطيـران، وأقنعتهـم بعـد أن رجوتهـم قليـلاً وبعـد كثيـر مـن التبرير أن تؤجـل رحلتنا إلى بعد يومين. ثم اتصلت بوالدته، وشرحت لها الوضع، بعدها ارتديت معطفي، وذهبت إلى إحدى الصيدليات لأجد له دواء مضاداً للسعال بالإضافة إلى خافض حرارة وبعض الأدوية المضادة لنزلات البرد.

عندما عدت قال دارن: "آسف لأنني أفسدت عليك عيد الميلاد".

قبّلت جبينه الساخن وقلت: "طالما أننا معاً فلن يفسد شيء".

تنـاول بعـض الـدواء، ثـم عـاد للنـوم، أما أنا فخرجـت مجدداً، لأجلب شجرة ميلاد بطول ثلاث أقدام، أكبر شجرة استطعت حملها بنفسـي. كما اشـتريت أضواء مبهرجة، وحبات ثلج برّاقة، كان عليها حسم بنسبة عشرين بالمئة في محل دوتين ريد.

جلبت أيضاً علبة من زينة الشجرة بيضاء وذهبية اللون، وتمثال راقصة الباليه لنضعه أعلى الشجرة لأن جميع الأشياء الأخرى كانت قد بيعت. بينما كان دارن نائماً، حوّلت غرفة معيشته إلى غرفة مفعمة بأجـواء العيـد. حتـى وأنني أخرجت الهدايا التـي كنا قد وضبناها في حقائبنا من أجل عائلته، ووضعتها تحت الشجرة التي كنت قد نصبتها

t.me/ktabpdf مكتبة

فوق الطاولة كي أجعلها تبدو أطول. شعرت وكأنني أرد له بعض من السعادة التي قدمها لي طوال السنة الفائتة.

ناداني من غرفة نومه، بينما كنت ألصق حبات الثلج اللماعة على الحائط خلف الأريكة.

سألني: "هل تنقلين الأثاث؟".

سمعت وقع خطواته وهو يمشي ببطء إلى الباب ويسعل، ثم فتح باب الغرفة، واتكأ على إطار الباب شاحباً وهالات سوداء تحيط عينيه. نظر إلى الغرفة ولم ينطق بكلمة.

فقلت: "دارن! هل من مشكلة في هذا؟ أردت فقط أن أبرهن لك أن مرضك لا يعني أن تفوّت عيد الميلاد".

اقتربت منه، ورأيت دموعه تملأ عينيه وقال: "لوسي، أحياناً أحبك لدرجة أني لا أعرف كيف يحتمل قلبي هذا القدر من الحب".

مشيت إليه، واحتضنته بقوة، وكأنني أريده أن يرى مقدار حبي له من قوة احتضاني له. كان دارن تجربة المحاليل متغيرة الألوان خاصتي.

كلما طالت علاقتنا، كنت أحبه أكثر فأكثر ويصبح الوضع أفضل.

t.me/ktabpdf مكتبة

XLI

هناك بعض المواقف تكون نقاط تحول في حياة الشخص. يوم الحادي عشر من أيلول كان نقطة التحول في حياتي، ورحيلك كان نقطة ثانية، وعيد الميلاد ذاك مع دارن كان نقطة أخرى. لم يكن قد مرّ على ارتباطنا أكثر من عام ونصف، لكني علمت منك أن علاقتنا ستكلل. ليس من الضروري فوراً، لكنني علمت أن هذا سيحدث، إلّا إذا حدث شيء غير متوقع، أو بالأحرى إذا حدثت أنت! لطالما تخيلت أنك الشخص الوحيد الذي من الممكن أن يوقفني عن الزواج بدارن.

لا أعلم إن كان ذلك يعني أنه ليس عليّ الزواج به، لكن في الوقت نفسه كنت أعلم أنه من المستحيل أن أحصل عليك، ولم أستطع تخيل حياتي من دونه. أحببته، أحبه كثيراً، لكن ليس كما أحببتك. لا أزال أحلم بك منذ أن غادرت، وقد أخبرتك بهذا؛ أنا أحلم أنني أتنزه معك في سنترال بارك أو في فندق أو نقطف التفاح. أحياناً يكون الحلم فقط عن شيء فعلناه بالماضي، لكن دائماً ما ينتهي بأنك تشدني إليك؛ جسدانا ملتصقان وشفتانا تلتقيان، ومن ثم أستيقظ وقلبي يخفق بسرعة، وأشعر بالذنب، لأنني أفكر بأحد آخر، وأنا في السرير مع دارن. حتى بعد كل هذه السنين. حاولت جاهدة أن أوقف هذا لكن دون جدوى. هل تحلم بي أنت؟ هل تحلم بي الآن؟

t.me/ktabpdf مكتبة

فـي أحـد الصباحـات قبيـل عيـد مولدي السـادس والعشـرين، رأيـت صـورة في جريدة نيويـورك تايمز التقطتها أنت. كانت الصورة لمتظاهرين مدنيين باكسـتانيين. باكسـتانيين وليس عراقيين. كنت قد انتقلت إلى بلد جديد ولم تخبرني.

حلمت بك يومها، لكن ذلك الحلم كان مختلفاً. كنا نمشي في تايمز سـكوير ومرت مجموعة سـياح. انفصلت يدك عن يدي، تفرقنا وكنت أبحث عنك في كل مكان. كدت أهلع ولا بد وأنني صرخت أناديك لأن الشيء التالي الذي أذكره هو دارن يهزني من كتفيّ ويقول:

"استيقظي يا لوسي، هذا كابوس".

استيقظت متعرقة وشعور الهلع مازال مسيطراً.

سـألني دارن: "مـا كان ذلـك؟ كنـت تقوليـن أعطيـتُ، ما الذي أعطيته؟".

هززت رأسي وقلت: "لا أدري".

لكن بالطبع أعرف أنني لم أقل أعطيت. جلب لي دارن كأسـاً من الماء، ثم اقترب مني ليحضنني وقال:

"لا بـأس. أنـا هنا. سـأبقي الأحلام السـيئة بعيـداً". طوقت عنقه بذراعي، وأنا أعلم أن لا أحد يمكنه منع تلك الأحلام. بقيت صاحية لوقـت طويـل، إلـى أن بزغـت الشـمس. أرسـلت لـك يومها رسـالة إلكترونية من العمل:

لم أسمع عنك منذ مدة لكنني علمت أنك في باكستان. أحببت الصورة. هل ستبقى هناك طويلًا؟

جاء الرد سريعاً:

مرحبـاً يـا لـوس. أتمنـى أن تكوني بحال جيدة. أنا في باكسـتان

t.me/ktabpdf

مكتبة

منذ عدة شهور. لكن سألوني إن كنت أريد الانتقال إلى هنا نهائياً. أفكر بالموافقة على هذا. على الأغلب سأكون في الولايات المتحدة مجدداً في الصيف. أتمنى أن نلتقي حينها. أتابع دائماً إت تاكيس أي غالاكسي حيثما أسافر. فريق عملك يبلي بلاءاً حسناً. ما زلت أحب غالاكتو ذاك.

هل تذكر إرسالك لتلك الرسالة؟ كنت سعيدة أنك أرسلتها. معرفة أنك لم تنتقل دون أن تخبرني جعلتني أهدأ، وكأن العالم كان يدور بالسرعة النظامية حينها. لكنني لا أعرف لماذا كان الأمر يهمني. اعتقدت أنني أردت أن أبقى ذات أهمية بالنسبة إليك. أن أكون ذلك الشخص الذي تشاركه أخبارك، حتى لو لم تكن أنت من أشارك أخباري معه.

بعض أطباء النفس قد يأخذون مجدهم على مقولة كهذه.

ما لم تخبرني به حينها هو أنك قد قابلت مراسلة في إسلام أباد اسمها راينا ولهذا السبب كنت تريد الانتقال. لا أعلم كيف كنت لأتلقى الأمر حينها. بصراحة أنا سعيدة أنك لم تخبرني.

XLII

فـي ذاك العـام، جلـب لي دارن حذاء مانولو بلانيكس هدية عيد ميـلادي. وقررنـا أن ننتقـل للعيش سـوية. كان قد مضى على ارتباطنا عام ونصف، وعقد إيجار بيتينا كان سينتهي في الصيف. فقال دارن:

"لنجد مكاناً جديداً بحيث لا يكون لأيّ منّا، بل لكلينا".

أعجبتني الفكرة. كان شعوراً غريباً أن أزيل بعضاً من ملابسه من الدروج لكي أفسح مجالاً لتتسع لبعض من ملابسي، وأن يزيل بعضاً من ملصقاته، لكي يتسنى لي أن أضع بعضاً من ملصقاتي. شـاركني منزلـه، ولـم أرد أن أفـرض أي شـيء أكثر مما قُدم إليّ. سـألني دارن وهو يلتقط قلماً وورقة عن طاولته:

"عن ماذا سنبحث برأيك؟".

كنا في منزله.

فـي الفتـرة الأخيـرة قضينا أغلب الأوقات فـي منزله، ربما لأنه كان أكبـر وأقـرب إلـى قطـار الأنفاق، وكان فيه بيـت آني التي أحبتها كثيـراً، لكنهـا كانـت كبيرة لأن نأخذها معنا إلـى منزلي ومكلفة إذا ما أردنا شراء واحدة أخرى.

قلت وأنا أرتدي جوربي:

"أكبـر منـزل يمكننـا تحمـل نفقاته يجب أن لا يكـون أكبر بكثير من غسالة صحون".

t.me/ktabpdf

مكتبة

أومأ برأسه وهو يكتب وقال:

"سأضيف أن يكون قريباً من قطار الأنفاق ومن مطاعم جيدة ومحال تجارية وأن يتألف من غرفتين".

فقلت: "غرفتين؟".

أجاب دون أن ينظر إليّ: "من أجل الضيوف".

لكن تفكيري انتقل إلى الأطفال. انتقالي للعيش مع دارن كان مختلفاً عن انتقالي للعيش معك. كانت أشبه بأننا نعقد التزاماً حقيقياً بيننا وكأنها خطوة للاستعداد للخطوبة. قضينا عطلات نهاية الأسبوع نبحث عن شقق للإيجار. لم يكن دارن ليقبل بعرض أقل من مثالي. كان سمسار البيوت سيقتلنا.

في أحد أيام الأحد من أواخر شهر نيسان قلت لدارن: "أعتقد أن هذا هو".

كان من فترة ما قبل الحرب، يبدو غير منظم، فيه مداخل مقنطرة تؤدي إلى المطبخ، على علو صفين من الدرج. حائط غرفة النوم كان من الآجر.

قلت: "أحببته".

ابتسم وقال: "أحبك".

ضحكت وسألته: "لكن هل تحب هذه الشقة؟".

"أجل، وليس فقط لأنك تحبينها أنت".

"هذا جيد".

وقعنا العقد في اليوم نفسه، ثم انتقلنا بعد ثلاثة أسابيع. أخذنا آلاف الصور، ووضعنا بعضها على أحد مواقع التواصل الاجتماعي. ذهبنا إلى محل بيد باث آند بيوند، واشترينا كل شيء من شأنه أن

t.me/ktabpdf مكتبة

يضحكنا، مثلاً علبة حفظ البسكويت على شكل فطيرة، أو إبريق على شكل وجه، ستارة للحمام عليها صورة ستارة حمام والتي بدورها عليها صورة ستارة حمام وعليها عبارة إلى ما لا نهاية.

قلت: "ميس إن آبيم". نظر إليّ دارن وكأنني أتكلم بلغة أخرى. في الواقع كنت كذلك.

قلت موضحة معنى كلامي: "ظاهرة شوفان الكوايكر، أي صورة عليها نفس الصورة ويتتابع الأمر إلى ما لا نهاية".

أجاب: "لم أكن أعلم أن لهذا تسمية".

كنت أنت لتعرف عن أمر كهذا، لكنني لم أفكّر بك حينها. لم أفكّر بك حين دفع دارن ثمن كل شيء ابتعناه، ولا حين وصلنا إلى المنزل ولعبنا مع آني. لكن لم يسعني إلّا المقارنة بين ليلتنا الأولى أنا ودارن بعد انتقالنا للعيش سوية مع ليلتنا الأولى أنا وأنت التي قضيناها في شقتك التي أصبحت شقتنا بعدها شقتي وحدي.

حضّرنا عشاءً فاخراً، وكان عبارة عن دجاج محمّر مع الصلصة وزجاجة من الشراب الفاخر للاحتفال. بعدها أخذنا آني في نزهة، ثم شاهدنا فيلماً ومارسنا... في أول يوم في شقتنا طلبنا البيتزا، وتشاركنا زجاجة شراب ومارسنا... في كل مكان في الشقة، على الأريكة، على الأرض، على الطاولة وعلى السرير بالطبع. ثم استيقظنا في الصباح التالي وأعدنا الكرّة. لكننا لم نكن نغسل شعر بعضنا أثناء الاستحمام كما فعلنا أنا ودارن في أول صباح في شقتنا. لا أعلم لمَ لم يخطر ببالنا أنا وأنت فعل هذا، فهو أمر رائع، غسل شعر من تحب وبدوره يفعل لك ذلك. إنه أمر حميمي. ربما يعود الأمر إلى تشابه جيناتنا مع جينات القرود، فهي دائماً تعتني بالشريك.

t.me/ktabpdf مكتبة

لم نكن أنا وأنت نترك لبعضنا ملاحظات ملصقة على الثلاجة.

أمّا مع دارن فالملصقات موجودة على جميع أنواع العلب؛ فعلى علبة الحليب مكتوب أحبك وعلى علبة العصير أنت جميلة جداً أما على علبة الجبنة فكُتب أنا سعيد جداً وأنا أيضاً إلى جانب صورة الببغاء.

لا أذكر كيف بدأ الأمر لكنني أذكر أنني فكّرت: هذا شيء لم يكن دارن ليقوم به أبداً بل كان ليراه ضرباً من ضروب الحماقة. آمل ألا تكون ترى الأمر هكذا. أتمنى أن أكون مخطئة.

XLIII

عندما تقابلنا لشرب فنجان قهوة بينما كنت في المدينة لبضعة أيام، شعرت أنّ شيئاً شيء ما مختلف فيك، شيئاً ما مختلف حول المدينة أيضاً. كانوا قد بدأوا ببناء برج فريدم تاور (برج الحرية) في الموقع صفر (غراوند زيرو). بدا وكأنه ضمادة أو وشم لإخفاء ندبة ما. فهمت رغبة إعادة بناء أو إنشاء شيء عظيم وطويل، تبأ لك في سماء نيويورك. لكنني أيضاً شعرت بتلك المنطقة كأنها مقدسة، وأنها ما زالت غضّة ولم تُشف بعد لأن يبنى عليها. لم يكن للأمر علاقة بنا، بل بأولئك الأشخاص الذين كانوا كالعصافير يتطايرون من النوافذ حين سقط البرجان.

رؤية أبنية جديدة تُشيد جعل أمر النظر إلى البرجين صعباً بالنسبة إليّ. كنت أتجنب المرور بذلك الجزء من مانهاتن. هل هو أمر سيئ أن أعترف بعدم مروري من ذلك المكان حتى اليوم بعد أن اكتمل؟ على الرغم من أن هناك نصباً تذكارياً؟ لم أعتقد أنه سيمكنني تخطي الأمر وحدي، لم أرد الذهاب مع دارن. لم نتكلم عن فريدم تاور في ذلك اليوم، ولا عن النصب التذكاري، ولا عن يوم لقائي بك.

بدأت تحدثني في ذلك اليوم عن مدى إعجابك بحلقة إت تايكس أي غالاكسي الذي شاهدته عند توقفكم في لندن.

سألتني: "في ذلك المشهد حين تثبت إلكترا لجدها أنها تستطيع

t.me/ktabpdf

مكتبة

إصلاح مركبته الفضائية، على الرغم من أنه يعتقد أن عليهما سؤال أخيها أولاً، هل كانت تلك فكرتك؟".

ضحكت وقلت: "نلت مني".

فقلت لي بينما ترتشف رشفة من القهوة أمامك:

"توقعت هذا. بدا الأمر وكأنني أتجول في رأسك".

لم يقل دارن أيّ شيء عن إت تايكس أي غالاكسي، وحتى لو فعل، لم يكن ليقول شيئاً كهذا. شعرت بانقباض وحزن. كان من الرائع خوض علاقة مع شخص يهتم لعملي، مع شخص يفهم ذلك الجزء مني.

سألتك: "كيف الحال في إسلام أباد؟".

"جيد.. إن الحال جيد هناك".

بالنسبة إلينا، أنا وأنت، جواب كهذا كان يشعرنا أن ثمة خطباً ما فوراً. تماشيت معك لأرى ما الذي كان يفوتني. كنت مسترخياً، رأسك على الكرسي وبيدك فنجان القهوة. ثم بدأتُ باستدراجك: "هل تعجبك شقتك؟".

"لا بأس به. في الواقع إنه منزل وليس شقة. أتشاركه مع صحفيين آخرين".

"يبدو هذا ممتعاً. هل هم لطفاء؟".

نظرتَ إلى الأسفل، إلى فنجان القهوة وقلتَ: "في الواقع، أتشاركه مع راينا. التقيت بها عندما أرسلوني إلى إسلام أباد. انتهى بنا الأمر نعمل على تقرير معاً".

ثم رفعت كتفيك. أكملت متسائلة: " وعملتما على أشياء أخرى أكثر من ذلك...؟".

t.me/ktabpdf مكتبة

تساءلت ما إذا كان هذا النوع من العمل والمشاركة اللذين تصورتهما لحياتنا، لو أنني وافقت على الانتقال معك. رفعتَ كتفيك مجدداً وكأنك مُحرج من إخباري بهذا.

"إنها حصان مجنّح، مثلك".

شعرت وكأن أحداً ما لكمني على معدتي عندما قلت هذا، وكان هذا ضرباً من الغباء، لأنني لم أقتنع بتفسيرك للأسطورة بكل الأحوال. لكنني كنت أعلم أن تلك الكلمة تعني لك شيئاً. وعلى الرغم من أنني على علاقة مع دارن منذ سنتين، وأنت لم تكن على علاقة مع أحد طوال هذه المدة، وكان من العدل أن تجد أحداً أنت أيضاً، كان هذا مؤلماً بالنسبة إليّ.

مهما بقيت مع دارن فهو لن يأخذ مكانك في قلبي أبداً، ولم أحبّذ فكرة أن فتاة أخرى قد أخذت مكاني في قلبك.

قلت: "هذا رائع. أنا سعيدة لأجلك يا غيب".

مررت أصابع يدك بين خصلات شعرك، كنت قد رأيتك تفعل هذا مئات المرات من قبل، وقلتَ: "شكراً. كيف حال حبيبك دانييل؟ ديريك؟".

"دارن. إنه بخير".

هل تعمدتَ أن تخطئ باسمه؟ لطالما اعتقد هذا، لكنني لم أتكلم عن الأمر. كنت ممتنة أننا لم نلتق على أكثر من فنجان قهوة. لا أعلم ما إذا كنت سأحتمل أكثر من ذلك. مقدار الغيرة الذي انتابني، أخافني جداً. جعلني أشكك بعلاقتي بدارن، ولم أرد ذلك. أنا أحببته وأنت أحببت شخصاً آخر.

t.me/ktabpdf مكتبة

XLIV

هنـاك أسـئلة معينـة قد تغيّر العالم. هـل تقبلين بالزواج بي؟ هو سؤال يعلو جميع الأسئلة.

فـي آخـر أسـبوع من شـهر نيسـان، بعد لقائي بـك بفترة قصيرة، طلـب مني دارن أن أوضّـب حقائبـي، لأنه قد خطط لرحلة للاحتفال بذكرى ارتباطنا في وقت أبكر، في يوم ميموريال داي. أربعة أيام عطلة للاحتفال بانتقالنا للعيش معاً، وأننا بعد فترة قريبة سـيكون قد مضى سـنتان على ارتباطنا. لم يكتشـف دارن بعد أنني لا أحبّذ المفاجآت، لكنني أحاول أن آخذ الأمر بمرونة. من الواضح، أنه يحب التخطيط وأن يفاجئنـي، لـذا قـررت تجاهل مشـاعري نحو الأمـر وأن أقدّر كم يعني له الأمر.

مع ذلك لم أستطع أن أكف عن محاولة اكتشاف وجهتنا. توقعت أن تكـون كايـب كـود أو مـكان ما على سـاحل مايـن بما أنها لم تكن سـوى أربعة أيام، وكلانا يحب الشـاطئ بالإضافة إلى أننا لم نذهب إلى أيّ من هذه الأماكن كثنائي. لكن عندما أعطاني دارن لائحة بماذا أوضب حقائبي، لاحظت أنه لا وجود لملابس سـباحة عليها. سـألته بينما أوضب الحقيبة: "هل نسيتَ شيئاً؟".

كان دارن يجهـز نفسـه للخلـود إلـى النـوم فجـاء إلـيّ بقميص وسـروال داخلي تفوح منه رائحة الصابون ومعجون أسـنان. نظر إلى

t.me/ktabpdf مكتبة

اللائحة التي بيدي وهو يقرأ غرضاً تلو الآخر. فقال: "لا. لم تنسي أي شيء".

فسألته: "ألا نحتاج لملابس سباحة؟".

"لا. كل شيء تحتاجين إليه وضبته".

أعدت تنظيم أفكاري عن العطلة. ربما سنذهب إلى بيركشيرز أو إلى ذلك المنتجع في كونيكتيكيت الذي تحدثت عنه أخته الكبرى كثيراً. وكلا هذين الأمرين سيكون مسلياً. سألني إذا ما كنت أستطيع مغادرة العمل غداً في الساعة الخامسة فأجبته: "لم يمانع فيل الأمر".

في تلك الأثناء كان دارن قد بدأ بتوضيب حقائبه وقال: "سأمرّ لأقلّك من المكتب ومن ثم ننطلق".

"يمكنني أن ألاقيك إلى مكان تأجير السيارات".

"لا، لا داعي".

طوى أحد بناطيله لتتطابق حوافه ثم وضعه في الحقيبة وقال: "أظن أنه من الأفضل أن أقلك".

توقفت عن التوضيب لبرهة كي أشاهده وهو يكوّر جواربه ويضعها في حذائه. استطاع وضع ثلاث كرات من الجوارب في كل فردة حذاء وتفحّص داخل كلّ منها ليرى إذا كان قد دفعها إلى آخر حد. أحياناً أنظر إليه وكل ما أفكر به أنه لي، هذا هو حبيبي، الجسد الذي احتضن به، اليد التي أمسكها. لم أشعر أنك ملكي بنفس الطريقة التي شعرت وما زلت أشعر بها نحو دارن. بدا الأمر معك وكأنك ملك نفسك وتعيرني إيّاك عندما يناسبك الأمر. لم تكن يوماً ملكي تماماً لكن مع دارن كان الأمر مختلفاً. وحقيقة أنه كان ملكي بكليّته جعلتني أغضّ النظر عن أشياء ربما لم يكن عليّ تجاهلها.

t.me/ktabpdf مكتبة

تلك الليلة، تسللت خلفه وأحطت ذراعيّ حول صدره وقبّلت رقبته من الخلف وقلت: "حسناً، إنها مفاجأتك لي، وسأتوقف عن محاولة تغيير خطتك".

استدار وقبّل ظهري. شعرت به .... ابتسمت ثم رفعت قميصه وقبلته نزولاً إلى جذعه نزولاً إلى.... ثم أنزلته ... أكثر للأسفل.

"لوسي". رفعني وانتقلنا إلى السرير معاً. تأخرنا بالخلود إلى النوم ليلتها. شعرت بالترنح طيلة اليوم التالي في العمل وتأخرت عشر دقائق عن لقائي بدارن من أجل رحلتنا. حين خرجت لملاقاته قال: "أين كنت؟".

كان واقفاً أمام سيارة ليموزين فقلت: "هذه ليست بسيارة أجرة!".

ضحك ثم قال: "كلا، ليست كذلك. سنذهب إلى المطار".

"المطار؟".

"سآخذك إلى باريس، كما في لائحتك: الذهاب إلى باريس من دون سبب". شعرت بعينيّ تتسعان.

سألته وأنا مصعوقة تماماً "هل أنتَ جاد؟".

رحلة مفاجِئة إلى باريس! كان هذا من الأشياء التي تحدث في الأفلام وليس في الحقيقة. لكنه ها قد حدث في الحقيقة. وكان يحدث معي. كانت لفتة عاطفية هائلة، شيء تحلم به آلاف النساء. بعد زوال الصدمة، شعرت بغرابة، شعور يشبه ما شعرت به حين جلب دارن آني. أردت أن يكون لي رأي في الموضوع. ماذا لو أردت النزل في مكان محدد من باريس دون غيره؟ أو أن أزور بياريت أو غيفيرني؟

قال: "أنا جاد كجدية أمر الاحتباس الحراري. هيّا، لننطلق إلى المطار".

t.me/ktabpdf مكتبة

فتح لي باب السيارة. قلت بينما أدخل السيارة: "وماذا بشأن جواز سفري؟".

قال بينما يدخل السيارة هو أيضاً: "إنه موجود هنا".

وربّت على حقيبة حاسوبه المحمول. عندما وصلنا إلى مطار جي أف كي، علمت أنه قد حجز لنا مقاعد في الدرجة الأولى، فقلت بينما أنتظر في صالة الخطوط الجوية الأميركية: "هل أنت مجنون؟!".

"إنها نقاط الأميال التي كسبتها على بطاقتي الائتمانية".

نظرت إليه نظرة المتشكك ثم ضحكت. تابع وقال: "وحتى لو أنني دفعت نقوداً بالمقابل فإن الأمر يستحق كل قرش".

تناولنا أشهى وجبة كنت قد تناولتها على متن طائرة في حياتي وكلّ منّا كان لديه زجاجة شراب صغيرة الحجم. سكب دارن زجاجتي وهو يتكلم بلكنة فرنسية جعلتني أضحك كثيراً لدرجة أنني اضطررت لمسح الدموع من عيني ومعها مسحت بقايا انزعاجي من كونه خطط للرحلة دون الرجوع إليَ.

غفونا ويدانا متشابكتان، واستيقظنا على صوت مضيفة الطيران وهي تقدّم لنا الفطور. فور خروجنا من المطار، أخذني دارن إلى القطار متجهين إلى المدينة، ثم استقللنا قطار الأنفاق. سألته: "إلى أين نحن ذاهبون؟".

أجاب ونحن نزل من القطار "إنها أيضاً مفاجأة".

وقفنا بالقرب من كاتيدرائية نوتردام. قلت: "يا إلهي".

"إنه منظر جميل أليس كذلك! لكن هذه ليست المفاجأة. شقتنا بالقرب من هنا. آمل أن تكون في الحقيقة بروعة الصور".

كان دارن قد وجد شقة عبر الأنترنت واستأجرها لثلاث

t.me/ktabpdf مكتبة

ليـال. عندمـا وصلنـا إلـى هنـاك، لم يكن الأمر كما فـي الصور، لكنه كان جميلاً بكل الأحوال. كان للشـقة شـرفة تطل على نهر السـين، وكان التصميم الداخلي للشـقة تماماً كتصميم شـقة فارسـية يمكن أن تتصورها. الأرضيات المزخرفة والألوان الجريئة بالإضافة إلى سرير دائريّ الشكل. قلت لدارن عندما دخلنا إلى الغرفة: "لم أر شيئاً كهذا في حياتي من قبل".

"لم يكن هذا ما رأيته بالصورة".

وقفـت بقربـه أحـدق إلـى الغرفـة وقلـت: "لـم أكن أعلـم أنهم يصنعون ملاءات دائرية الشكل، ربما هذا تقليد فرنسي".

حك دارن رأسه وقال وهو يلف يده على كتفي: "أعتقد أنه أمر يتعلق بمن يمتلك الشقة. آمل أن لا يكون في الأمر مشكلة".

"بالطبع لا، لا مشكلة. ستكون مغامرة نوم".

كان علينـا أن نـنـام قريبيـن مـن بعضنـا أكثـر من المعتـاد، كي لا تبقـى قـدم أحدنـا معلقـة بالهـواء خـارج الدائـرة. كان أمـراً لطيفاً أن ننام متشـابكين، كما كنا نفعل أنا وأنت. هل كنت تنام مع راينا بهذه الطريقـة؟ ومـع ألينـا؟ أو مع المرأة التي أنا متأكدة أنها مرت بحياتك بينهما؟ على الرغم من أنك لم تخبرني عنهن أبداً.

اليوم التالي كان حافلاً بالمناظر الخلابة؛ نوتردام، متحف اللوفر، برج إيفل، سـان شـابل. تناولنا العشـاء في الخارج وعلى مرمى نظرنا برج إيفل المشعشع بالأضواء، وكأنه يرش المدينة بغبار سحري لمّاع. سألني دارن ونحن نتناول الحلوى: "هل أنت سعيدة؟".

"كثيراً. أشكرك على هذه الرحلة".

نظـرت إلـى السـماء المغطاة بالنجوم، إلـى الأبنية القوطية وإلى

الشوارع المحصّاة. نظرت إلى دارن وهو يبتسم لي. شعرت أن قلبي قد امتلأ. لكن ما لبثت حتى بدأ الجزء مني، الذي كان يريد أن أكون جزءاً من التخطيط للرحلة، بالتفكير كيف أنه كان يفعل هذا من أجلي وكيف أنه كان يفعل كل هذا لأنه يريد أن يكون ذلك الشاب الذي يخطط لرحلة مفاجئة إلى باريس لحبيبته. دارن يخطط ويفعل كل هذه الأمور العظيمة طوال هذه السنين وما زلت لست متأكدة كم من هذه الأفعال لأجله وكم منها لأجلي.

قبيل ذهابنا إلى باريس، وبعد أن أفصح عن سر الرحلة إلى باريس، كنت قد اشتريت له سواراً حفرتُ اسمه على الجهة الملاصقة لرسغه وعلى الجهة الأخرى كتبت: أحبك. قبلاتي، لوسي. عندما انتهينا من تناول الحلوى، سحبت علبة من حقيبتي وقلت له: "لدي شيء لك؛ هدية ذكرى ارتباطنا".

فقال: "لديّ شيء لك أنت أيضاً".

"لكنني ظننت أن الرحلة هي الهدية" قلت بينما كنت ألعب بغلاف العلبة في يدي.

"كان هذا فقط جزءاً من الهدية. لكنني أعرف مكاناً أفضل من هذا لتبادل الهدايا".

نظر إلى ساعة يده وقال: "أتمانعين أن نركض قليلاً؟".

نظرت إلى قدميّ وقلت: "إنني أنتعل حذاء عالي الكعب".

أجاب: "فقط قليلاً.. سأساعدك على التوازن".

دفع الحساب، ثم ركضنا وأيدينا متشابكة عبر شوارع باريس المحصّاة حتى وصلنا إلى برج إيفل الذي كان يلمع. جثا على ركبة واحدة، وسحب من جيبه علبة صغيرة، وقبل أن أدرك الذي يحصل

t.me/ktabpdf مكتبة

قال: "لوسي، أتقبلين الزواج بي؟".

شعرت بالدماء تتدفق بغزارة في أنحاء جسدي ومعدتي تنقلب. ربما كان يجدر بي توقع هذا، لكنني لم أفعل. في تلك اللحظة لم أفكر فيك مطلقاً، ولا في حقيقة أن دارن قد خطط للرحلة دون علمي، ولم أكترث لعملي، وشعرت بأن طموحاتي ظريفة على أنها مهمة. كل ما فكرت فيه هو أنه كم كان لطيفاً وكم أحبني، مقدار الجهد الذي وضعه في ترتيب عرض الزواج هذا، وكيف شعرت أنه ملكي كلياً وكيف أنني أحببت كل هذا.

قلت: "بالطبع، أكيد، أجل".

وقف وحاول وضع الخاتم حول إصبعي، أي أصبع، ممسكاً يدي اليمنى حتى مددت له اليد اليسرى. ثم تبادلنا القبل تحت أنوار برج إيفل. كم كانت لحظة حميمية، وكأنها مشهد من فيلم أو رواية أو مذكرات لفتاة بسن الخامسة عشرة. منذ ذلك الحين وأنا أتساءل ما إذا كنت لتخوض كل هذا من أجل عرض الزواج على إحداهن. كيف تقدمت لإلينا؟ لم تخبرني يوماً كيف كانت، فقط أخبرتني كيف انتهت.

t.me/ktabpdf مكتبة

XLV

بعد أسابيع قليلة من عودتنا، ذهب دارن إلى مونتريال من أجل حفلة توديع عزوبية صديقه آرجيت. تلقيت اتصالاً من جاي في تلك الليلة:

"لو؟ هل تملكين وقت فراغ صباح يوم الأحد؟".

أخذت غياب دارن كفرصة لتناول الفطور مع أليكسز صباح يوم السبت، وبعد الظهر رحلة إلى متحف آل ميت مع كايت، وفي المساء تناول العشاء مع جوليا في كوريا-تاون، حيث خططنا أن نعد اللحم المشوي، وتخبرني عن مجموعة المواعيد الغرامية المتعددة التي باءت بالفشل. أما ليوم السبت فلم أخطط لشيء. أردت قضاء اليوم في المنزل مستلقية على الأريكة بصحبة آني فقط. أردت أن أتناول رقائق الذرة من العلبة مباشرة، الأمر الذي يراه دارن غير لبق. وأن أشاهد حلقات الإعادة من برنامج 90210، وأن أبقى بملابس النوم حتى الساعة الثانية بعد الظهر.

تنهدت وقلت: "أجل، أنا متفرغة. ما الأمر؟".

كنت أستطيع تخيل نهاية لحيته تحتك بسماعة الهاتف. فقال: "إذاً هل يمكنك إسدائي خدمة كبيرة؟".

لم يكن جاي من النوع الذي يطلب خدمة من أحد. حقيقة أنه كان يطلب مني جعلتني أتوتر؟ أجبته: "بالطبع يا جاي. ماذا تريد؟".

t.me/ktabpdf

مكتبة

"هلّا تأتين إلى مخبري من أجل يوم العائلة؟ فانيسا قادمة طبعاً، لكن سيكون هناك كثير من الأطفال، وقد مرّت سنة وأنا وفانيسا نحاول إنجاب طفل. سيكون الأمر أسهل على فانيسا لو أنك تكونين هناك أيضاً. فهلّا تأتين؟".

إليك ما أحبه بشأن أخي: في المرة الوحيدة التي طلب فيها خدمة، لم يطلبها لنفسه بل لفانيسا. أجبته: "بالطبع سآتي".

ذهبت إلى نيوجيرسي لقضاء مساء يوم الأحد، وأنا أتجول بمخبر جاي، وأشاهده ومجموعة من الباحثين يعرضون تجارب للأطفال. يبدو أن يوم العائلة كان يوم الأطفال، ربما كطريقة لجذب الأطفال إلى العلوم أو لإعطائهم فرصة ليزوروا أماكن عمل أهاليهم. في الحقيقة لم يخطر لي يوماً أن الأمر بتلك الأهمية، لكن عندما ذهبت إلى هناك، فهمت كم هو صعب لأحد يحاول جاهداً إنجاب طفل أن يذهب إلى حدث كهذا وحده.

لم أكن متأكدة أن فانيسا أرادتني أن أعلم هذا، لكنني لم أتطرق إلى الموضوع مطلقاً. وعندما كنا واقفين في آخر الصف نشاهد جاي يذهل طلاب المرحلة الابتدائية بتجربة الـ...، تلك التي يتحول فيها لون المحلول من البرتقالي إلى الأسود، قالت لي فانيسا: "توقفت عن التنزه في الحديقة".

نظرت إليها وقلت: "حقاً؟"

أومأت برأسها ثم قالت: "من الصعب رؤية عربات الأطفال في الملاعب".

قلت لها بينما أصدرت مجموعة الأولاد صوت ذهول عند تغير لون المحلول: "أستطيع تخيل هذا. هل زرت الطبيب؟".

"منذ أسابيع قليلة" قالت وهي تترقب النظرات على وجهي: "أنا أتعالج حالياً. لنأمل خيراً".

نظرت إليها وقلت: "أنا متأكدة من أن هذا سيحدث. لا ضير من القليل من المساعدة. الكثير من الناس يمرون بهذه الحال وينتهي بهم المطاف بمولود".

تحول المحلول إلى الأسود، ونظرت فانيسا إليّ وقالت: "أعلم. لكنني لم أتخيل يوماً أن أكون أحد هؤلاء الأشخاص".

اعتذرت لتذهب إلى الحمام أما أنا فمشيت إلى طاولة كان عليها تجهيزات تجربة يمكن تجربتها بالمنزل، عليها بروكسيد الهيدروجين، سائل للجلي وخميرة. لم يسبق لي أن رأيت جاي يقوم بهذه التجربة من قبل. لم أكن أعلم ما الذي سيحصل ما أن نمزج هذه المكونات. حركت المزيج متسائلة ما الذي قد يحصل.

وإذا بصوت من الخلف يقول: "رغوة".

نظرت وإذا به أحد زملاء جاي. لم يسبق لي أن قابلته، لكنه كان يضع بطاقة تعريف عليها اسمه الدكتور كريستوفر مورغان. كان طويلاً وشعره مثلك، لكن هنا انتهى وجه الشبه. كانت عيناه داكنتين وشعره أيضاً، أنف عريض متناسب تماماً مع ذقن مربع الشكل.

قلت: "مرحباً، أنا لوسي كارتر، شقيقة جايسون".

نظر إليّ وقال: "أستطيع رؤية هذا، من خلال الشبه بالحاجبين". ابتسم وتابع: "يليقان بفتاة أكثر، لكن لا تخبري جاي. بالمناسبة، أنا كريس".

ضحكت وقلت: "لن أخبره. تشرفت بمعرفتك".

مشى كريس إلى الطرف الآخر من الطاولة، وبدأ بإغلاق علبة

بروكسيد الهيدروجين وقال: "يبدو أن لا أحد مهتم بتجربتي. توقعت أن يكون من الممتع أن أري الأطفال تجربة يمكن أن ينفذوها في المنزل، لكن يبدو أنهم يستمتعون أكثر بالتجارب التي لا يدخل في مكوناتها مواد تستخدم في المطبخ. أعتقد أنني لا أفهم الأولاد جيداً".

بدا في نفس عمري ربما يكبرني بسنة. تصورت أنه لا أطفال لديه، ولا حتى أولاد أخ أو أخت فقلت له: "إني أرغب برؤية تلك الرغوة".

نظر إليّ وقال: "حقاً؟ أتريدين هذا؟".

"بالطبع" أجبته وفكرت فيما إذا كنت أغازله بفعلي هذا أم أننا نتكلم فقط؟ فجأة شعر بثقل الماسة التي على اصبعي. قال: "حسناً" بينما ينزع الغطاء عن القنينة. تابع: "بعض الرغوة ستخرج على الفور".

سألني كريس بعض الأسئلة بينما كان يسكب المكونات: أين أعيش، ما هو عملي، كيف وصلت إلى نيوجرسي في ذلك اليوم. وجدت نفسي أجيب دون أن آتي على ذكر دارن. علمت أن هذا لا يبشر بالخير.

قال كريس: "أتعلمين.. سأزور نيويورك قريباً.. ربما ألتقيك لشرب فنجان من القهوة..".

قاطعته: "أنا...". ثم رفعت يدي اليسرى وقلت: "أعتذر.. فأنا مخطوبة".

"أنا آسف لم..".

قاطعته قائلة: "لا لا، إنها غلطتي. أعتذر إذا ما أعطيتك انطباعاً خاطئاً".

t.me/ktabpdf مكتبة

نظـر كريـس إلـى يـدي مجدداً ثـم إلى المكونات أمامه وسـأل أخيراً: "أتودين إضافة الخميرة؟".

ابتسمت وأضفتها... صنعنا رغوة.

في طريق العودة إلى منزل جاي وفانيسا، لم يسعني سوى تخيل ما الذي كان سيحصل لو أنني لم أكن مخطوبة. وأنني أعطيت رقمي لكريـس والتقينـا لشـرب فنجان قهوة. هل كنت سـأجد شـيئاً مختلفاً ورائعاً في قبلته. مواعدة دارن لمدة طويلة بعدك جعلتني أنسى وجود رجـال آخريـن. وعـدت فـي ذاكرتـي إلـى الحديث الـذي أجريناه أنا وكايت عن ليز وتشبيهات النار. ماذا لو أنني أوقفت حبل الاحتمالات باكـراً؟ هـل كان علـيّ أن أبحـث عن نار الموقد والشـرارة التي كانت ليز تتحدث عنهما.

وصلت إلى المنزل ذلك اليوم، وكان دارن ينتظرني ومعه هدايا من مونتريال. أعددنا المعكرونة سوية، وأخذنا آني في نزهة، وضحكنا على أشياء سخيفة فعلها أصحاب جاي في حفلة توديع العزوبية. ثم فكرت: هذا هو ما أريد. عندما أسـتعيد ذكرى ذلك اليوم أتسـاءل إذا ما كان داخلي يخبرني بأشياء لم يكن قلبي ولا عقلي على دراية بها. هل كان الأمر ليبقى على حاله لو أنني استجبت لما أنبأني به داخلي.

XLIV

يقـول النـاس إن المطـر يوم الزفـاف فأل خير. أعتقد أن أحداً ما قد ابتدع تلك المقولة كي لا تهلع العرائس حين تسـتيقظ يوم زفافها على سماء مكفهرة.

هكذا كان يوم زفافنا أنا ودارن. كانت الشمس تحاول جاهدة أن تتسلل بين الغيوم لكنها لم تنجح. تزوجنا بعد ستة أشهر من الخطوبة، في عطلة يوم الشكر عام 2006. قال دارن إنه لم يستطع انتظار دقيقة أخرى حتى يصبح زوجي وأنا كنت غارقة برومانسية الموقف فوافقت من كل قلبي. كنت في السادسة والعشرين من عمري حينها أما دارن فـكان فـي الواحـدة والثلاثين من العمر. بالإضافة إلى شـقيقات دارن الثلاث وزوجة أخي فانيسا، كان لي ثلاث وصيفات أخريات: كايت أليكسز وجوليا.

لقـد جعلتهـنّ يرتديـن اللون الأصفر لأنه كان لون فرح بالنسـبة إليّ، وأنا ودارن أردنا كل شيء سعيداً في يوم زفافنا، كسعادتنا نحن. لم يستطع أحد أن يضحكني كما فعل دارن. لم يستطع أحد أن يجعل يومـاً عاصفـاً إلـى يوم مشـمس وسـماء صافيـة. وربمـا كان عادياً أن يكـون يـوم زفافنـا غائمـاً لأن زواجي بدارن جعله يبدو مشـرقاً. جعل مسـتقبلي مشـرقاً، حتى وأنني حملت باقة ورد من دوار الشـمس، أمر غير مسبوق، أعلم.

نشرت الصور على أحد مواقع التواصل الاجتماعي. في الواقع كثيرون فعلوا ذلك، فأعتقد أنك علمت بشأن باقة دوار الشمس. لم أقم بدورتك. بدا الأمر غير مناسب. لم أرك طوال ذلك العام. كنت قد أرسلت لك رسالة الكترونية أعلمك بأمر خطوبتي، لكنك لم تجب، ولم تخبرني أنك كنت في الأرجاء حينها. رأيت صورتك على صفحة آدم على فايسبوك مع جاستن وسكوت، كتب أسفل الصورة: عُدنا. شعرت بانقباض حين رأيت الصورة، لكنني أتذكر يومها أنني قلت في نفسي أنه من الأفضل ألا نرى أحدنا الآخر مجدداً.

كان زفافنا في بوتهاوس في سنترال بارك. كان هذا مكاننا أنا وأنت، أعلم، لكنني لم أفكر في ذلك حين حجزنا المكان. كانت أمي تصر أن يكون الزفاف في كونيكتيكيت، وأهل دارن أرادوا أن يكون جيرسي، لكن دارن مال لأن يكون في مونتو. أما أنا فأردت نيويورك وهناك مقولة تقول إن العروس تحصل على ما تريد. حالما رأينا ذلك المكان في سنترال بارك، شعر دارن بسعادة بالغة. حتى إن دارن هو من قام بتصميم بطاقات للزفاف: كانت صورة لأقدامنا ونحن ننتعل أحذية رياضية وكُتب أسفل البطاقة: إذا أتيتم بالطائرة، بالقطار، أو بالسيارة أو مشياً على الأقدام، نحن نرحب بكم للانضمام إلى حفل زفافنا.

أعلم، أعلم. لكنت تأففت لو أن بريداً كهذا كان قد وصلك. لا أعتقد أنك وصلت أنت وإلينا بخطوبتكما إلى مرحلة تصميم بطاقات. وحتى لو أنكما تابعتما في علاقتكما كنت لتتجاهل تقليد كهذا كلياً.

الليلة التي سبقت الزفاف نمت في منزل والديّ في كونيكتيكيت، واستيقظت فجأة على صوت هاتفي يرن. الرقم المتصل كان طويلاً،

بدا من خارج المنطقة. كان المتصلون المحتملون كثر، فهناك شقيقة كايت ليز، زملاء من المملكة المتحدة أو ألمانيا حيث كان برنامج إت تايكس أي غالاكسي رائجاً كما في الولايات المتحدة. لكن رغم هذا أحسست أنك أنت المتصل. انتظرت قليلا ثم قررت أن أرد. اعتقدت أنك ستتمنى لي التوفيق، لكنك لم تكن تعلم متى موعد الزفاف، على الأقل ليس في وعيك. لطالما تساءلت ما إذا كنت تعلم في باطنك. لا بد وأن أحداً أخبرك. أو أنك رأيت الأمر على مواقع التواصل الاجتماعي. وربما كانت مصادفة.

"لوس؟".

"غيب؟".

"هذا أنا. أعتذر إذا ما كنت أقاطع شيئاً. أعلم أننا لم نتكلم منذ مدة لكنني... أحتاجك".

جلست على السرير، تفاعل جسدي مع صوتك بالطريقة المعتادة نفسها. اتكأت على الوسادة وسألتك: "ما الخطب؟".

تخيلت انفجارات وجروحاً واطرافاً مبتورة. "راينا ليست حصاناً مجنحاً" تنفستُ الصعداء. لم تكن متأذيا، على الأقل جسدياً.

"ماذا حصل؟".

"التقت شخصاً آخر. أحبته أكثر مني. قالت إنه كان جاهزاً أكثر مني. ألست جاهزاً يا لوس؟".

في البداية لم أكن أعلم بما أجيبك، ثم خطر لي أن أكون صريحة فقلت: "لا أعلم، فأنا لم أعد أعرفك. فنحن لم نتكلم منذ أكثر من عام".

"بلى، تعرفينني. أنا مازلت كما أنا. إنك تعرفينني أكثر من

أي شــخص علــى الإطـلاق. أنــا... فقط أريد أعرف: هـل راينا محقة بشأني؟".

لم أصدق أنني كنت أحلل شخصية حبيبي السابق صبيحة يوم زفافي. قلت محاولة اختيار كلماتي بدقة: "أعتقد...بقولها إنك لست مسـتعداً كانــت تعنــي أنك لا تضع علاقتكما أعلــى لائحة أولوياتك. ليس بالضرورة أنك تفعل هذا بشكل دائم لكن غالباً. يعني أن تتخذ قرارات تناسـبكما كثنائي حتى لو اضطررت أحيانا إلى تسـوية الأمر بإيجاد حل لا يصب بالمصلحة الفردية، وأن تشـارك كل شــيء.غيب الذي أعرفه لم يحب فعل هذا".

ساد الصمت قليلاً ثم حطمته قائلاً: "أعتقد أنك محقة".

تكلمــتَ هامسـاً بصـوت خيبـة أمل: "كنت آمل أن تقولي شـيئاً مختلفاً".

"أنا آسفة. ربما اليوم ليس هو اليوم المناسب لهذا".

"هل كل شيء على ما يرام؟ أعلم أنه كان على السؤال أولاً إذا ما كنت تريدين التحدث عن شيء ما".

"إن... إن اليوم هو يوم زفافي" حاربتني الكلمات وأنا أنطق بها.

"لوس" قلتَ وكأنني قد صفعتك: "ستتزوجين اليوم؟".

رددت كلامك: "سأتزوج اليوم".

"تباً" أتذكر هذا جيداً. الطريقة التي قلت بها "تباً" قلت هذه الكلمة وكأنها جملة بحد ذاتها. لم نتكلم لبرهة. شعرت بالسوء.

قلت: "ستجد حصاناً مجنحاً آخر".

فسألتني: "ماذا لو..؟". لم تنه جملتك هذه، وكأنك كنت خائفاً من أن تسمعها.

قلت لك: "ستفعل".

سكتُ لبرهة ثم قلت: "أظن أن عليّ الذهاب".

"أجل أجل، أنا آسف لأنني اتصلت".

"لا، لا بأس".

فقلتَ مجدداً: "آسف".

بقيت أفكر بك طوال الصباح.

XLVII

لا أظن أنني كنت سأنفذ يوم زفافي من دون الماسكارا المضادة للماء. بينما كنت أحضّر نفسـي، شعري مرفوع، وامرأة لطيفة كانت تضـع لـي مستحضرات التجميل، أنا كنت أفكـر بقولك: تباً، وظلت جملتك غير المنتهية تتردد في ذاكرتي: ماذا لو. كنت متأكدة أن دارن هـو الـذي أريـده أو بالأحرى اعتقدت أنني متأكدة، ثم أتيت أنت إلى تفكيري وجعلتني أفكر.

عندما قررت جاكي أنها لن تحدد حد عيني السفلي لأن دموعي لم تكف عن الانهمار، طلبت أمي أن يغادر الجميع الغرفة قائلة وهي تلعب بعقد اللؤلؤ حول عنقها: "أعطونا لحظة من فضلكم".

عندما خلت الغرفة اقتربت مني وقالت: "ما الأمر يا لوسي؟".

لم أرغب بالبوح بحقيقة أنني كنت أفكر بك يوم زفافي، وأنني كنت أشكك في قراري. قلت: "أعتقد أنني تأثرت لا أكثر".

نظرت إليّ نظرة ثاقبة، عيناها تخترقان كذبتي. قالت: "لوسـي، أنا والدتك، يمكنك أن تقولي لي الأمر مهما كان".

قلـت لهـا أمـراً لم أعترف به لأحد. "أعتقد أن دارن يحبني أكثر مما أحبه".

حضنتنـي لكـن بحـذر كـي لا يفسـد تبرجـي فسـتانها. وقالت: "عزيزتي، العلاقات ليسـت دائماً متسـاوية. فهي في تبدل مستمر، من

t.me/ktabpdf مكتبة

يحب الآخر أكثر، من يحتاج الآخر أكثر. فعلاقتك اليوم بدارن لن تكون نفسها بعد عام من الآن".

أمسكت بكتفيّ وأرجعتني إلى الخلف قليلاً كي تنظر إلى عيني ثم تابعت: "ولا أظنه أمر سيئ أنه يحبك أكثر بقليل الآن، هكذا سيعاملك وكأنك أميرة".

ضحكت ومسحت دموعي. لكنها ظلت تنظر إليّ بنظرة مفتش الأكاذيب تلك وقالت: "لكن هناك شيئاً آخر". نظرت إلى الأسفل، إلى أظافري التي وُضع عليها الطلاء بدقة ثم قلت: "اتصل غيب اليوم".

"غيب سامسون؟".

أومأت برأسي، وامتلأت عيني بالدموع مجدداً "ماذا لو أنه هو الرجل المنشود وليس دارن؟".

رجعت أمي إلى الخلف، وأسندت نفسها على المنضدة، وبدأت تحرك حبات اللؤلؤ حول عنقها مجدداً. بقيت صامتة لبرهة ثم قالت: "أريدك أن تفكري ملياً في علاقتك بدارن وعلاقتك بغيب. وأريدك أن تفكري من منهما يشكّل شريكاً أفضل، أباً أفضل لأولادك. إذا أتى الجواب أنه ليس دارن فليس عليك الزواج منه اليوم حتى لو لم يعن ذلك أن غيب هو المنشود. إذا كنت تعتقدين أن هناك شخصاً ما يمكن أن يسعدك أكثر من دارن، يمكنك الرحيل. لن يكون الأمر سهلاً لكن بإمكانك فعل هذا. إذا أردتِ هذا، أنا سأخبر والدك وهو بدوره سيخبر الضيوف، لكن لن تستطيعي تغير رأيك مجدداً. إذا ودّعت دارن اليوم فسيكون وداعاً نهائياً. لقد رأيت كم تهتمان كل منكما لأمر الآخر وكم تمرحان سوية. لكن إذا كنت تشعرين أن هذا ليس صائباً، لا أحد سيجبرك على الزواج منه".

t.me/ktabpdf مكتبة

أومأت برأسي. مشت أمي نحو النافذة. وأنا فكرت بك يا غيب.

فكرت كم كان رائعاً ذلك الشعور الذي كنت تبعثه فيّ، لكن بالمقابل كم جعلتني أشعر بسوء. كم كنت تولي اهتماماً لنفسك أكثر مما كنت تولي لعلاقتنا. كيف كانت حياتك عبارة عن "مسرحية غيب" ولأبقيك بدور البطل كان عليّ أن ألعب أدواراً ثانوية. أعلم أنه من الصعب عليك سماع هذا، لكن ما أقوله هو الحقيقة. هذا ما فكرت به ذلك اليوم. فكرت أيضاً بدارن وفي حقيقة أنه مثالي وكيف أنه لا يزال لا يأخذ عملي على محمل الجد، أحياناً كنت أقلق أنه قد لا يأخذني حتى أنا على محمل الجد. لكنني رأيت أنه يمكنني تغيير هذا. يمكنني أن أعمل بجد أكثر كي أريه كم يعني لي عملي، يمكنني أن أساعده أن يرى أنني أريد أن أكون شريكته المتساوية وأنني أحببته.

لقد أحببت ضحكته وحس الدعابة لديه، أحببت ابتسامته. لم يكن التعامل معه غامضاً ومعقداً. فالتواجد معه كان ممتعاً وسهلاً. جعلني سعيدة معظم الأوقات. وأسسنا لمستقبل جميل سوية. لم أكن لأتركه في بوتهاوس في يوم زفافنا. مسحت دموعي وقلت: "شكراً أمي. أنا بخير الآن".

تنهدت أمي واحتضنتني وقالت: "سأبقى بجانبك مهما كانت الظروف".

قلت وأنا أشتم رائحة عطرها من نوع شاليمار: "أعلم".

تابعت كلامها قائلة: "وتذكري أن هناك فرقاً بين الوله والحب".

أومأت برأسي. هل كنت مولعة بك؟ هل كنا مولعين ببعضنا؟ أيمكن أن يطول الوله؟ أم ما بيننا كان حباً من البداية؟ وهذا ما أحب تصديقه.

مكتبة t.me/ktabpdf

XLVIII

على الرغم من أنني كنت أعمل لوقت طويل على إت تايكس أي غالاكسي، وأنا أقوم بالأبحاث عن قصص واقعية محاولة أن أجمع ما أمكنني من أمور كبيرة من عدة دول كي يبني عليها الكُتّاب حلقات قادمة، فأنا لم أسافر أبعد من أوروبا. لذا قرر دارن أن يأخذني إلى تركيا لقضاء شهر العسل. أردت أن أسمع الأذان. أردت أن أصغّر تفاصيل البلدان التي بحثت حولها. عندما وصلنا إلى هناك، رأيت في الشارع نساء يضعن الحجاب ويتكلمن مع نساء شعرهن ينسدل على أكتافهن. أخرجت دفتر ملاحظاتي لأدوّن لنفسي أن أقترح مشهداً من أجل حلقتنا المقبلة لكن مع مخلوقات فضائية بالطبع.

قال دارن: "ألم تكتف من الكتابة! إننا في شهر عسلنا، العمل موجود في نيويورك. لم أتصل بالمكتب منذ وصولنا إلى هنا أما أنت فلم تكفّي عن التدوين والتكلم مع نفسك".

توقفت فوراً وقلت: "عملي مهم بالنسبة إليّ". وفجأة تذكرت ما قلته لك عندما اتصلت بي فقلت: "لكن أنت وأنا أكثر أهمية. سأتوقف". وتوقفت. لم أستطع إلا أن أفكر كيف سيكون الأمر معنا أنا وأنت إذا ما ذهبنا في رحلة. لم تكن لتطلب مني أن أتوقف بل كنت اقترحت أشياء لأدونها. وكنا لنبحث كلانا عن فرص لصور مثلما فعلنا في مانهاتن.

t.me/ktabpdf

مكتبة

رحلتنـا أنـا ودارن أخذتنا إلى كابادوكيا، حيث تجولنا في منطقة تشـبه القمـر، ركبنـا المنطاد قبل بـزوغ الفجر، ارتفع المنطـاد متزامناً مـع شـروق الشـمس. كان المنظـر خلابـاً. مزيجاً من اللـون الوردي والبرتقالي والأرجواني. لفّ دارن ذراعيه حولي، وجعلني أشعر بحبه في وسط السماء. لا أنفك أفكر بتلك النساء. أتمنى لو أنني تحدثت معهـن وسـألتهن عـن كيف هـي حياتهن وما الذي يريدنـه من أطفال أمريكا أن يعرفوه عن تركيا.

لاحقاً، كنت ودارن في مكان اسمه وادي ديفرنت. قرأ دارن من الدليـل: "وادي ديفرنـت، أو المخيلة، مليء بالصخور ذات الأشـكال تشبه الناس والحيوانات. اكتشف ما يمكنك رؤيته من هذه الصخور".

وقفت إلى جانبه أشاهد جملاً، دلفيناً، أفعى وقبعة.

قال: "أظن أن تلك الصخرة تشبه السيدة مريم العذراء. ما رأيك يا سـيدة ماكسـويل؟" كان يناديني طوال الرحلة (السـيدة ماكسـويل) الأمـر الـذي وجدتـه محببـاً في البداية، لكن سـرعان ما بدأ يزعجني. قلت له إنني سأكنى به فقط عندما أكون معه، لكن سأذهب إلى العمل كـلوسـي كارتر. هل اسـمي مدون هكذا في هاتفك؟ أم أنك غيّرت اسـمي بعد أن تزوجت من دارن؟ رئيسـك في العمل ناداني لوسـي كارتر ماكسويل وأنت كذلك الأمر. أعتقد أنك هكذا تفكر بي.

حدقـت إلـى الصخـرة التـي كان دارن يواجههـا، لأرى إن كنت أسـتطيع أن أرى فيهـا أمـاً تحمـل طفـلاً فقلت: "لا أرى سـوى رجل يحمل كاميرا".

t.me/ktabpdf مكتبة

XLIX

أعـرف كثيـراً من النسـاء أمضين وقتاً طويـلاً يحاولن الإنجاب. انتهى الأمر بفانيسا وجاي بأن رزقا بثلاثة توائم بعد العلاج. أما كايت فكان عليها خوض تجربة طفل الأنبوب مرتين. كان دارن يمزح فيقول إنه يمكنه أن يجعلني أحبل بمجرد أن ينفخ في وجهي. كنت أضحك عندمـا يقـول هـذا، لكننـي لم أكـن أجد الأمر مضحـكاً، فإنه يجعلني أفكر بالنساء اللواتي كان عملهن إنجاب الأطفال مراراً وتكراراً. كنت قـد قـرأت عنهـنّ في كتاب ذا غيفر- في المرحلة الثانوية، كانت تلك وظيفتهن الوحيدة.

بعـد زواجنـا بفتـرة قصيـرة، اقترح دارن فكـرة أن ننجب طفلاً. فعمـر كل منـا مناسـب لبـدء أسـرة وهو نفس عمر والديـه حين أنجبا شـقيقته الكبـرى. علـى الرغـم مـن أن كايت أخبرتني أنهـا حبلى، إلا أني لم أكن متأكدة من أنه على حق. كان التوأم قد ولِدا قبل أسـبوع من الوقت المحدد لكنهما كانا بصحة جيدة. أمّن جاي وفانيسا مربية أطفـال وممرضـة ليليـة، وكانـت والـدة فانيسـا قد جاءت لتبقى سـتة شـهور، ورغم كل ذلك عندما اتصل بي جاي بدا عليه الإرهاق. في الأسبوع الأول من كونه أباً، اتصل بي من مخبره: "هل أنت منشغلة؟".

فأجبت: "أنا في المكتب، هل كل شيء على ما يرام؟".

"ليس مقدر على البشر أن يرزقوا بثلاثة أطفال دفعة واحدة! هل

t.me/ktabpdf

مكتبة

أنا شخص سيئ إذا لم أشعر برغبة بالعودة إلى المنزل؟".

"لست شخصا سيئاً يا جاي، إنك فقط متعب. هذا أمر طبيعي. استرخِ لمدة نصف ساعة ثم سيتعين عليك العودة إلى المنزل. فأطفالك وفانيسا بحاجة إليك".

قال: "لا يمكنني التفريق بينهم إلا عن طريق ملابسهم". جعلني كلامه هذا أسرح قليلاً فتساءلت إذا ما كان أخي سيعرفني في حال رآني في مكان ما. قلت له: "فكر بهم كما تفرّق بين الفيروسات. انتبه جيداً. لاحظ الفروق وليس أوجه الشبه".

أملت أن ينفع هذا، فقد شعرت بالأسى عليه. فثلاثة أطفال لم يكن أمراً بحسبان جاي وفانيسا. تنهد وقال: "كحب الهيدروجين للأكسيجين. سأدعك تعملين الآن".

"أحبك أيضاً يا جاي".

بعد ذلك، بعد أمر التوائم الثلاثة، لم يكن إنجاب طفل أمر أريد أن أشغل به حياتي حينها أما دارن فبلى. وذكّرني أن الأبوة كانت على لائحة كلينا فقال: "بالإضافة إلى أن الأمر قد يستغرق سنة على الأقل بالنظر إلى المدة التي استغرقتها كايت وفانيسا".

استغرق الأمر شهراً. عدة أسابيع من الإرهاق لدرجة أنني كنت أخلد للنوم في تمام الساعة التاسعة. ثم مرحلة الغثيان الطويلة حيث كنت أخرج من قاعة الاجتماعات. ولو أنني لم أخرج لكنت تقيأت في غرفة الكتّاب.

بعد أن مرت تلك المرحلة، كان هناك أشهر من الحاجة للتبول كل ساعة على الأقل. استغرقني الأمر أربعة أشهر حتى تأقلمت مع الحمل، ومع فكرة كيف ستكون حياتي حين أنجب الطفل. لكن حالما

t.me/ktabpdf مكتبة

تأقلمت مع الأمر تحمست كثيراً. لم أعتقد أنني سأفكر بهذه الطريقة. كنت أقضي استراحة الغداء أنظر إلى ثياب الأطفال وتجهيزات غرف الأطفال. قرأت مقالات عن الإرضاع، وطرق الولادة، ومتى يكون الوقت المثالي لتدخل الزبدة الفستق في نظام طفلك الغذائي. أصبحت مهووسة بالأطفال. حتى أنني بدأت أفكر إذا كان عملي الناجح أهم شيء بالنسبة إليّ أم كوني سأصبح أما سيتغلب على هذا؟ تساءلت ما إذا كنت سأعود إلى عملي بعد إجازة الأمومة.

أعلم، بعد كل ما أخبرتك به عن عدم رغبتي بأن أتقيد بكوني زوجة أو أم وعن أملي بأن أشكّل فرقاً في العالم بعملي، وتذمري بشأن دارن، وأنه كيف لم يفهم ذلك الجانب مني، والآن فقرة أني قد أستقيل تبدو ضربا من الجنون. شعرت بجنون الفكرة وكأنني أتحول إلى شخص مختلف، إلى لوسي بديلة قد تبدلت أولوياتها.

لكن في الحقيقة، لم أشعر على هذا النحو بل كوني حبلى جعلني على ما أنا عليه. لقد أرادني دارن حقاً أن أبقى في المنزل. قال إنه لن يعتني أحد بالطفل مثلي، وكنت بدأت أظن أنه محق.

كان عمل دارن جيد جداً فرُقي ليصبح مديراً. مرتبه كان مرتفعاً جداً، وكان يجني خمسة أضعاف ما أجنيه، ولم أكن أجني القليل. بهذا الدخل الإضافي أردنا أن نبتاع شقة بحيّ رائع، فقال ذات صباح وصحيفة نيويورك تايمز على ساقيه وآني عند قدميه: "لننتقل إلى مانهاتن ربما في منطقة أبر إيست سايد".

لكن مانهاتن كانت منطقتنا نحن. منذ اتصالك قبل حوالي خمسة أشهر شعرت بالأمر أكثر فأكثر. على الرغم من أننا تزوجنا أنا ودارن في مانهاتن، لكن بروكلين هي المنطقة خاصتنا وليست مانهاتن. فقلت له:

t.me/ktabpdf

مكتبة

"لكنني أحب بروكلين. ما رأيك ببارك سلوب أو بروكلين هايتس؟".

بالرغم من أنني متزوجة وأنتظر مولوداً كنت أفكر بك. كنت آخذ قرارات كبرى بناء علينا أنا وأنت. ظننت أن الأمر سيتوقف وأنك قد تختفي من تفكيري كما فعلت من قبل. وتبين أن هذا قد يتحقق. لكن في تلك المرحلة كنت مازلت تسيطر على أفكاري. سألني دارن: "هل أنت متأكدة؟".

"بي إس 6 مدرسة ممتازة".

"أعتقد أنه يمكننا أن نرسل طفلنا إلى مدرسة خاصة" سألت: "إذاً بروكلين؟".

فكان يتفقد لائحة بروكلين هايتس أمامه. قال بعد عشر دقائق: "وجدت واحداً. استمعي لهذا: أربع غرف نوم ثلاثة حمامات، من طابقين، فما المانع من العيش في لوف لاين؟" سحبني وقبل معدتي قبل أن يقبلني وقبلته أنا بدوري.

سألته: "هل نحن بحاجة لأربع غرف نوم؟".

"ربما، يوماً ما" قال وهو يبتسم.

كنت أعلم أنه يرغب بعائلة كبيرة. لم أكن متأكدة من شعوري حول هذا الأمر، لكنني لم أكن أرفضه أيضاً.

فقلت: "ما رأيك أن نتفقدها؟". ذهبنا إلى الشقة يوم عرضها. لم يسبق لي أن رأيت شقة كبيرة إلى هذا الحد في المدينة. كان في الشقة غرفة طعام، مكان لتناول الطعام في المطبخ.. ولمَ أقول كل هذا.. فأنت ذهبت إلى هناك وتعرف كل هذا. عندما ابتعنا الشقة وانتقلنا، وعندما بدأنا بتجهيز غرفة الطفل، حينها شعرت بأنني أم فعلاً. لم أكن أطيق الانتظار حتى أرى طفلي.

L

لا أعـرف لمـاذا يعتبـرون الرقـم خمسـة والرقم عشـرة عظيمين جداً: عيد ميلاد سـن الثالثة عشـرة، عيد الزواج الخامس والعشـرين، لم الشمل الخامس. بالنسبة إلينا كانت أنني حبلى للمرة الأولى، وبعد ذلك بأسبوع انتقلنا إلى شقتنا الجديدة في بروكلين هايتس. لم يتوقـف دارن عـن الحديـث بأنـه يريـد أن يملأ الغـرف بالأطفال، لكنني كنت منشغلة بالتركيز على الطفل الذي ينمو في داخلي.

كنت قد أتيت إلى المدينة، لكنك لم تعلمني. لم نتواصل منذ أن تزوجـت. علـى الأرجـح أن عـدم تواصلنا كان قراراً صائباً. فقد كنت أفكـر بـك بمـا يكفي دون أن أراك شـخصياً. أعتقد أنك لم تكن تريد أن تراني في لم الشمل أو كنت تحضر لترى كيف ستكون ردة فعلي إذا ما رأيتك شخصياً.

أرسلت لي ليلتها: هل سأراكِ الليلة؟ حدقت إلى الرسالة لمدة دقيقتيـن تقريبـاً. لـم تكـن تعلم أنني حامـل. ظننت أن عليّ أن أخبرك قبل أن ألتقي بك. فرددت على رسالتك النصية: سأكون المرأة الحامل بالفسـتان الأزرق. ربما لم تكن الطريقة المثلى لإخبارك خبراً كهذا. لم ترسـل شـيئاً بعدها. وبالطبع بقيت أتسـاءل فيما كنت تفكر، طوال اليوم، وإذا ما كنت سعيداً لأجلي أم لا. إذا كنت ستتجنب رؤيتي في لم الشمل أم أنك ستبحث عني خصيصاً.

t.me/ktabpdf مكتبة

سألني دارن وهو يمسك كتفي: "ما بالك اليوم؟ ناديتك أربع مرات وكأنك في كوكب آخر. هل تريدين أن أسحب لك سحاب فستانك؟".

"آسفة، إنني أفكر بالجامعة، وأجل.. شكراً".

دارن لديه عادة مع سحب سحاب الفساتين خاصتي. فهو يعتقد أن هذا شيء حميمي أكثر من نزع الملابس عن الآخر. قال إن هذا يعبر عن الحب.

سألته: "هل تريدني أن أعقد لك ربطة عنقك؟".

ابتسم وقال: "أجل".

كيف تحضرت للم الشمل؟ هل كنت تبيت عند أحد أصدقاءك؟ أم في فندق؟ لم يتسنَّ لي أن أسألك. كان لم الشمل جنونياً، ألا توافقني؟ كل من حضر كان يمسك بيد الزوج أو الزوجة. ومنا من ترتدي ملابس حمل باهظة الثمن. بنفس الطريقة التي شعرت بها بغيرة إحداهن تجاهنا في محل بلومينغدايل منذ سنين، رأيت نساء في لم الشمل ينظرن إليّ بحسد. فقد حصلت على الزوج المثالي، وكنت على وشك أن أرزق بطفل. لم أهتم لحقيقة أني درست في إحدى جامعات عصبة اللبلاب، وأن النساء اللواتي كنّ هناك طبيبات أو محاميات أو كاتبات أو مستشارات.

كل من أتى إليّ سأل عن الطفل وعن الزفاف. لم يسألني أحد ما طبيعة عملي، وماذا فعلت بعد التخرج. لم يهتم أحد أني تلقيت لتوي ترقية في العمل لأصبح مساعدة منتج، وأنني كنت أعمل على برنامج جديد خاص بي اسمه روكيت ثرو تايم، الذي يأخذ الأطفال في رحلات إلى التاريخ ويضيء كيف أثر التاريخ على الحاضر.

كانت الأسئلة فقط "متى موعد ولادتك؟"، "ذكر أم أنثى؟"، "كم مضى من الوقت على زواجكما؟"، "كيف تعرفتما إلى بعض؟".

كنت بدأت أشعر أن زميلتي في السكن أخذت القرار الصائب بعدم مجيئها، ثم رأيتك. كنت في الطرف الآخر من الخيمة، وكانت هناك امرأة بالقرب منك تمسك بذراعك وتبتسم على شيء قلته لها. فجأة شعرت بالغثيان فهمست لدارن الذي كان يتكلم مع أحد الذين يعملون في المصارف: "أريد تنشق بعض الهواء".

"هل أنت بخير؟".

"أجل. سأكون بخير". لم يمضِ على تخلصي من الغثيان المرافق للحمل سوى بضعة أسابيع، وكان دارن قد اعتاد على رؤيتي أتقيأ، لكنها لم تكن تجربة نحبذها. سألني: "هل أنت متأكدة؟".

"أجل" أجبته ثم اتجهتُ خارج الخيمة.

أخذت نفساً عميقاً ثم عدت إلى الداخل. لم أجدك. لم يكن هناك جدران، فاستطعت رؤية الجميع. تلك المرأة كانت تتحدث مع شخص آخر، وتضع يدها حول ذراعه. رؤية ذلك أراحني أكثر من النفس العميق. اختفى غثياني. كنت متوجهة إلى دارن عندما شعرت بأحد يلمس كتفي. كنت أنت.

"لوس".

استدرت وقلت:

"غيب.. مرحباً".

شعرت بالقشعريرة حيث لمستني على كتفي.

"فستان جميل".

كان دارن قد أخبرني أنه عندما يقول الرجال هذا يقصدون تبدين

مثيرة في هذا الفستان. لم أصدق هذا تماماً. كان عليّ أن أسألك حينها عن معنى إطراءك.

"شكراً. قميص جميل".

ظهرت غمازاتك.

قلت لي: "لا يبدو عليك الحمل. تبدين تماماً كما أنت".

أمسكت جانبي الفستان الفضفاض وشددته على جسمي.

"وماذا عن الآن؟"

اتسعت عيناك ثم قلت: "حسناً.. هذا..."

"هذا طفل".

كنت في الشـهر الرابع، لكنني لم أعد أسـتطيع ارتداء ملابسـي العادية.

"مبروك يا لوسي. أنا سعيد لأجلك".

تركت طرفي الفستان وقلت: "شكراً. كيف حالك؟".

تلاشـت ابتسـامتك ثم رفعت كتفيك. "العودة إلى نيويورك أمر غريب. أشعر وكأنني في برنامج باك تو ذا فيوتشر وعدت إلى يعيش في المستقبل بينما كنت غائباً".

نقلت نظرك إلى معدتي.

فقلتُ: "وعالمك قد تغير أيضاً".

أومأت برأسـك رافضاً وقلت: "لا أسـتطيع شـرح الأمر. عالمي تغيـر لكـن كان يجـب على نيويورك خاصتي أن تبقى على حالها. كل شيء يجب أن يكون كما عندما غادرت. كأن أعود إلى طفولتي".

توقفتَ فجأة عن الكلام ثم قلت: "أتفهمين قصدي؟".

"أجل. كأن مكانك الآمن قد تغير".

t.me/ktabpdf مكتبة

"أجل".

نظرت إلى معدتي مطولاً وقلت مجدداً: "أجل". وتابعت: "عليّ الذهاب الآن. سعدت لرؤيتك. حظاً موفقاً. أنا حقاً سعيد لأجلك". ثم استدرت واتجهت مسرعاً إلى منضدة المشروب. أردت أن أقول لك أن تنتظر. أردت أن أعرف أكثر عن شعورك وأسمع كيف يكون عالمك. أردتك أن تلمسني مجدداً وأن تسبب لي القشعريرة. لكن ابتعادك كان قراراً صائباً. لم يكن ليأتي شيء جيد من إطالة تلك المحادثة. فعدتُ إلى دارن.

قال: "هل أنت بخير يا عزيزتي؟".

"أجل. أنا أفضل بكثير". أجبته وأنا أسند رأسي إلى كتفه. أحاط ذراعيه حولي وقبلني على جبيني دون أن يغير وتيرة حديثه الذي كان يجريه مع أحدهم. قبلته تلك لم تسبب لي القشعريرة.

t.me/ktabpdf مكتبة

LI

ما تعلمته من عملي، منك ومن حياتي مع دارن هو أنه يجب تفادي تسع وتسعين بالمئة من المواقف المُفاجئة مهما يكن الثمن. أجيد التعامل مع الأمور، وأنا على علم مسبق بها أكثر من بعد أن أتفاجأ بها. لو أنني استطعت تحضير نفسي عندما كنت ستغادر نيويورك، ولو أنني علمت أنك تتواصل مع وكالة الأسوشيتد برس بحثاً عن عمل، لكنت تعاملت مع الأمر بطريقة أخرى.

لكن حقيقة، أن الأمر باغتني وجعل التعامل معه صعب. لذلك قررنا معرفة جنس المولود. أردت أن أعرف كي أتحضر. علمنا أننا سنرزق ببنت بعد أسابيع قليلة من لم الشمل، لكنني لم أتكبد عناء الاتصال باللواتي سألنني عن الأمر في لم الشمل لإخبارهن. كنّ سيعلمنّ عن الأمر من الفايسبوك، إذا كنّ مهتمات.

بسبب كرهي للمفاجآت، قرأت الكثير والكثير من الكتب حول تجارب العديد من النساء أثناء الولادة وعن الخيارات المتاحة أمامي بهذا الشأن، تصورت أن ذلك قد يساعدني لكي تتوقف كوابيسي من أن ألد في القطار أو المكتب أو في سيارة الأجرة. أو تلك الأفكار عن كيف سيمزقني الطفل أثناء الولادة كما في فيلم *Alien*. وضعت خطة للولادة كما نصحني الطبيب، لكنني علمت أنه يمكن أن يكون للطفلة خطتها الخاصة التي لن تخفى عني.

t.me/ktabpdf

مكتبة

بـدأت بالمخـاض ذات مسـاء علـى العشـاء فـي مطعـم هايتس كافيه. كنت قد تناولت نصف شـطيرة برغر لأنه لم يكن هناك متسـع بسـبب الطفلة. كان موعد ولادة الطفلة بعد يومين، في 22 من شـهر تشرين الثاني، وكان دارن قد قرر استغلال كل يوم قبل ولادة الطفلة للخـروج فـي موعـد. حتى لو كان ذلك يعني نصف شـطيرة برغر في مطعم بالقرب من شقتنا.

حضّرنا لأمر الطفلة على قدر ما اسـتطعنا. علمنا أننا سنسـميها فايوليت تيمناً بجدته التي توفيت وهو في سن السادسة عشرة. أحببت الاسم ووقعه، كيف انه اسم زهرة ولون في آنٍ معاً. واسم الدلع في. كنا قد اخترنا لها الاسم الأوسط أيضاً، آن، تيمنًا بخالتي. فايوليت آن ماكسويل. فما زلت أحب اسمها.

بعد العشاء، وبينما كنّا في طريقنا إلى المنزل وأنا أرتدي معطفاً بالكاد يلفني بسـبب حجم بطني، شـعرت بأن سـروالي الداخلي بدأ يتبلل. هل هذه تفاصيل كثيرة؟ هل تكترث أصلاً لما حدث ليلة ولادة فايوليـت؟ إذا أردت يمكننـي أن أتوقـف. أريد منك إشـارة فقط. لا؟ حسناً. أتذكر حينها أني قلت لنفسي: حقاً؟ الآن؟

كان أحد أهدافي المتواضعة المتعلقة بحملي أن تمر تلك التجربة دون أن أرتكب أي خطأ، هكذا كنا نسمي الأمر عندما علّمنا فايوليت علـى اسـتخدام المرحـاض. كانـت كايـت تضطر إلى تغيير سـروالها الداخلـي فـي كل مـرة تعطس فيها أثناء حملها. أملت ألّا يحصل هذا معـي. عندمـا كنـا علـى بعد حيٍّ من شـقتنا، تبين أن تسـرب البلل لم يكن تسـرباً، وأدركت ما يحصل. اسـتدرت إلى دارن وقلت: "أعتقد أن ماء الرحم قد سال".

جمد في مكانه. قال: "حقاً؟".

رأيت الفرحة في عينيه. أكمل: "مهلاً! هل تعتقدين ذلك أم إنك متأكدة؟".

"متأكدة". ضحك وضمّني ثم قبّلني.

قال: "هل أنت بخير؟ هل تستطيعين المشي؟ هل علينا الاتصال بالطبيب فوراً؟"

على الرغم من أنني كنت قلقة مما سيحدث بعد تلك اللحظة، ومن أنني بدأت أشعر بالبرد من رطوبة ملابسي، أخبرته أنني أستطيع المشي معه إلى المنزل، وأنه يمكننا تأجيل الاتصال بالطبيب إلى أن نصل إلى المنزل. أمسك بيدي طوال الطريق، وبدأ يتكلم بسرعة أكثر من عادته عمن يجب علينا أن نتصل به وما الأشياء التي يجب ألّا ينساها عند مغادرتنا إلى المستشفى.

حاسوبه المحمول! مشغّل الأغاني خاصته! ومكبرات صوت! كان قد أعدّ مجموعة من الأغاني كي نسمعها أثناء مراحل المخاض. لا أعتقد أني كنت أرغب بسماع أيّ منها، لكن كانت تلك طريقة ليشغل نفسه بالتحضير.

انتظرنا في المنزل محاولين مشاهدة فيلم لا أستطيع تذكره، حتى أصبحت تصيبني الانقباضات كل خمس دقائق، كما قال الطبيب تماماً، ثم استقللنا سيارة أجرة إلى المستشفى. بعد اثنتي عشرة ساعة ولدت فايوليت. كانت جميلة، شعرها داكن وعيناها سوداوان، وكانت رموشها أطول رموش لطفل رأيتها في حياتي.

يرى دارن أن جميع أطفال أصدقائه وتوائم فانيسا وجاي، يشبهون إما وينستون تشرشل أو السيد ماغو، عند ولادتهم. كل حين

t.me/ktabpdf مكتبة

وآخر يدير لي شاشة حاسوبه ليريني صورة طفل أحدهم على فايسبوك ويسألني: "أيشبه تشرشل أم ماغو؟".

وبالفعل كانوا دائماً يشبهون أحد هذين الاثنين.

عندما أعطوني فايوليت بعد أن غسلوها ووضعوها في اللفافة وعلى رأسها قبعة مخططة، نظرت إلى دارن وسألته: "هل تشبه تشرشل أم ماغو؟".

"أعتقد أنها الطفل الوحيد في التاريخ الذي لا يشبه أياً منهما. إنها تشبهك. كم هي محظوظة".

ثم استلقى بجانبي أنا والطفلة بعد أن خلع حذاءه. في تلك اللحظة كنت ممتنة لأننا كوّنا أنا ودارن تلك الطفلة، وممتنة للجينات التي جعلتها تشبهني، وإلى الذي يجعل لحظة السعادة هذه ممكنة.

قلت لدارن: "أحبك".

فقال: "أحبكما".

أريدك أن تعلم أنني أحبه بحق. علاقتنا ليست مثالية، لكنها مكللة بالحب.

LII

عندما أعلنت خطوبتي، شعرت وكأنني انضممت إلى نادٍ يعود إلى قرون للوراء، نادٍ للنساء المخطوبات. شعرت بنفس الطريقة حين تزوجت. وكأن عضويتي في نادي النساء المتزوجات بدأت عندما ارتديت الفستان الأبيض ومشيت إلى المذبح وقلت أقبل. لكن لم يشعرني شيء بانتمائي لشيء أكثر من الأمومة.

كان هناك حد فاصل بين النساء اللواتي لديهن أطفال واللواتي من دون أطفال. الأمهات واللا أمهات. حتى أن نادي الأمومة كان يحوي عدة فروع. فهناك نادي أمهات فليكن الله في عوني ونادي الأمهات الخبيرات هناك الأمهات اللواتي نشرن صور أطفالهن وهم يرتدون ملابس جديدة أو وهم نائمون على وسائد وكتب على الصورة مثلاً عبارة أنا أحلم بأبي. لم أكن ذلك النوع من الأمهات، لم ولن أكون أبداً.

أنا انضممت لنادي الأم. كان عليّ ذلك. لم يكن هناك مفر من ذلك. كنت أصف اليوم بـ جيد إذا كنا أنا وفايوليت نظيفتين وتناولنا الطعام ونمنا لأكثر من خمس ساعات. كانت إجازة الأمومة ثلاثة أشهر، لكن بعد مضي ثمانية أسابيع، بدأت أفقد صبري. فلم أتوقع أن عملي كربّة منزل سيكون هكذا إطلاقاً.

كانت كايت تتصل يومياً مرة على الأقل لتتفقد وضعي، حتى

t.me/ktabpdf

مكتبة

لو لم تكلمني سوى لدقيقتين. كانت قد أنجبت ابنتها فيكتوريا قبل ستة شهور. قسمها في العمل كان سخياً في إجازة الأمومة، فكانت قد استأنفت العمل لتوها وبجِد لذا لم تكن مضغوطة بالعمل. قالت: "سيسهل الأمر، كوني متأكدة". لكنني لم أشعر أن هذا الكلام صحيح.

كنت أُرضع، وكانت فايوليت تأكل طوال الوقت، أو على الأقل هكذا بدا الأمر. في بعض الأيام لم أتكبّد عناء ارتداء قميص. وكنت قد وضعت مصطلح مستويات حوادث البراز. المستوى الأول لم يكن مشكلة. المستوى الثاني امتلاء الحفاضة. المستوى الثالث؛ تسرب البراز من الحفاضة. المستوى الرابع؛ أن يصل البراز إلى ظهرها. المستوى الخامس كان الأسوأ؛ كان يعني أن البراز وصل إلى كتفيها وحتى ركبتيها. كان هذا المستوى يتطلب حماماً وفي بعض الأحيان اضطر لتغيير ملابسي أنا أيضاً. بين المستويات الثالث، الرابع والخامس، رميت الكثير من ملابسها. من المذهل كم كان لديها ملابس كفاية.

في أحد الأيام، في اليوم الذي وصلت فايوليت فيه إلى المستوى السادس من مستويات البراز، قضينا صباحاً رائعاً. كانت نظيفة وأنا كذلك، وكان كلانا يأكل، على الرغم من أنني لم أكن قد نمت لأكثر من ثلاث ساعات متواصلة منذ أيام. وبما أن الحرارة كانت عالية في المنزل، لم تكن فايوليت ترتدي سوى قميص وحفاضة. كانت قد تعلمت الابتسام لتوها، فيفرح قلبي في كل مرة تبتسم فيها. كنا نمضي وقتاً سعيداً، لذلك قررت أن أعدّ وجبة غداء كاملة، الأمر الذي لم يحصل سوى مرتين خلال الأسابيع الثمانية الماضية. وضعت فايوليت

t.me/ktabpdf مكتبة

في كرسيّها الهزاز وشغلته. ثم أذبت الثلج عن بعض الدجاج. كان المذياع مُداراً إلى إذاعة ذكّرتني بأبي، فبدأت أغني مع أغنية ماي غيرل (فتاتي). كانت يداي ملطختين بالبيض وفتات الخبز، لكنني كنت أشعر بشعور جيد. ثم بدأت فايوليت بالبكاء.

نظرت إليها وجمدتُ. كانت أول مرة تصل فيها إلى المستوى السادس. ربما حصل ذلك بسبب الكرسي الرجاج، أو بسبب وضعيتها أو عدم ارتدائها سوى الحفاضة، وبطريقة ما وصل البراز الذي على ساقيها إلى كفيها ومنهما إلى شعرها. أخذت نفساً عميقاً ثم رفعتها عن الكرسي. حركت ذراعيها فوصل البراز إلى وجهي، قميصي ويديّ ثم بصقت على شعري. ظلت تبكي، وكنت قد بدأت أنا أيضاً بالبكاء. هكذا وجدنا دارن.

سمعته يصرخ من المدخل: "لوسي؟ ما الذي يجري؟ لماذا تبكي فايو...؟".

حين وصل إلى المطبخ: "يا إلهي!".

رمى حقيبته على الأرض وخلع سترته وقال: "سأتولى أمر البراز هذه المرة أيضاً، اذهبي أنتِ واغتسلي".

نظرت إليه نظرة استياء وقلت: "عليك خلع ملابسك أولاً كي لا تتسخ. فهي ليست آلة براز فقط، بل آلة تقيؤ أيضاً". "كم هذ مقرف!" قال وهو يخلع قميصه ليضعه فوق سترته.

ماذا سنضع عنواناً لحدث اليوم؟ رجل عارٍ ينقذ زوجته من طفلة متسخة؟ ضحكت ثم اقترحت: "ما رأيك بـ رجل عارٍ يقوم بما تفعله الأم طوال اليوم مع طفلة متسخة".

"حقاً؟ أيحدث هذا كثيراً؟" قال وهو لا يرتدي سوى سرواله

مكتبة t.me/ktabpdf

الداخلي، ثم أخذ مني فايوليت. قال حين حملها: "يا إلهي كم هذا مقرف".

قلت: "المستوى السادس لم يحدث من قبل لكن المستوى الخامس تكرر كثيراً".

"ماذا؟". سألني بينما كنا ندخل نحن الثلاثة إلى الحمام. كنا قد وضعنا حوض الاستحمام البلاستيكي الخاص بفايوليت في حوض الاستحمام. انضمت آني إلينا ونحن نصعد على الدرج وهي تنبح متوترة.

فتح دارن الماء لنحمم فايوليت بينما أنا أخلع ملابسي لأنزل تحت الدش بينما استلقت آني على البساط الصغير قرب المغسلة. شرحت لدارن عن مستويات البراز أثناء استحمامنا. وأخبرته أيضاً أنني أريد العودة إلى العمل حين تنتهي إجازة أمومتي. احتججت لذلك.

خضنا ذلك النقاش مراراً وتكراراً منذ أن كنت حاملاً، لكنني حسمت أمري لأنه كان هناك بدائل كثيرة، كان هناك الكثير لأعرفه. ولكنني كنت أعلم مسبقاً ما أرادني دارن أن أفعله.

فقال: "أعتقد أننا تكلمنا عن هذا الأمر".

أجبتُ بسرعة حالما أزلت سائل الاستحمام عن شعري: "والآن سنناقشه مجدداً".

"لكنني ظننت أنك وافقت على أمر أن لا أحد يمكنه الاعتناء بها مثلك أنت".

أرجعت رأسي إلى الوراء تحت الماء وقلت: "بصراحة، أعتقد أنك مخطئ. وهذا جزء من الأمر الذي أفكر فيه، الأمر الذي كان يقوله جدي طوال الوقت: من يستطع فليفعل. كان يقولها بدافع

مسؤولية. إذا كنت تستطيع فعل شيء جيّد، أو صنع فرق، فعليك بذلك. أنا أستطيع ذلك وقادرة على تقديم الكثير للعالم أكثر من بقائي في المنزل مع فايوليت كل يوم. قطعت عهداً على نفسي في الحادي عشر من شهر كانون الأول، أن أعيش حياة فعّالة للغاية. فأنا أريد هذا الأمر بقدر ما أحتاجه".

"لكن ألا تحبين قضاء الوقت في المنزل مع فايوليت؟". سألني وكأنه لم يسمع كلمة مما قلت.

أخذت نفساً عميقاً ثم قلت: "تمرّ أحياناً لحظات رائعة، لكنني أحب أن أكون مساعدة منتج أيضاً، أحب إعداد البرامج التلفزيونية.. عملت جاهدة في السنين الخمس الماضية. فأنا أجيد ما أفعل لكنني لا أجيد هذا".

"ما تحتاجينه هو مزيد من الوقت". قال وهو يرمي قميص وحفاضة فايوليت في سلة المهملات. أكمل: "لا يمكن أن تجدي عملك أهم من ابنتك".

كنت على وشك أن أركل شيئاً أو أن أبكي أو كلاهما. غسلت شعري مرة أخيرة، ثم أغلقت الصنبور. قلت وأنا ألفّ المنشفة حولي:

"بالطبع لا. لكنني أقدّر عملي أيضاً. وإذا بقيت في المنزل، وكانت تلك هي حياتي، لكنت مقتك والطفلة سوية".

قال وهو يضعها في حوض استحمامها الصغير: "أظن أنها تتبول".

"هذا طبيعي" قلت بينما أنحني لكي أتولى الأمر.

قال دارن: "كثير من النساء يحلمن بهذه الفرصة. لا تحتاجين

t.me/ktabpdf مكتبة

لأن تعملـي، فأنـا أجنـي مـالاً وفيـراً. أنـا أعمـل بهـذه الوظيفة كي لا تضطري للعمل".

قلت بينما أغسل شعر فايوليت: "كلا. أنت لديك عملك لأنك تحبه. إنك تحب جني المال وأن يحترمك الناس. إنك تحب الشعور الذي تولده تلك الصفقات".

قـال دارن: "هـذا ليـس الـــ..." قاطعتـه قائلـة: " وتحب كونك المُعيـل أيضـاً. أفهـم هذا. تحـب الاعتناء بنا وأنا أقدر هذا فعلاً. لكن لا تدعـي أنـك تعمـل فقـط كـي لا أعمل أنا. إنـك تعمل لأنك تحب الشعور الذي يولده لك عملك. تماماً كما أحب الشعور الذي يجلبه لي عملي".

صمـت دارن. عندمـا نظرت إليه، بدا وكأنه يقيمني. فقلت: "هل ستـود يوماً التخلي عن عملك لتبقى معها وحدك يومياً طوال اليوم؟ أنا أعلم أنها رائعة وأننا نحبها. لكن هل سترغب في هذا؟".

أجاب دارن بينما أنظف ظهر فايوليت بليفة استحمام على شكل بطة: "سيكون هذا غير مناسب مادياً".

"لم يكن هذا سؤالي".

" إنه سؤال سخيف. لما كنا استطعنا العيش من راتبك وحدك".

قلت وأنا أضغط على أسناني: "حاول تخيل الأمر.. أننا نستطيع العيش من راتبي بطريقة ترضيك. هل سترغب بفعل ذلك؟".

بدأ يقول": الكثير من زوجات زملائي..".

قاطعته: "أنا لست زوجات زملائك.. أنا نفسي ومازلت أنت لم تجب على سـؤالي.. هل سـترغب بالاسـتقالة من عملك للبقاء معها في المنزل كل يوم؟ نظرياً..؟".

بـدت فايوليـت نظيفـة فأخرجتها من حوض الاسـتحمام. ظلت تبكي إلى أن وضعت عليها منشفة وردية اللون وعليها قبعة على شكل أرنب بالإضافة إلى ذيل.

قال دارن: "هذا ليس ما توقعت أن تكون حياتنا عليه. هذا ليس ما أردت".

نظرت إليه وأنا أحمل الطفلة. شعرت بالدموع تملأ عينيّ عاجزة عن إيقافها.

قلت: "ولا ما أردته أنا أيضاً".

بـدا وكأن الكلمـات ضاعـت منه. لـم أنظر إليه مجدداً ولم أقل شـيئاً. بـدلاً مـن ذلـك جففـت فايوليـت، وأخذتها إلـى غرفتها حيث ألبستها حفاضة جديدة وثوب نوم مقلّم. قلت لها: "أهذا أفضل؟".

ضحكت لي بينما أجفف دموعي بمئزرها.

سـمعت خطـوات دارن قادمـاً إلـى الغرفة. قـال: "لا. لن أرغب بذلـك. لـن أرغب بالاسـتقالة من عملي والبقـاء معها طوال اليوم في المنزل".

أومأت وأنا أقبّل رأس فايوليت، أشعر بدفئها في صدري، أستمد القوة منها وإليها. كانت تحتاج لأم قوية لتكون قدوتها. فقلت: "أفهمت الآن؟".

اقترب ووضـع ذراعيه على كتفيّ. قلـت: "أنا آسـفة لأنني لسـت واحدة من تلك النسـاء.. كزوجات زملائك. أنا آسـفة لأن بقائي في المنزل لا يناسبني. هذه أنا وعليّ أن أعمل".

"لا تقولـي هـذا. يجـب ألا تعتذري لمـا أنت عليه. أنا من يجب عليه أن يعتذر".

أردت أن أسأل على ماذا؟ لأتأكد أنه لا يعتذر فقط لتجنب المشاكل. فبدل ذلك قلت: "اعتذارك مقبول". لكن حين عدت إلى الوراء أدركت أنه لم يعتذر. فقط اعترف أن عليه ذلك.

في اليوم التالي، بدأنا بالبحث عن جليسة أطفال. عدت إلى العمل بعد ذلك بشهر. افتقدت فايوليت وأنا في العمل، أكثر مما كنت أتوقع. لكنني كنت ممتنة لدارن حينها. ممتنة لأنه كان لدينا خيارات، وتمكنا من توظيف أشخاص ليساعدوننا عند الحاجة. أرادني أن أكون سعيدة.

LIII

هنـاك بعـض اللحظـات فـي حياتـي أتذكرهـا بوضـوح وكأنني أستطيع القفز إلى ذكرياتي وأعيشها كلمة بكلمة.

ثم هنالك فترات من الزمن، أيام أو أسابيع لا أميزها عن غيرها.

الأشـهر التـي تلـت عودتـي إلـى العمـل، بينما كانـت فايوليت لا تـزال رضيعـة، لا أتذكـر منهـا شـيئاً. بالكاد كنت أنـام وأعمل على برنامجيـن تلفزيونييـن، وأضخ الحليب من صدري في مكتبي وأتأكد من أنني أقضي أطول وقت ممكن مع فايوليت.

لم أكن أتصفح الفايسـبوك كثيراً. كان تصفحي له شـهرياً وعند الضرورة لأحمل صوراً شهرية. لذا فوّت رؤية صورك مع ألينا. فوت مراحل تلك العلاقة. لو لم أكن منشـغلة لكنت أدركت أننا لم نتكلم منذ يوم لم الشمل. لكن لم يخطر ذلك على بالي أبداً. كنت قد عدت إلـى تلـك المرحلـة حيث لم تكن تعني لي شـيئاً. المرحلة التي كنت فيها قبل أن تتصل بي صبيحة يوم زفافي.

وبعدها، حين كنت أحمّل صور فايلويت الشهرية على الفايسبوك، وأقـوم بإعجـاب صـور رحلـة جوليا إلى أمسـتردام، ظهر ذلك القلب الصغيـر علـى صفحتـي الشـخصية كُتب تحته: تمـت خطوبة غابيريل سـامسـون مـن ألينـا أليكزاندروف، وصورة لـك تحتضن امرأة جميلة ذات شعر كستنائي، عينان عسليتان كبيرتان وابتسامة عريضة. آلمتني

t.me/ktabpdf

مكتبة

معدتي. فقلت لنفسي: يجب ألا يشكّل هذا فرقاً عندك. أنت متزوجة ولديك طفلة ولم تريها منذ أكثر من عام. لم يعد لك منذ أكثر من أربع سنين. لكنّ ذلك شكّل فرقاً عندي بالفعل. في تلك الصورة، كانت حسرة الـ "لَو". رأيت الطريق الذي لم أسلكه.

أمضيت الساعة التي تلت ذلك أتفقد صوركما في عطلة في كرواتيا. لم يسبق أن زرتُ كرواتيا. وصوركما على سور الصين العظيم وفي مصر وأنت ترقص مع ألينا التي كانت ترقص رقصاً شرقياً وترتدي بذلة رقص شرقي من الشيفون الأحمر وعليها قطع معدنية فضية اللون.

تفاجأت من مدى غيرتي من تلك الحياة التي كنت تعيشها. أردت أن أزور سور الصين العظيم وأن أرقص الرقص الشرقي في مصر.

كنتَ قد نُقلت إلى بغداد مجدداً وألينا كذلك الأمر، فهي كانت تعمل لصالح جريدة ذا غارديان. دخلتُ على موقع الجريدة وقرأت كلّ مقال كتبَته. ثم بحثت عنها على الإنترنت، ويكيبيديا، وقرأت ما كتب عنها ثم اكتشفت أن لك صفحة ويكيبيديا خاصة بك أيضاً. فقد حدّث أحدهم المعلومات مؤخراً مضيفاً أمر خطوبتكما. بحثت لأرى ما إذا كان أحدهم قد أنشأ صفحة ويكيبيديا عني، فلم أجد شيئاً. ولا حتى لدارن.

بدأت فايوليت بالبكاء فأطفأت الحاسوب. لاحقاً في ذلك اليوم أرسلت لك رسالة إلكترونية: مبروك. لكنك لم تجب.

t.me/ktabpdf مكتبة

LIV

في شـهر أيلول، كنت لا أزال في مرحلة تخبط ما بعد الولادة. لكـن كان الوضـع قـد بدأ يتحسـن. أخيراً عـادت فايوليت لتنام طوال الليل، وكنا قد قضينا آخر أسبوع من شهر آب، عطلة عائلية في منزل استأجرناه في ويستهامبتون بيتش، أحبت فايوليت البركة، فوضعنا لها واقيـاً شمسـياً ووضعناهـا في إطار داخلـي عليه مظلة صغيرة لتحميها من الشـمس وجعلناها تعوم مثل الطوافة بينما عمنا نحن في البركة. شعرت وكأنني في الجنة.

قـال دارن بينمـا كانـت فايوليـت تلعـب في المـاء: "إنك تحبين المكان هنا".

كنـا نجلـس علـى الدرجـات في نهاية البركة ونحتسـي شـراب الشاردوني. أجبته وأنا أسند رأسي على كتفه: "وأنت أحببته أيضاً".

"أجل. أظن أن علينا شراء منزل كهذا".

"ربما يوماً ما. لكن حاليا اسـتئجار مكان كهذا لأسـبوع أو اثنين كل صيف يبدو جيداً".

أومـأ برأسـه وقـال: "يومـاً مـا. فهـذا موجـود علـى لائحتـي. أتذكرين؟".

لـم أتذكر لكنني قلت: "بالطبع. يبدو أننا أهملنا اللائحة".

أومأ برأسه رافضاً كلامي وقال: " كلا، لم نهملها. فقد أصبحنا

t.me/ktabpdf مكتبة

أبوين هذه السنة، وكان هذا موجوداً على لائحتينا".

ضحكت وقلت: "هذا صحيح. أسحب كلامي. نحن نبرع بأمر اللوائح".

"أجل. نحن كذلك". قال وهو يقبلني بينما فايوليت ترشنا بالماء.

هـذا مـا كنـت أفكـر فيه صباحاً فـي القطار. ذلك الأسـبوع في ويسـتهامبتون، البركة، كم كانت عطلة مهدئة للأعصاب.. ثم نظرت إلـى الأعلـى. الرجل الذي يجلـس أمامي كان يحمل جريدة نيويورك تايمز. المقالة المواجهة لي كانت: المزيد من الجثث تنتشل من فندق هوتيل رابل. خطرتَ في بالي فوراً. هل كنت في باكسـتان؟ في أخر مرة تفقدت أخبارك كنت في بغداد. لكن هل من المحتمل أن تكون قد انتقلت؟ أو كنت تغطي حدثاً ما في إسلام أباد؟ هل من المحتمل أنك كنت تنزل في ذلك الفندق؟

لم أستطع التنفس جيداً حتى وصلتُ إلى العمل، ودخلت على صفحتـك فـي فايسـبوك ورأيت مقـالات وكالة أسوشـييتد برس التي كانت قد نشرتها عن الفندق. كنت تعرف أشخاصاً قُتلوا في التفجير. لكنـك لـم تكـن هناك. كنت وقتها في العراق. همسـت "حمداً لله" ثم أخذني فضولي أتفقد صفحتك لأرى آخر أخبارك. فظهر أمامي قلب مكسور؛ تم فسخ خطوبتك من ألينا. تساءلت ما الذي حدث وشعرت حقاً بالأسف. أردتك أن تكون سعيداً. فكرت لوهلة في أن اتصل بك، لكنني لم أفعل. مر ذلك اليوم ثم أسبوع فشهر، لكنني كنت أفكر بك أكثر فأكثر، منذ ولادة فايوليت. بقيت أتفقد صورك باستمرار. تساءلت ما إذا كنت ستزور نيويورك قريباً، وإذا كنت لتعلمني إذا فعلت.

LV

أحياناً تتحول الأيام الاعتيادية إلى أيام غير اعتيادية على غفلة. يـوم جمعـة مـن شـهر كانـون الثانـي. كنـت أعمل مـن المنزل، أستمع لفايوليت تلغو مع المربية بينما أرد على رسائل الكترونية من المكتب. كان عمر فايوليت أربعة عشـر شـهراً، وكانت تسـتطيع قول بعض الكلمات فقط لكن هذا لم يمنعها من محاولة شرح الكون لنا. علـى الأقـل هـذا ما كنا نتخيله أنـا ودارن عندما كانت تتفوه بأصوات غير مفهومة.

كانت المربية خاصتنا، ماري، ترد على فايوليت باللغة الإسبانية، كانـت تلـك فكـرة دارن لكي تصبح متعـددة اللغات حين تكبر. كنت أعتقد أن جعلها تنطق لغة واحدة كافياً، لكنه أصر فوافقت.

طلبـت مـن ماريـا أن تقرأ لها كتباً باللغة الإنكليزية، وأن تأخذها إلى دروس موسيقى، وإلى المكتبة المحلية لتسمع قصصاً وتلعب مع أطفال آخرين. كان هذا حلاً وسطاً. وبالمناسبة، لم تتعلم فايوليت من اللغة الإسبانية سوى: مرحباً، من فضلك، وداعاً وشكراً. إلى أن بدأت تشاهد برنامج دورا المستكشفة.

إنهـا قـوة التلفـاز. بعض الأطفال كانت تُحدد لهم البرامج التي يشـاهدونها، لكـن فايوليت كانت تشـاهد كل برامجـي. كانت لجنتي الخاصة المؤلفة من شخص واحد. كان من المثير رؤية ما يثير انتباهها

t.me/ktabpdf

مكتبة

وأي البرامج التي كانت تشدها.

فرحت سراً عندما عُرض برنامج روك تثرو تابم وأثار إعجابها، وعندما أدارت ظهرها لبرنامج غيوم. كرهت ذلك البرنامج كثيراً. أقسمت كايت أنه علّم فانيسا كيفية الانتحاب. وأظن أنها محقة.

بينما كنت أعمل على ميزانية الموسم التالي من ات تيكس اه غالكسي، رنّ بريدي الإلكتروني. لقد كانت رسالة منك:

مرحباً لوس. لم نتكلم منذ فترة، تبدو المدة وكأنها دهر، لكنني سأكون في نيويورك غداً ماراً بواشنطن لأحضر التنصيب. لن أفوّت هذا الحدث. هل تصدقين هذا؟ أول رئيس أمريكي من أصل إفريقي؟ الجميع هنا متحمسون. أعتقد أن انتخاب أوباما سيعني أشياء جيدة كثيرة لبلدنا. نهج أفضل للبلد. على أية حال، أود مقابلتك. هل لديك وقت لشرب فنجان قهوة معي غداً؟ غيب.

لم أصدق. لم أرد على الرسالة فوراً. في الواقع لم أجب حتى أخبرت دارن بأمر زيارتك.

قال دارن متفاجئاً: "أما زلت على تواصل معه؟"

هززت رأسي وقلت: "لم أره أو أتكلم معه منذ حفل لمّ الشمل. راسلني من دون سابق إنذار".

قال دارن وهو يحل ياقته: "هلا تسدي لي صنيعاً؟" تحضرت لأسمع شيئاً قد لا يسرني، وفكرت: هل سيطلب مني ألا ألتقي بك؟

سألته: "ماذا تريد؟".

"هلا تأخذين فايوليت معك؟".

جلست لبرهة ثم قلت: "ألا تثق بي؟".

أخذ دارن نفساً عميقاً وأجاب: "أثق بك بالطبع، لكنني لا أثق به

مكتبة t.me/ktabpdf

هو. لا أعلم لما قد يود اللقاء بك. وأظن أنه عليك إحضار فايوليت".

أومأت برأسي. علمت أنني إذا لم أوافق على هذا سيفهم دارن الأمر بطريقة لا أقصدها. فقلت: "حسناً. لكنني أعتقد أنه يريد أن يلتقي بي كصديق، كُرمى للأيام الخوالي".

أرسلت لك رداً في تلك الليلة: مرحباً. ما رأيك أن نلتقي في تمام الساعة12 ظهراً في بروكلين هايتس. يوجد مقهى ستار بكس في شارع مونتاغ. لم آتِ على ذكر فايوليت.

أجبتني: " حسناً. يبدو هذا جيداً".

في اليوم التالي، ألبست فايوليت بنطال جينز للأطفال وجزمة مع سترة رمادية عليها نقش قلب. ووضعت لها شريطة وردية اللون على شعرها. ارتديت شيئاً مماثلاً، لكن سترتي كانت بنية اللون وبدون نقش، بالإضافة إلى أنني لم أضع شريطة.

كان دارن في النادي الرياضي حين ارتديت وفايوليت المعاطف وغادرنا.

اختلست النظر عبر الباب الزجاجي للمقهى، فرأيتك جالساً على الطاولة حانياً رأسك وتقرأ شيئاً عن هاتفك البلاكبيري. في تلك المرحلة، كنا أنا ودارن نستخدم هواتف آيفون، وبصراحة لم أتفاجأ انك مازلت تستخدم جهاز البلاكبيري. ركنت عربة الأطفال في الخارج، ثم حملت فايوليت ودخلت. نظرتَ إلينا حينها وقلت: "مرحباً لوسي ومرحباً".

فقلت: "إنها فايوليت.. فايوليت هذا صديقي غيب. غيب، هذه ابنتي فايوليت".

فقالت فايوليت: "أهلاً أهلاً".

كانت هذه إحدى أولى كلماتها، وتقولها مرتين متتاليتين دائماً. لم نفهم أنا ودارن سبب قيامها بهذا.

قلت بينما تقف: "يا إلهي إنها تشبهك". ما الذي كنت تفكر فيه حينها؟ لطالما تساءلت عن ذلك. هل حقيقة أن فايوليت تشبهني أنا لا دارن جعلتها محببة إليك؟

لا بدّ وأن فايوليت شعرت بشيء أراحها، لأنها مدت ذراعيها نحوك فحملتها. فقالت: "أهلاً أهلاً". بينما تربتُ على وجنتيك. فأجبتها: "أهلاً أهلاً بكِ".

ثم احتضنتني بذراعك الأخرى وقلت: "لم أرك منذ وقت طويل. أنا سعيد لأنك وافقت على المجيء".

أخذت فايوليت منك ثم جلسنا متقابلين.

وضعت أمام فايوليت بعضاً من الكتب المصورة للأطفال وبدأت باللعب.

قلت لك: "رأيت على الفيسبوك أنك كنت خاطباً لإحداهن!".

لم أعلم كم كان لدينا من الوقت، وأردت أن أعرف ما القصة، لأن دارن بدا محقاً. لم يكن هناك من دافع واضح للقائك بي بعد كل تلك المدة.

ضحكتَ ثم قلت: "دخلتِ في الموضوع مباشرة".

رفعت كتفيّ ثم التقط الكتاب الذي اسقطته فايوليت على الأرض.

سألتني: "أتريدين أن تعرفي ما حصل؟".

"فقط إذا كنت تود إخباري".

فأخبرتني عن ألينا والعمل الذي عُرض عليها في واشنطن،

وكيف أنكما وجدتما أن العمل أهم من علاقتكما. أرادت أن تذهب إلى واشنطن، وأنت أردت أن تبقى خارج البلاد، كيف أنكما لم تصلا إلى تسوية لإنجاح تلك العلاقة. لم يسعني سوى تذكر كيف أنك هجرتني لنفس السبب.

قلت لي: "كانت حالنا عبارة عن شخصين خيّرين، لم يكن مقدر لهما أن يكونا سوية".

تساءلت يومها ما إذا قلت الشيء عينه عني.

أجبتُ: "أنا آسفة".

رددت فايوليت: "آسفاا" وهي تنظر إلى أعلى. كانت هذه أيضاً إحدى الكلمات التي تعرفها.

ضحكتَ لهذا ثم قلت: "إنها نسخة عنك. إنها رائعة".

فسألتُ فايوليت: "هل أنت رائعة؟".

ضحكت وبدأت تصفق بيديها، فضحكت أنا أيضاً.

قلت: "تبدين سعيدة.. مع دارن ومع فايوليت.. هل أنت سعيدة".

"أجل. أنا كذلك".

وكان هذا صحيحاً.

أكملت قائلاً: "أنا ممتن لأن أحدنا سعيد".

لم تكن الطريقة التي قلت بها هذا ساخرة ولا سخيفة لكن كان فيها شيء من الحزن.

فقلت بنبرة تذكير: "كنت أنت من غادر".

"أعرف. فكرت ملياً بقراراتي ولماذا اتخذتها. وكيف كانت حياتي لتكون لو لم أتخذ هذه القرارات".

بدوت وكأنك تفكر ملياً بالأمر.

مكتبة t.me/ktabpdf

سألتك: "هل تعتقد أن حياتك كانت لتغدو سعيدة لو أنك بقيت معي؟".

تنهدتَ ثم أجبتني: "لا أعرف. أحياناً أفكر أنني سأكون أكثر سعادة لو أنني لم أمتهن التصوير أبداً.. أعتقد أنني كنت فخوراً في سعيي وراء الأمر. فخور بقيامي بشيء مهم. لكن الأمر صعب. فقد أخذ الكثير من وقتي .. لا أعرف. ربما لن أسعد أبداً. وربما لست الشخص الذي أملت أن أكونه".

قالت فايوليت مقاطعة: "ماما".

فأجبتها: "فايوليت!!".

ثم عادت للعب.

أكملتَ: "أريد الكثير من الأشياء المتناقضة. لا أعتقد أنها قد تنسجم مع بعضها".

كانت عيناك مركزتان على ابنتي وهي تقلّب صفحات الكتاب الذي أمامها.

قلت: "إنك في وضع حرج الآن.. ستتدبر أمرك أنا واثقة".

نظرت إليّ وقلت: "أشاهد برامجك في أي وقت تُعرض على التلفاز. حين أكون خائفاً أحلم بك. وعندما أحزن أتمنى لو أنني لم أغادر".

تسارعت ضربات قلبي. قلت وأنا أضم فايوليت: "رجاء لا تفعل هذا".

أجبت وأنت تمرر أصابعك بين خصلات شعرك: "أنا آسف. انسي الأمر".

أدرت فايوليت كي أستطيع حملها وقلت: "سعدت برؤيتك يا

غيب حقاً، لكن أظن أن عليّ الذهاب".

أومأت برأسك ثم قلت لك: "أتمنى أن تجد ما تبحث عنه".

"شكراً. أتمنى ذلك أنا أيضاً"

"قولي وداعاً يا فايوليت".

"وداعاً".

فحضنتها ونظرت إليّ. من الواضح أنك كنت تريد أن تحضنني، لكن بدلاً من أن تفعل ذلك نظرت إلى الأسفل وغادرت. ووضعت على رأس معطفي وألبست فايوليت قبعتها وخرجنا. على الرغم من أن اليوم كان في زوال، بحثت في حقيبة الحفاضات عن نظارتي الشمسية. لم أرد أن يرى أحد دموعي، كما لم ترد أن أرى دموعك.

t.me/ktabpdf مكتبة

LVI

فـي ذلـك الصيـف تجهزت ودارن للمرة الأولى من مدة طويلة، لحضـور حفـل زفـاف غافـن. لـم نره كثيـراً بعد أن ولِـدت فايوليت، وبالكاد كنت أعرف خطيبته.

أطلق دارن صفرة حين دخلت إلى غرفة المعيشة في فستان أزرق يظهر مفاتني. فقال: "يا لك من أم مثيرة".

ابتسمت وقلت: "لنذهب أيها الوسيم".

كان علينا الوصول إلى الزفاف باكراً لأن دارن كان أحد وصفاء العريس.

حيّانـا غافيـن حيـن دخلنـا وقال ضاحكاً: "أصبـح عندي دميتي الخاصة الآن".

لم أفكّر في ذلك منذ سنين، عندما لقبني بـلعبة دارن حين تقابلنا لأول مرة. فسألته: "إذاً.. ما الذي تعنيه بذلك؟".

قال دارن: "لا شيء مهم".

واسـتدار إلـى غافـن قائـلاً: "إذاً.. ما الـذي تريدني أن أفعله من أجلك يا صاح؟".

تركتهما وذهبت إلى زوجات ورفيقات وصفاء العريس، اللواتي كنّ يقفن بالقرب من طاولة عليها كؤوس المشروب الاحتفالي..كانت

t.me/ktabpdf مكتبة

لفتة ظريفة.. تعبر عن أسلوب غافن.

لاحقاً تلك الليلة، وجدت نفسي أجل قرب غافن على منضدة المشروب. كان كلانا قد احتسى الكثير من الكحول. كل من كان في الزفاف كان قد أكثر من الشرب.

سألت غافن: "ألن تخبرني ما قصة الدمية تلك؟".

ضحك وأجاب: "سيقتلني لقولي هذا.. لكن دارن كان لديه لائحة للرفيقة المثالية.. وأنت حققتِ جميع المواصفات على تلك اللائحة: سمراء، درست في إحدى جامعات رابطة اللبلاب، ومن سكان بروكلين، طولك معتدل، ترعرعت في الساحل الشرقي، جسم جميل! لا أذكر باقي الأشياء، لكن بكل الأحوال، كان الأمر وكأنك مصممة خصيصاً له. لذا لقبناك بـ..".

"الدمية الورقية".

"تماماً"، قال وهو يدق كأسه بكأسي قبل أن يرتشف منه.

إعداد لائحة كهذه كان طبعاً من طباع دارن، ولم أكن لأتفاجأ. لكن بطريقة ما، جعل هذا الأمر حب دارن لي محسوباً أكثر من كونه أصيلاً. جعلني ذلك أشعر أنني عبارة عن مجموعة صفات لا أكثر، وهذا ما لم أحبه.

عندما أتى دارن قلت له:"سمعت أنني وليدة الورق! من الجيد أنني لم أكن أطول بإنش وإلا لما كنت تأهلت".

ضحك وقال: "لن تجدي شيئاً إلا إذا قمت بالبحث عنه".

كانت كؤوس الشراب التي احتساها مع وصفاء العريس قد أثرت فيه.

قال بصوت أعلى: "كنت أبحث عنك ذاك الصيف".

"أو واحدة أخرى تشبهني".

قلت له بعد أن أثّر فيّ المشروب أيضاً.

"توقفـي عـن هـذا" قـال بينمـا كان يضـع ذراعـه حـول خصري ليشدني إليه. تابع قائلاً: "كانت تلك اللائحة فقط لتساعدني أن أركز انتباهي على النساء اللواتي يستحققن العناء".

كررت قوله: "اللواتي يستحققن العناء؟".

"بـالله عليـك". قـال بينمـا يدق علـى الطاولة قدحـاً آخر كان قد احتساه. "لنرقص".

قادنـي إلـى حلبة الرقص. عندمـا بدأنا بالرقص كان أداؤنا رهيباً جداً فضحكنا. تلاشت حينها لائحة الحبيبة المثالية تلك من تفكيري. لكنني اصبحت أفكر بها مؤخراً.

لو أنني أعددت لائحة كتلك في ذلك الوقت، لا أظن أنك كنت لتنجـح بهـا ولا حتـى دارن. ولـو أن دارن يعيد تلك اللائحة الآن، لا أضمن أنني سأكون دميته مجدداً.

LVII

سمعتُ يوماً أن أعياد الميلاد تولّى اهتماماً كبيراً في نيويورك أكثر من أي مكان آخر في العالم. لا أملك أيّة إثباتات أو دراسات حول الأمر. وهذا شيء كنت لأطلبه من أحدهم في العمل، إذا ما أقرّ بأمر كهذا يوماً، من باب تبادل أطراف الحديث لا أكثر. لن أعتمد ذلك الرأي على أية حال.

في عيد ميلادي الثلاثين، دعاني دارن أنا وكايت وجوليا إلى منتجع بلس على حسابه. وحجز لنا نحن الاثنين رحلة إلى أستراليا مدتها أسبوع.

فقال: "هذا موجود على لائحتك".

هذه المرة سألني على الأقل. كنا نحرز أنا ودارن تقدماً بشأن لائحتينا. حتى وأنه ركب السيغويه في حفلة توديع للعزوبية قبل ذلك بشهور في ميامي، وشطب رقم 1 من لائحته. سألته: "لكن ماذا بشأن فايوليت؟" كان عمرها سنتين ونصف السنة تقريباً. عندما كنا نتركها مع والدي أو مع والديّ دارن، كان ذلك يطول مدة عطلة نهاية الأسبوع لا أكثر، ولم يسبق أن غبنا عنها أكثر من ذلك ولا ذهبنا لأبعد من كاليفورنيا من دونها.

قال: "أعتقد أن فايوليت قد تسعد لأخذ استراحة منّا".

كانت فايوليت تجلس على الأرض وتلعب بأقلام التلوين

t.me/ktabpdf

مكتبة

المصنوعة من الشمع. أحبت تلك الأقلام كثيراً. كانت تلوّن بها لساعات، بدون مبالغة.

قال دارن: "مرحباً يا فايوليت".

"مرحباً أبي".

"لديّ أخبار سارة. سيتسنى لك أن تبقي مع جدك وجدتك لأسبوع كامل لأنني ووالدتك سنذهب في رحلة".

فقالت وعيناها تتسعان: "جدي!! أجل، أجل". ثم عادت لتلوّن.

قال دارن: "أعتقد أنها ستكون بخير".

وكان الأمر كذلك. ركبنا طائرة من نيويورك إلى سان فرانسيسكو وطائرة من سان فرانسيسكو إلى هاواي وطائرة من هاواي إلى فيجي وأخيراً طائرة من فيجي إلى سيدني. لا أحب الطائرات. هل سبق وتكلمنا عن الأمر؟ ضيقها وعدم قدرتك على التجول فيها تثير أعصابي إذا ما طال الأمر. لذا رأى دارن أن نستقل عدة طائرات، وهكذا لن يتسنى لي الوقت الكافي لأفكر في الأمر وأرتبك. في الواقع، كانت فكرة جيدة، لأنه في كل مرة شعرت بالاحتجاز أو بطول الرحلة، كنا نوشك على الهبوط. حاولت اعتماد سياسة الطيران تلك منذ ذلك الحين. لكنني سافرت من نيويورك إلى تل أبيب مباشرة، فقد كانت أسرع طريقة للوصول إلى هنا.

على أي حال، وصلنا في اليوم الذي يسبق عيد ميلادي، وكانت سيارة ليموزين بانتظارنا لتقلنا من المطار إلى فندق الـ فور سيزنز.

"حجزت لنا جناحاً في الفندق". أضاف دارن هذا الخبر ونحن نجلس في السيارة. فقلت: "أنت سخيف".

رفع كتفيه وقال: "لم نسافر إلى أي مكان مشوق منذ شهر عسلنا

تقريباً، ومن يدري متى ستتسنى لنا فرصة كهذه مجدداً!"

فور وصولنا إلى الغرفة، شبكت هاتفي بالإنترنت واتصلت بوالديّ. قالت أمي: "فايوليت بخير وجايسون وفانيسا هنا مع التوائم. إنها تستمتع بوقتها على أرجوحتك القديمة".

لم أعرف ما إذا كان التكلم مع فايوليت عبر الهاتف فكرة جيدة، وبما هي تستمتع في وقتها الآن فوجدت أن أكلمها في وقت لاحق.

قال دارن من غرفة النوم: "عليك رؤية هذا".

فقلت لأمي عبر الهاتف: "سأتصل بك لاحقاً يا أمي. قبّلي فايوليت من أجلي".

"بالطبع".

مشيت إلى غرفة النوم، فكان على المنضدة علبة من الفراولة المغطسة بالشوكولا وزجاجة شراب احتفالي، وعلى السرير ورود حمراء.

فسألته: "ماذا قلت لهم؟".

"أخبرتهم أننا نحتفل وأن يرسلوا أفضل ما عندهم".

قبّلني وأرخيت نفسي بين ذراعيه.

عندما أكون معه أشعر وكأنني خلعت حذائي عالي الكعب بعد يوم طويل من العمل. أشعر بالتجدد والاسترخاء.

"أحبك". قلت له بينما كان يدخل يده تحت قميصي ليحلّ صدريتي. انتهى الأمر بتلك الورود متناثرة على الأرض.

استيقظت في منتصف الليل مذعورة. لقد نسيت شيئاً ما! رحت أعدد لائحة الأشياء في رأسي: كنت قد وضعت شاحن هاتفي وأسلاك

التوصيل بالحاسب المحمول وتذكرت توضيب السراويل الداخلية والصدريات والجوارب بالإضافة إلى عدة التبرّج، وأيضاً اتصلت بأمي وكنت قد كلمت فايوليت. ثم أدركت الأمر. أيقظت دارن وقلت له حالما استفاق: "لقد نسيت حبوب منع الحمل".

"هذا جيد. إنه وقت مثالي لطفل ثانٍ".

ثم عاد للنوم أما أنا فلم أستطع أن أنام، فبقيت أحدق إلى السقف أتساءل كم سيحزن دارن لو أنني طلبت منه وضع واقٍ ذكري! كان الجواب: كثيراً.

حملت بليام في أستراليا.

LVIII

أحد أكثر الأشـياء الغريبة بشـأن الحمل، هي أنه كلّ امرأة تختبر هذه التجربة بطريقة مختلفة والأعراض يمكن أن تتغير من يوم لآخر. وقد تختبر المرأة أعراضاً مختلفة مع كل طفل من أطفالها. ألا يجدر بالجسم أن يستجيب بنفس الطريقة في كل مرة؟ لكن هذا غير صحيح. ففي كل مرة حملت فيها شعرت بأشياء مختلفة.

خـلال حملـي بليـام، وعلـى الرغـم مـن إرهاقـي، كان الأرق يصيبني. وهكذا بدأت أشـاهد برنامج ذا ديلي شـو وحدي في غرفة المعيشـة بينمـا يتحضـر دارن للنـوم. وهكذا انتهى بي الأمر أشـاهدك على التلفاز.

بعد أحد الفواصل الإعلانية ظهر جون سـتيوارت وقال: "أهلاً بكـم مجـدداً. ضيفـي الليلة هـو المصور لدى وكالة أسوشـييتد برس والـذي أصـدر حديثـاً كتابه الأول مُجابِه؛ سـرد بالصـور واقع الربيع العربي: غابرييل سامسون.

وهـا أنـت ذا في غرفة معيشـتي بعد سـنة ونصـف من تركي لك في مقهى سـتار باكس في مونتاغ. بينما كان جون سـتيوارت يعرض صفحات من كتابك وتكلمت أنت عن تجربتك تلك، لم يسعني سوى الشعور بالفخر. من الشهرة التي حصدتها من عملك والجوائز الكثيرة ومن الأسئلة التي كانت توجه إليك، تبيّن أن الإقبال على كتابك كبير.

t.me/ktabpdf

مكتبة

كان موعـد إصـدار آراء جريـدة تايمز الأسـبوع الذي تلى ذلك اليوم. فالكثير من المعارض والمتاحف عرضت عليك أن تعرض صورك.

قـال جـون سـتيوارت: "يبدو أنهـم يريدونك في كل مكان: لندن إلى نيويورك، أوماها نبراسكا. أقترح عليك أوماها، فهم يقدمون لحماً مشوياً شهياً جداً".

ضحكت ثم قلت: "على الرغم من أنني أحب اللحم المشـوي كثيراً، فأنا أفكّر بقبول عرض نيويورك. فتلك المدينة تعني لي الكثير".

قـال جـون: "لكـن أهل نيويورك ذوو صيـت غير محبب" أكمل بمزحتـه قائـلاً: "لكننـا أنـاس طيبون، بالإضافة إلى أنني سـأختار بيتزا نيويورك على اللحم المشوي في أوماها..".

قلت أنت: "بالطبع.. ونساء نيويورك أيضاً".

انتهـت الفقـرة لكنني بقيت أحدق إلى الشاشـة. بدوت سـعيداً، وكنتُ سـعيدة لأجلك. لكن لم يسـعني سـوى التسـاؤل عمن كنت تقصد حين ذكرت نسـاء نيويورك. هل كنت أنا؟ أم امرأة أخرى؟ أم أنه فقط كان شيئاً مضحكاً لتقوله على التلفاز؟! حاولت أن أفرغ رأسي من كل ذلك لكن يكون هذا أمر صعباً حين تكون مستلقياً على السرير تحدّق إلى السقف في الساعة الثالثة فجراً.

LIX

على قدر ما كان أرق الحمل سيئاً، فإن حقيقة أن ليام في عمر الأربعة شهور لم يكن ينام لأكثر من أربع ساعات متواصلة، كان أسوأ. كنت أشبه الأموات. أضمن طريقة لحثه على النوم كانت عبر إرضاعه. مما عنى أنني كنت أحظى بوقت أكثر من السابق لأقرأ الأخبار على هاتفي النقال.

في الساعة العاشرة إلا ربع في 2 من شهر نيسان، بينما كنت أرضع ليام، علمت أن الرئيس سيلقي خطاباً ذلك المساء.

سألت ليام: "ما الأمر برأيك؟". كان رده الوحيد أن تابع رضاعة.

في الساعة الحادية عشرة، كنت قد وضعت ليام في فراشه وبدأت قراءة مقالات من مواقع أخبارية متعددة. وفي الساعة الحادية عشرة وخمس وثلاثين دقيقة، كنت في غرفة الجلوس أستمع لخطاب الرئيس أوباما:

مساء الخير. الليلة سأخبر الشعب الأمريكي والعالم بأجمعه أن الولايات المتحدة قد نفذت عملية قضت فيها على أسامة بن لادن، زعيم تنظيم القاعدة، وهو إرهابي مسؤول عن أرواح آلاف الأبرياء من رجال ونساء وأطفال.

ثم دخلت على موقع تويتر وشاهدت الصور التي قمت بنشرها وصور قام أصدقاؤك بنشرها عن أجواء الفرح أمام بوابة البيت

t.me/ktabpdf

مكتبة

الأبيض. لم أشعر بالفرح لموت بن لادن، لكنني شعرت بالارتياح. شعرت وكأن موته قد أتم لعبة ألغاز كانت تفتقد لقطعة أخيرة منذ عام 2001 وأظن أن هذا كان شعورك أيضاً.

التغريدة الوحيدة التي كتبتها أنت بشخصك على تويتر كانت: اليوم أصبح العالم مكاناً أفضل مما كان عليه البارحة. كانت بعنوان # عملية_ نيبتون سبير.

رأيت صفحتك تعج بالروابط لمواقع إخبارية إلكترونية وصور ومقالات بالإضافة إلى رسائل من شخصيات سياسية وصحافيين.

أرسلت إليك رسالة خاصة على صفحتك قلت فيها: لا أصدق هذا.

فجاء ردك:" أعلم. أشعر وكأن العالم انقلب رأساً على عقب". شعرت كذلك أنا أيضاً.

LX

تلقيـت اتصـالاً من جوليا بعد شـهرين من ذلـك. لـم نكن نلتقي كثيـراً حينهـا. فقـد تركت مجال التلفاز لتتفرغ لنشـر الكتب. لكننا كنا نجتمـع بيـن الحيـن والآخر لنعرف آخر مسـتجدات بعضنا، لكن كنا نتحدث كثيراً على الهاتف.

كانت حياتها مختلفة جداً عن حياتي بما أنها كانت لاتزال عزباء وتخـرج فـي مواعيـد غرامية، مسـتغلة نيويورك بطريقـة لم أفعلها منذ سنين.

سألتني: "هل قرأت تايم أوت نيويورك اليوم؟"

"يـا إلهـي! يـا جولـي أنا لا أتذكر حتى آخر مـرة رأيت فيها تلك المجلة".

أدرت كرسيّ لأقابل نافذة مكتبي المطلة على الشارع. كنت قـد انتقلـت إلـى مكتـب فيـه نافـذة منذ أكثر من عام ولم يسـبق لي حتى ذلك الوقت أن تفقدت الأبنية المقابلة أو أن نظرت منها إلى الشارع.

قالـت جوليـا: "أعتقـد أنـك سـتودين ابتياعها اليـوم. هناك مقال عن غيب، حبيبك السابق. سيقام معرض لصوره في معرض جوزف لاندس في تشيلسـي. لـم تتسـن لي الفرصة لأقرأ أكثر عن الأمر لكن الآراء والعناوين عنه رائعة".

t.me/ktabpdf مكتبة

راقبت سيارة أجرة تقلّ زوجين كبيرين في السن مع حقائب سفر.

نادتني جوليا: "لوسي؟".

كنت أحاول أن أفكر بما أريد فعله. فقلت لها: "هل ترغبين بالذهاب؟ ما رأيك أن نلتقي على الغداء هناك؟".

"ألغيت مواعيدي للغداء هذا الصباح. أتريدين أن نلتقي في تمام الساعة الثانية عشرة والنصف؟".

تفقدتُ جدول الاجتماعات. فسألتها: "أيمكننا أن يكون موعدنا في تمام الساعة الواحدة؟".

"اتفقنا".

تقابلنا في المعرض، وعلى الرغم من أن الوقت كان في وضح النهار، لم نكن الزوار الوحيدين. فبين النجاح الذي حققه كتابك والآراء التي نُشرت في تايم أوت نيويورك، كنت قد جذبت حشداً عظيماً. حين دخلنا كان هناك في مقدمة المعرض العبارة: لايت (نور)؛ نظرة إلى الوراء بالصور – بعدسة: غابرييل سامسون.

انتقلنا أنا وجوليا من صورة إلى أخرى مع مجموعة من النساء أمامنا ومجموعة من طلاب جامعة نيويورك من خلفنا. بدأ المعرض بصور للربيع العربي، بعض الصور كانت من المجموعة التي عرضها جون ستيوارت من كتابك. كانت صورك جذابة، تخطف أنظار المشاهدين إليها مثل ستيف مكغيري، كما حلمت دوماً.

بقيت السيدات خلفنا تكررن عبارة: "إنها صور مفعمة بالأمل. انظرن إلى الأمل في عيونهم". على كل صورة تقريباً.

وصل الأمر لدرجة أن جوليا أصبحت تردد الجملة عينها

وراءهن بطريقة ساخرة. على الرغم من أنها كانت تسخر منهنّ، فقد كانت تقول هي أيضاً: "هذه الصور خلابة". وبالفعل كانت كذلك. بطريقتك بتجميد اللحظة وكيفية احتوائك للأشخاص في صورك. كانت جميعها مفعمة بالألوان والمشاعر والعزيمة.

قال أحد طلاب جامعة نيويورك: "سمعت أن المصور جريء جداً. فكان يخوض الكثير ليلتقط صوراً كهذه. وسمعت أنه قد تعرض للضرب بسبب التقاطه صورة لزوجة الشخص الخطأ!"

عندما سمعت هذا، أدركت أنني لم أعرف قط سبب تعرضك للضرب في العراق. هل كان عليّ أن أسألك المزيد من الأسئلة؟ ألهذا السبب لم تتصل بي من أريزونا؟

لاحظت بينما نتجول بين الصور أنها كانت في تسلسل تاريخي من الأحدث إلى الأقدم. فأظهرت لنا كيف يزداد الأمل بالفعل. كانت الصور الأقدم أقوى من الحديثة. فبسردك للأحداث تحت كل صورة، أخبرتنا أين كنت في ذلك الوقت، قبل الربيع العربي وقبل التقاط الصور الموجودة في كتابك. كنا ننظر إلى صورك في أفغانستان، باكستان والعراق. لم أكن قد قرأت التعليقات حول كتابك قبل قدومي إلى المعرض لكنني توقعت أن تكون جميع تلك الصور من الكتاب المجابهة.

كان مشوقاً أمر المقارنة بين البلدان. بعد ذلك، خطوت خطوة إلى اليمين فرأيت صوراً أعرفها من قبل، كنت قد التقطتها في نيويورك. فتلك الفتاة الصغيرة خلف النافذة كانت ما ألهم فكرة حلقة الحلم من ات تيك اه غالكسي. ثم استدرت عند الزاوية فرأيت نفسي أواجه حائطاً مليئاً بصوري.

t.me/ktabpdf مكتبة

"يا إلهي!!". قالت جولي بعد أن استدارت بعدي.

ها أنا ذا في تلك الصورة في الرابعة والعشرين من عمري، أضحك وأحمل بيدي مشروباً. وبصورة أخرى، كنت على الأريكة مبتسمة وأمد ذراعيّ نحوك. وأخرى كنت فيها في المطبخ، أبدو مسرورة وأحمل طبقاً من الكعك المحلى. وفي واحدة كنت فيها في الثالثة والعشرين، انتعل حذاءً عالي الكعب وشعري مسدل يتأرجح. في آخر العرض، كانت صورة لم أرها من قبل. صورة لي وأنا نائمة على الأريكة، إحدى يدي لا تزال على الحاسب المحمول وبالأخرى أحمل صفحات لسيناريو، كُتب تحتها: امرأة مليئة بالنور تضيء بلمستها كل شيء_لوسي، لوس، لوز، لايت (نور).

عندما وصلنا إلى نهاية المعرض، هناك كومة كتب منضدة بالقرب من لافتة تقول: موقعة من الكاتب.

سألتني جوليا: "هل أنت بخير؟".

"لا أعرف. لا أظن ذلك". لم أستطع حتى تسمية الأحاسيس التي مررت بها. بمَ كنت تفكر. أن تضع صوراً لي دون أن تخبرني بالأمر؟

قلت وأنا أشير إلى كومة الكتب: "سأبتاع كتاباً".

حدّقت إليّ المحاسبة ثم نظرت إلى الاسم على بطاقتي الائتمانية وقالت: "أنت هي...؟ لوسي؟"

أومأت برأسي وقلت: "أجل أنا هي لوسي".

بدت وكأنها تريد أن تقول شيئاً آخر، لكن بدلاً من ذلك، أعطتني الوصل لأوقعه. عندما سلمتها الوصل قالت: "إنه موهوب".

"أعرف. لطالما كان كذلك".

t.me/ktabpdf مكتبة

كان رأسـي لا يـزال يتخبـط حين عدت إلـى المكتب، ووضعت كتابك في الدرج. لم أستطع التركيز على أي شـيء لذا أرسـلت لك رسالة الكترونية.

مرحباً يا غيب

رأيـت معرضـك اليـوم فـي لانديز غاليري. لا أعلـم ماذا أقول. علـى الرغـم مـن أنهـا لفتة لطيفة، لكنني تمنيت لو أنك سـألتني أولاً. على الأقل أخبرتني بالأمر. صُدمت حين وصلت إلى الزاوية ورأيت صوري معلقة على الحائط.

لوسي-

جاء ردك فوراً:

لوسي

أعلـم أنـه كان يجـدر بـي أن أسـألك أولاً، لكنني ظننت أنك قد ترفضيـن الأمـر. ولمـا كان للمعـرض أن يكتمل من دون صورك فيه. تعلمت كيف ألتقط الضوء المناسب وروح الصورة من خلال تصويرك. كنت ملهمتي في تلك الصور أنا سعيد لأنك رأيت المعرض.

غيب.

لـم أجـب بعـد ذلك. فالتواصـل معك بدا خطيـراً، ولم أكن قد حللـت عقـدة المشـاعر تلـك. لم أكن قد اسـتخرجت الشـعور الذي شعرته حيال رؤية صوري على الحائط.

قرأت مقابلة في مجلة تايم أوت نيويورك في طريقي إلى المنزل. كنت قد سُئلت عني. لم تقل الكثير لكنك وصفتني بملهمتك ونورك. كان ذلـك مبالـغ بـه جـداً يا غيب. لذا لا أعـرف.. هل الكلمة

المناسبة هي "أناني"؟ هل فكرت بدارن وعما ستكون ردة فعله؟ ماذا سيعني ذلك لي؟ لا أظن ذلك يا غيب. أعلم أنك أردت أن تكون صريحاً مع فنك، أن تصوّر العالم كما تشعر به، أن تكون صادقاً. ربما لترسل رسالة ما للعالم. لا أعلم.. لكنك وضعتني في موقف حرج جداً مع دارن يا غيب. لأنني علمت أنه عليّ إخباره ولن يعجبه ذلك.

انتظرت إلى بعد العشاء، بعد أن نام الأطفال وأخرجنا آني للمشي وأطعمناها.

"هل تريد شراباً؟".

"شراب في ليلة أربعاء؟ ما هذا التغيير؟". ابتسمت له. تابع الكلام: "هل كان يومك عصيباً في العمل؟.. أجل أريد بعض الشراب".

كنا قد تعرفنا على مشروب الراكي خلال شهر عسلنا. وأحببناه كلانا. لذا سكبت بعضاً منه كتذكير بسيط لحقيقة أننا كنا زوجين.. أظن أنه كان بحاجة إلى ذلك.

سألني دارن بينما كنت أعطيه كأسه وأجلس على الأريكة: "أيّ برنامج يسبب لك المتاعب هكذا؟".

أخيراً، كان قد أدرك في داخله أهمية عملي بعد أن تأكد من إصراري على العمل حتى بعد إنجابي لطفلين. وبين الحين والآخر كنا نمر بالقرب من أحد المتاجر وعلى واجهته صناديق حفظ الطعام عليها ملصق برنامج روك تثرو تايم أو على أحد مواقف الحافلة وعليها ملصق برنامج *Sparkle On*! وهو البرنامج الذي جعلني أرغب بأن أصبح أماً لطفلة. كنت أشعر ببصيص فخر في دارن يجعله يبتسم فأبتسم أنا أيضاً.

فبدل من أن أجيبه على سؤاله، قلت: "ذهبت إلى معرض صور اليوم مع جوليا في فترة استراحة الغداء".

"حقاً؟" ونظر إليّ محاولاً أن يرى ما كنت أرمي إليه.

"كيف حالها؟".

"بخير" قلتها بحذر ثم تابعت: "كان المعرض لغيب، حبيبي السابق. قرأت عنه جوليا في تايم أوت نيويورك هذا الصباح، فذهبنا إليه.

جمد دارن لبرهة ثم قال: "فهمت".

أخذت المجلة عن الطاولة وفتحتها ثم أعطيتها لدارن وقلت: "كان في المعرض صور لي. أقسم يا دارن أنه لم يكن لي علم بذلك".

"هذا حقيقي!" قال وهو يقرأ الكلمات أمامه بسرعة.

"أجل. كنت مصدومة.. أنا...".

شعرت أنني مذنبة وأنه عليّ الاعتذار وكأنها غلطتي، لكنها غلطتك أنت يا غيب.

أزاح دارن نظره عن المجلة مصعوقاً. كان لونه قد خُطف. قال: "هل هذه طريقة لإخباري أنكما...؟"

"لا، لا. ليس هناك ما يربطنا. لم أره منذ أن ذهبت مع فايوليت للقائه، قبل أن أحمل بليام، وتبادلنا رسالة واحدة على تويتر عند مقتل بن لادن. هذا كل شيء".

بدأ شحوب وجهه بالزوال. قال: "هل حقاً لم يطلب إذنك ولم تريه؟".

"أقسم بحياة ولدينا".

حينها بدأت ملامح الغضب تظهر على وجهه، فرمى بالمجلة

بعيداً وقال: "يا له من نذل. لنتصل بالمعرض. سنطلب منهم إزالة الصور".

"لا بأس. ليس هناك من داع لذلك. دعنا لا نقحم أنفسنا بأي شيء".

كانت الغشاوة قد بدأت تزول عن أحاسيسي، وعلى قدر ماكنت غاضبة منك، لم أرغب بأن يغلق المعرض، فجزء مني راقته فكرة أن تكون صوري معلقة هناك. شعرت بالتميز والاهتمام.

أخذ نفساً عميقاً وقال: "أنت محقة.. فأنا لم أكن أفكر بعقلانية. لا نريد أن نزيد الطين بلّة".

أخذت بعدها رشفة، وكذلك دارن، من مشروب الراكي ثم ارتشف ما تبقى دفعة واحدة، ففعلت ذلك أيضاً وتنفست الصعداء لأن الأمر لم يسؤ أكثر من ذلك. لا أعلم ماذا توقعتُ أن يحدث أو ما الذي سيفعله، لكن كانت الأمور ما زالت تحت السيطرة. كنا أنا ودارن بخير.

رجّ كأسه وبداخله الثلج ثم قال: "غداً، سنذهب لتناول العشاء بعد العمل. سأحجز في مطعم راقٍ وبعد ذلك سنذهب لرؤية المعرض. ما دام هنالك صور لزوجتي في أحد المعارض، سأود رؤيتها".

أومأت برأسي وقلت: "بالطبع، كما تريد".

في الصباح التالي ارتديت فستاناً ضيقاً أسود اللون وانتعلت حذاء عالي الكعب. كان دارن يحب ذلك الفستان. ففي إحدى المرات ارتديته لحفلة عشاء، فقال بعد أن كان قد احتسى عدة كؤوس من الشراب: "زوجتي هي الأكثر إثارة في هذا المكان".

بعد أن تناولنا ذلك العشاء الموعود في دل بيستو، استقللنا سيارة

مكتبة t.me/ktabpdf

أجرة مباشـرة إلى المعرض. عند دخولنا، مشـيت وراء طابور الزوار، لأنتقل من دولة لأخرى محاولين اتباع رحلة الأمل والنور عبر الزمن، لكن دارن أمسك بيدي وسألني: "أين أنت؟".

"فـي نهايـة المعرض". أجبت وأنا أشـير إلـى الزاوية في الطرف الآخر من المعرض. سـحبني دارن عبر الحشـد_ كان هنالك حشـد كبيـر تلـك الليلـة، أكبر من الحشـد الذي كان عند قدومي مع جوليا_ إلى أن وصلنا عند الزاوية ثم توقف. ارتخت يده فانزلقت منها يدي. بدأ يحدق إلى الصور ولم يتفوه بكلمة واحدة.

نظـرت إلـى صوري على الحائط، وحاولت وضع نفسـي مكان دارن. كان يفتـرض بـي أن أكـون الشـخص الـذي يعرفـه أكثر من أيّ شخص آخر، لكنه كان يرى نسخة مختلفة مني، لوسي التي شاركت أحلام وأسرار شخص آخر كانت مصدر إلهام له. لا أظن أنني كنت يوماً مصدر إلهام لدارن. لم يكن الأمر سهلاً عليه؛ أن يراني بعينيك. اقتربـت منـه لكنـه لـم يتحرك. وحيـن نظر إليّ أخيـراً، رأيت الغضب والغيرة والألم تحوم في عينيه.

للمرة الأولى والأخيرة، دار بيننا شـجار حولك. أرادني أن أعده بألا أتواصل معك مجدداً. وعلى الرغم من فهمي لحالته، فأنا لم أستطع أن أوافـق علـى طلبـه. فـي النهاية عادت رجاحـة العقل إلى دارن وعاد عن طلبه. كانت تلك أكثر مرة أراه فيها مصراً ولجوجاً لهذه الدرجة.

سألني: "هل تحبينني؟"

أجل. بالطبع أحبك".

ثم أضاف: "هل تحبينه؟"

"لا، فأنا أحبك أنت فقط".

t.me/ktabpdf

مكتبة

وكان ذلـك قـولاً حقـاً حينهـا. أكدتُ له أنني أحببته أكثر مما أحببتك يوماً وأنه لا مجال لمقارنتك مقابل عائلتي معه. في نهاية تلك الليلة عادت المياه لمجاريها. مارسنا الحب ونمنا بين ذراعي أحدنا الآخر. بعد ذلك الموقف، حاولت عدم التفكير بك وركزت على غضبي منك لأنـك لـم تسـألني عـن أمر الصـور. كنت أفعل ذلك مـن أجل دارن، فايوليـت وليـام. فـي الحقيقة، كنت أشـعر بالإطـراء لأنني كنت جزءاً من عرضك ولأنني كنت أعني الكثير لك ولعملك. ففي وسط زوبعة المشاعر تلك، كان هنالك بعض السعادة لتلقيبك لي بمصدر وحيك.

LXI

أحياناً تبدو الحياة وكأنها تتقدم بفتور وعلى وتيرة واحدة إلى أن يحدث شيء يجعلك تتوقف وتدرك أن الزمن قد أخذك على حين غرّة. ذكرى زواج، عيد ميلاد أو عطلة، أو لم شملٍ. في الحادي عشر من شهر أيلول 2011 كانت فايوليت توشك على بلوغ الرابعة من عمرها وليام كان في الشهر الثامن من عمره. كنت أعمل كمنتجة لثلاثة برامج للأطفال وأعمل على تطوير اثنين آخرين. ومرّ على زواجي بدارن خمس سنين. وكان عقد كامل قد مرّ على لقائي بك للمرة الأولى، وعقد على الهجمات التي حاكت حياتنا بين التقاء وانفصال.

في يوم الأبطال في حضانة فايوليت، كان هناك اجتماع في بروسبكت بارك حيث تعلّم الأطفال عن رجال الإطفاء ورجال الشرطة ورجال الإسعاف. بعد ذلك اليوم، كلما رأت فايوليت شاحنة إطفاء أو سيارة أجرة أو شرطة أو إسعاف، كانت تقف وتصرخ قائلة يحيا الأبطال، يحيا الأبطال وما زالت هي وليام يقومان بذلك، الأمر الذي يجعلني أبتسم في كل مرة.

كانت احتفالات التذكير تقام في أرجاء المدينة، والقداديس في كنيسة Saint Pat وكنيسة Trinity Church بالإضافة إلى معارض الصور في المتحف التاريخي.

t.me/ktabpdf مكتبة

كان هنالـك حزمتـان مـن الضـوء الأزرق_ تنبعثـان مـن غراوند زيـرو، بحيـث يشـعّان أطـول مـن البرجين، ويمكـن رؤيتهما عن بعد ميليـن_ حيـن اتصلـت بي. في الواقع، كنـت أنوي الاتصال بك على الرغم من أنني كنت أعلم أنه لا يجدر بي ذلك. أظن أنك تذكر ذلك اليوم. كنتَ في كابول. قلتَ لي حين أجبت على الهاتف: "كنت أفكر بك منذ الصباح".

"وأنا أيضاً".

اعترفت بذلك بعد أن دخلت إلى غرفة فايوليت وأغلقت الباب.

"لم أكن متأكداً من أنك ستردين على اتصالي".

قلـت بعـد أن عرضـت في ذهني جميع المرات التي اتصلت بي فيها: "هل سبق وفعلت هذا؟".

أجبت بغاية الهدوء: "أبداً".

جلسـت علـى سـرير فايوليـت وأخبرتـك عـن "يـوم الأبطـال" والأحداث التي جرت في نيويورك. أخبرتني أنك تتمنى لو أنك كنت موجوداً هناك. فأجبتك:

"شعرت أنك يجب أن تكون هناك أيضاً، وأنك يجب أن تكون على سطح مبنى وان وأن تلقي نظرة على المدينة.

فقلتَ: "يا ليت".

لم يعرف أي منّا ماذا سيقول بعد، لكن بالمقابل لم نرغب بإنهاء المكالمة. ساد الصمت بيننا.

فاقترحت: "لنتخيل أننا هناك الآن؟".

"ولا وجود للدخان. فقط الأفق الجميل".

أغمضـت عينـي لبرهة ثم تابعت: "والعصافير. والسـماء الزرقاء

الصافيـة، والنـاس يمشـون فـي الشـارع ذهاباً وإياباً. نسـتطيع سـماع ضحكات الأطفال تصدح في الملاعب. لا أحد خائف من أن يكون ذلك نفسه الأخير".

سألتني: "ماذا أيضاً؟".

"يمكننا رؤية مبنى الإمباير ستايت".

"شامخ بقوة وفخر".

"أجل. بفخر وقوة". فتحت عيني ثم تابعت: "هكذا".

"شكرا يا لوسي".

"لا شكر على واجب". قلت وأنا لا فكرة لدي لماذا تشكرني.

تابعتَ متثائباً: "عليّ الخلود للنوم الآن. إذ الوقت متأخر هنا".

"حسناً. تصبح على خير. نوماً هنيئاً".

تثاءبت مجدداً ثم قلتَ: "أنا سعيد لأنك أجبت على الهاتف".

"وأنا سعيدة لأنك اتصلت".

أنهينا المكالمة ثم استدركت كم عنت لي مكالمتك ذلك اليوم، وكيف أنني كنت لأشعر بالنقص لو لم تتصل. هل شعرت بذلك؟

t.me/ktabpdf مكتبة

LXIII

أحيانــاً أشــعر أن الكلمــات، والجمــل والقصائــد وحتى أســماء الأشخاص تعلق في ذهني، ويصدف أن أسمعهم بعدها في كل مكان. لا أعلم ما إذا كانوا في مكان ما بالفعل أم أنني متنبهة لهم سلفاً، لذا يكون تركيزي مكثف عليهم.

بعــد أن اتصلــت فــي ذلــك اليــوم، غــدت كابــول إحــدى تلــك الكلمات، وكذلك أفغانستان.

بعد ثلاثة أيام من اتصالك، سمعت هاتين الكلمتين على *NPR*. كانت السفارة الأمريكية في كابول قد فُجّرت.

توجــه تفكيــري إليــك فوراً، فأمســكت هاتفــي وكتبت: هل أنت بخيــر ؟.. حدقــت إلــى الشاشــة إلى أن ظهرت لي تلــك النقاط الثلاثة تحت اسمك مما عنى أنك كنت تكتب.

فجاء ردك: أنا على قيد الحياة. لم أكن بالقرب من التفجير لكن العديد من أصدقائي كانوا هناك...

ثم أتبعت ذلك برسالة قلت فيها: أنا لست بخير. لم أعلم بماذا أجيب، فلم أفعل. أنا آسفة.

t.me/ktabpdf

مكتبة

LXIII

غالباً ما أفكر أنه خلال مسيرة حياتنا نكتسب العديد من الأشخاص. أشخاص بمعنى من يمكن الاعتماد عليهم في حال حدوث أي طارئ، فإن كنا محظوظين، يكون آباؤنا أوّل أولئك الأشخاص، ويليهم الإخوة ثم صديق الطفولة وبعدها شريك الحياة.

لم تكن أنت من النوع الذي لديه معارف كسائر الناس، كانت تلك طبيعتك. وربما كان ذلك بسبب تنقلك الدائم. كانت والدتك هي ذلك الشخص الوحيد. علمت من الصور التي كنت تنشرها على موقع فيسبوك أنك كنت غالباً ما تزورها. وأعتقد أنني كنت الشخص التالي بعدها، لكن عدا عن ذلك، كان لديك شبكة معارف وأصدقاء مثل زملائك في السكن أثناء دراستك الجامعية، الذين كنت تتردد عليهم بين الحين والآخر. لكنك لم تشعر بارتياح كافٍ معهم لدرجة أن تعتمد عليهم على الأقل عندما كنا نتواعد، وأعتقد أنه استمر إلى ما بعد ذلك، لأنني كنت أنا الشخص الذي اتصلت به.

بعد ظهر أحد أيام السبت، اتصلت بي. كنت حينها أدفع فايوليت على الأرجوحة في منتزه كوكساكي، هذا لم يكن اسم المنتزه الحقيقي لكن هذا ما لقبته به فيفيانا، سيدة أصيب ابنها ماتيو وأربعة أطفال آخرين بفيروس كوكساكس، بعد أن كانوا يلعبون في ملعب ذلك المنتزه.

t.me/ktabpdf

مكتبة

انتشر الخبر بين الأهالي، وكأن الفيروس انتشر بين أولادنا. لكن لا بد أن الشتاء كان قد قضى على ذلك الفيروس. في ذلك اليوم لم أكن الوحيدة التي تنزه ولدها في ذلك المكان.

كان دارن مع ليام في درس سباحة الأب والابن. دفعت فايوليت دفعة قوية، ثم أجبت على الهاتف. لم أسمع سوى النحيب. شاهدت فايوليت تطير نحوي فدفعتها مجدداً. وقلت: "غيب؟ ما الأمر؟ هل أنت بخير؟ هل أصبت؟ أين أنت؟".

أخذتَ نفساً عميقاً ثم أجبت: "في مطار *JFK*. لقد توفيّت والدتي يا لوسي.. توفيّت"

ثم سمعت نفسك تمزقه شهقاتك.. تمزق قلبي. شعرت كما أشعر حين يبكي ليام أو فايوليت أو دارن، ومثلما شعرت حين سمعت جايسون يبكي. "في أي محطة أنت؟ وكم من الوقت ستبقى هناك؟".

أجبت عندما استعدت أنفاسك: "يونايتد. أنا باقٍ لأربع ساعات".

أنا قادمة. سأكون هناك في غضون أربعين دقيقة".

أنهيت المكالمة. أوقفت أرجوحة فايوليت وبدأت أتصرف مثلما أتصرف أثناء الأزمات في العمل: تصرفي الآن، احجزي رحلة، اجعلي الأمور أفضل، على الأقل كوني هناك.

قالت فايوليت ممتعضة: "لا مزيد من التأرجح؟". فأجبتها: "فايوليت، لدينا عمل علينا أن نقوم به؛ علينا الذهاب إلى المطار لرؤية صديق والدتك. إنه حزين قليلاً الآن لأن والدته اضطرت للتغيب لوقت طويل، لذا من المحتمل أن يبكي، لكننا سنحاول جعله يشعر بحال أفضل".

t.me/ktabpdf مكتبة

رفعـت ذراعيهـا لكـي أخرجها من الأرجوحة وقالت: "أنا أحياناً أحزن فأبكي".

أجبتها بينما أحملها: "أجل. وأنا أيضاً".

بعـد أن وضعـت فايوليت في عربتها، تفقدت الوقت. كان درس سباحة دارن قد انتهى، لكنه عادة يتسلى مع الآباء الآخرين بعد انتهاء الدرس. أخذت نفسـاً عميقاً ثم اتصلت به. لم يكن ذلك سـهلاً. قلت لدارن عندما أجاب: "عليّ المرور بمطار JFK." سمعت ليام يربرب بقربه.

سألني دارن: "ماذا؟ ما السبب؟".

لم نكن قد تكلمنا عنك منذ حادثة المعرض. علمت أنه لن يتلق الأمر بسلاسـة، لكن لم يسـعني أن أتركك تبكي وحدك في المحطة. كنت في موقف حرج، كنت عالقة كما في أسطورة بيرسيفوني.

"تلقيت للتو اتصالاً من غيب. غيب سامسون. لقد توفيت والدته وهو في مطار JFK ووضعه سيئ جداً".

بقي دارن صامتاً لبرهة. سمعت ليام يقول كعك مراراً وتكراراً. ثم قال دارن: "وأنت ذاهبة لتحسّني من وضعه!؟ لا!".

"لكن ليس لديه أحد آخر".

"وليس لديه أنت أيضاً". ثم قال لـليام: "سـأحضر لك الكعك.. انتظر قليلاً".

"بالطبـع. فأنـا لـك ولفايوليت وليام. لكن والدته توفيت واتصل بـي. لا يجـب أن يكـون وحيـداً الآن. لم تكـن لتريدني أن أفعل ذلك بك لو كنت مكانه".

أجـاب دارن بنبـرة حـادة: "لكنني بالمقابـل لـن أتصـل بزوجة أحدهم".

مكتبة t.me/ktabpdf

فقلت: "أنا لا أعني له زوجة أحدهم، أنا مجرد صديقة يكلمها وقت الضيق".

"لكنه لقبك بـنوره، ذلك اللعين".

"وأنـا ألقبـك زوجـي. هذا لا يهم. رجـاءً دعنا لا نقم بذلك أمام أصدقائنا والأولاد".

تخيلته وملامح الامتعاض على وجهه. قال: "ستأخذين فايوليت أليس كذلك؟ فأنت تعلمين أنني لا أثق به".

"أجل سآخذها".

كنت سآخذها لأنني لم أتمكن من إيجاد مكان آخر لها في آخر لحظة؟ وكان دارن في الجهة الأخرى من بروكلين.

فأجاب دارن: "حسناً. لكنني لست مرتاحاً لهذا".

علمت أنه عليّ تسوية الوضع حين أعود. لكن حينها كان المهم أن أذهب لرؤيتك.

توقفنـا لبرهـة عند المنـزل، لأضع العربة فـي المدخل، وبعدها أقلتنا سيارة الأجرة إلى بوابة المحطة في المطار. كان عليك أن تخرج لملاقاتنا لأننا لم نستطع الدخول من دون بطاقات.

كنتَ تنتظر بالقرب من الباب. مكوّم على المقعد ورأسك بين كفّيـك. وفـي اللحظة التي رأيتنـي فيها، عدت للبكاء. ركضت نحوك وفايوليت بين ذراعيّ ثم جلستُ ووضعتها على ركبتيّ.

أتسـاءل الآن ما الذي كان يجول في خاطرها وخاطرك حينها. بعد أن حدث ما حدث، شعرت أنني قصّرت من واجبي كوالدة، من ناحية أن فايوليت لم تكن مضطرة لأن تشهد موقفاً كهذا؛ أن ترى أحداً مجروحاً إلى هذه الدرجة. لو أنني فكرت ملياً في الأمر لكنت اتصلت

بإحـدى الأمهـات فـي المبنى لتعتني بفايوليت إلى أن أعود، وأخبرت دارن أنني لـن آخذهـا معـي حتى لو زاد ذلك من غضبه. ولكان ذلك غير مجرى الكثير من الأشياء.

مـددت ذراعيـك فـوق رأس فايوليـت واحتضنتنـي فاحتضنتك بدوري أنا أيضاً وفايوليت كذلك الأمر على قدر ما اسـتطاعت يداها أن تطال منك وقالت لك: "إنك بخير، ليس هناك دماء أو أي شيء".

بعد أن هدأتَ، وبعد أن وجدتُ قلماً ودفتراً لتلعب بهما فايوليت على الأرض، أخبرتني كيف أن والدتك كانت تعاني من تمدد الأوعية الدموية في الدماغ، وأنك لم تكن قد زرت أريزونا منذ سـنة. وكيف كنت تشـعر أنك هائم، وأنه لم يعد هناك من يربطك بهذا العالم بعد أن رحلتْ والدتك. كيف أنك ولو طرت بعيداً لن يلاحظ أحد ذلك. فقلت لك:

"أنا سألاحظ".

بينما كنت تتكلم، لفّت فايوليت ذراعها حول ساقك وهي ترسم بالأخرى، فتابعت كلامي وقلت: "وأظن أنها ستلاحظ هي أيضاً".

ابتسمت حينها ابتسامة حزينة. مشينا إلى كشك لبيع الطعام. لم تأخذ سوى الماء. اقترحت أن تأكل شطيرة أو موزة على الأقل، لكنك قلت إنك لن تستطيع تناول أي شيء.

حيـن غـادرت وفايوليـت، بدوت بحال أفضـل بقليل من الحال التـي كنـت عليهـا حين وصلنا، لكنني بقيـت أفكر بقولك إنك فقدت الاتصال بالعالم. كنت متعلقة بالكثير من الأشخاص فلم أستطع تخيل الأمر حتى، ولم أرد ذلك.

LXIV

الأطفـال رائعـون بحق، فهم محبون وعطوفون، خاصة في عمر الأربع سنوات ونصف.

رؤيتـك فـي المطـار حزينـاً أثّـرت بـي كثيـراً، ويبدو أنهـا أثّرت بفايوليت أيضاً لكن بطريقة أكبر.

أخبـرتْ دماهـا فـي اليـوم التالي: "صديق أمي غيـب حزين جداً وكان يبكي." وسـألتني: "أيمكنني أن أعطي غيب هذه الرسـمة؟ إنها قلب وشمس وقطعة حلوى ووجوه مبتسمة".

"ما رأيك أن أرسل صورة عنها إلى هاتفه؟".

أومأت برأسها، ثم حملت الرسمة تحضيراً للتصوير وقالت لي: "لا تنسي أن تشحني الهاتف كي يعمل".

الأمـر الـذي يخبـرك عني أكثر مما يخبـرك عنها، أو ربما القليل عن كلينا.

التقطت الصورة وأرسلتها عبر الإيميل مع شرح لها. هل تذكر؟

جاء ردك بعد دقائق قليلة: اشكري لي فايوليت.

فقالت: "هذا جيد. قولي له لا شكر على واجب".

علـى العشـاء، أخبرتْ فايوليت القصة لـدارن. وكانت المفاجأة فيما أضافته:

"أريـد أن أفرحـه أكثـر، لذا أعتقد أنه علينا أن ندعوه إلى المنزل.

t.me/ktabpdf مكتبة

سأعلمه كيفية صنع الكعك".

في تلك المرحلة، كنا قد بدأنا بتجربة إعداد الكعك سوية. وكان ذلك بالنسبة إلى فايوليت أكثر التجارب سحراً في العالم. اعتادت أن تحدق إلى زجاج الفرن منتظرة المخفوق إلى أن ينضج متحولاً إلى كعكة. وغالباً ما كانت تشرح المراحل أثناء المشاهدة.

رفع دارن حاجبيه ونظر إليّ. فقلت: "إنها أول مرة أسمع بهذا الكلام أنا أيضاً".

أضافت فايوليت: "كان حزيناً جداً يا أبي.. كان يبكي مثل الطفل، وعندما يبكي أحدهم ينبغي علينا أن نحاول إسعاده. هكذا علمتنا الآنسة مليسا في المدرسة".

عضضت شفتي لأنني علمت كيف شعر دارن. لكنني علمت أيضاً أنني كنت قلقة عليك كما فايوليت ولن أمانع رؤيتك مرة أخرى قبل أن تسافر مجدداً.

"هذا صحيح. هذا ما قالته الآنسة ميليسا". ثم رفعت كتفيّ ونظرت إلى دارن في شيء من الحيرة.

لم أكن لأصرّ على الأمر، وكنت سأدعه هو يقرر، لأنك يا غيب وضعت صور زوجة أحد آخر في معرضك. وحتى لو لم تفعل ذلك وأصرّ على موقفه، كنت سأتفهم الأمر. فلديه الحق بألا يرغب بدعوة حبيبي السابق إلى منزلنا.

بصراحة أظن أنه كان عليّ أن أرفض الأمر بنفسي، وأن أفكر بما سيعنيه تواجدك هناك. لكنني لم أفعل ذلك.

كان زواجي قوياً كفاية لدرجة ألا أتساءل ما إذا كان السماح لك بدخول عالمي سيشكل فيه شرخاً أو يغير مشاعري نحو دارن. لكن

t.me/ktabpdf

مكتبة

ذلـك قـد حصـل بالفعل، لكنني لـم أدرك ذلك حينها ولا حتى خلال الأشهر التي تلت ذلك.

لكن إذا ما عدت بالأحداث إلى الوراء سأجد أن ذلك الموقف كان أشبه بمفترق طرق. كقرار يقودنا لينتهي بنا المطاف مسافرين.

فكرّ دارن في الأمر ونظرة التمعن في عينيه ثم قال: "حسناً". بعد أن كانـت فايوليـت تنظـر إليه نظرة توسـل وأنا أنظر إلى طبقي وأقطّع سـمك السـلمون أمامي إلى قطع صغيرة ثم أكمل: "إنك على حق يا فايوليت، علينا إبهاج من يكون حزيناً".

تساءلت حينها إذا ما كان سبب قبوله هو أنه لم يعد يراك كتهديد أو ربما بسـبب شـيء قلته أنا أو فايوليت. أم أنه ظن أن دعوتك إلى منزلنـا الـذي تمـلأه صورنـا كعائلة، سـيخفف من رغبتك بـي. أم أنه ببسـاطة فكّر بالأمر كما فكرت به أنا؛ وهو أن زواجنا كان قوياً كفاية لدرجة أن لا شيء سيهزه.

لم أسأله عن السبب بل اكتفيت بتقبله. لكنني متأكدة من أنه كان هنالك سبب وراء ذلك. فدارن لا يفعل شيئاً اعتباطياً.

وهكذا انتهى بك الأمر مدعواً إلى منزلنا لتعدّ الكعك مع ابنتي. عليّ الاعتراف أنني تفاجأتُ عندما وافقت على القدوم.

تراسـلنا لنتفـق علـى يوم كان من المفـروض أن أتابع فيه عملي من المنزل. لكنني اضطررت لأخذ عطلة.

كنت تخطط للبقاء في نيويورك لمدة يومين وكنت ستأتي مباشرة من المطار.

أصرّت فايوليت على أن تزيّن المنزل بالبالونات من أجلك، وأن ترسـم عليها وجوهاً ضاحكة. فرسـمنا على بعض تلك الوجوه ألسـنة

وبعضها حظي برموش والبعض الآخر حظي بالحواجب. فسألتُ ليام: "هل تريد واحداً؟".

كان عمر ليام حينها ثمانية عشر شهراً وكانت ماريا ستأخذه إلى متحف السيارات. فقد أحب الصعود والنزول عن القطارات.

قال ليام: "أخضر" فأعطته بالوناً أخضر قبل أن يخرج مع ماريا.

وضعت ملابس الأولاد في الغسالة، ثم حضرنا مكونات الخَبز. وبينما كنا نجلب وعاء الخفق، رنّ جرس المدخل. فركضت فايوليت وتبعتها آني وهي تنبح. فأجبت من حيث كنت واقفة: "أجل؟".

فأجبتني: "هذا أنا".

فصرخت فايوليت: "إنه هو".

فتحت لك باب المدخل وبعد لحظات وصلت إلى غرفة معيشتي.

أول شيء لاحظناه أنا وفايوليت هو أنك قصصت شعرك. فسألتك فايوليت عابسة_ كانت تلك النظرة هي الشيء الوحيد الذي ورثته عن دارن_: "أين شعرك؟".

استرقت النظر إليّ ثم عدت إلى فايوليت قائلاً: "إنه.. في الغسالة!".

"في الغسالة؟!".

رفعت كتفيك ثم ابتسمت سامحاً لغمازتك بالظهور وقلت: "ألا تغسلين شعرك حين يتسخ؟".

أومأت فايوليت برأسها وقالت: "بلى ولكن أغسله في الحمام".

وضعت حقائبك على الأرض وقلت: "ظننت أن استعمال الغسالة سيسهل الأمر".

نظرت فايوليت إليّ وقالت:

"هل يمكنني أن أغسل شعري في الغسالة؟".

"سنتكلم في الأمر لاحقاً".

ذهبت إلى المطبخ، وهي تظن أنك ستتبعها، وبدأت تتكلم عن خطط إعداد الكعك، لكنك توقفت بالقرب مني. مددت ذراعي إليك فغرقت فيهما. شعرت بدموعك تسيل على عنقي. سألتك:

"لماذا قصصت شعرك؟".

نهضت ماسحاً دموعك بكفك ثم قلت:

"إنه طقس من طقوس الحداد. شعرت أن عليّ القيام بذلك، هل أبدو مختلفاً؟".

مختلفاً بطريقة ما لكنك ما زلت أنت. هل أنت متأكد من أنك بحال جيدة كفاية لتقوم بصنع الكعك؟

"أجل، طبعاً_ وأشكرك على ابنتك طيبة القلب _لتحفيز رغبتها بإبهاج من هو حزين. لأنها وقفت بجانبي. قد يبدو هذا غريباً، لكن تطلعي لليوم هو الشيء الذي جعلني أصمد إثر كل ما حصل في أريزونا".

بعد أن أعددنا الخليط ووضعناه في قوالب مختلفة، وبعد أن وضعتها في الفرن،_أخرجت فايوليت وعاء تصفية الباستا وقالت لك:

"هذا ما نفعله كي نتفادى حرق أنفسنا".

ثم أشعلت ضوء الفرن، ووضعت الوعاء أمام بابه، ثم جلست خلفه.

"بهذه الطريقة لن نصل إلى باب الفرن".

ثم ربتت على الوعاء أمامها.

t.me/ktabpdf مكتبة

جلستَ بقربها وبدأتما مراقبة الكعك لاثنتي عشرة دقيقة لم ينطق فيها أحد ما بكلمة واحدة. تساءلت بماذا تفكران لكنني اكتفيت بالمراقبة ولم أسألكما آملة أن يساعدك ذلك اليوم. وأن قلق فايوليت عليك سيشعرك أن هنالك أشخاص يقفون إلى جانبك بعد رحيل والدتك.

لم أردك أن تشعر بعدم الارتباط بأحد.

حين رن مؤقت الفرن، جلبت لي فايوليت القفاز المعلق على الدرج بالقرب من المغسلة.

وقالت: "لقد نضج، ويمكننا أن نلعب لعبة الغميضة في القلعة بينما يبرد".

فسألت بينما تقف وتمسك وعاء الباستا معك:

"لعبة الغميضة في القلعة؟".

نظرت إليك فايوليت بينما كنت أفتح باب الفرن

أجابت: "نرتدي أزياء أشخاص يعيشون في القلعة، ثم نلعب لعبة الغميضة. يمكنك أن تكون الملك!".

كدت أسقط طبق الكعك حين قالت ذلك. فدارن كان الشخص الوحيد الذي سمحت له بأن يكون الملك.

عندما زارنا جاي، أعطته دور الساحر، أما جداها فأعطتهما دور المهرج.

سألتها: "هل ستكونين ملكتي؟" بينما أخذت بيدك إلى صندوق الملابس خاصتها وقالت:

"لا"، وكأن ما قلته كان أطرف شيء يمكن لأحد أن يقوله. "أمي هي الملكة. أنا سأكون الجنية السحرية".

نظـرت إلـيّ بينمـا أطفئ الفرن وأتجـه نحوكما. بعد أن وضعتْ التاجين على رأسينا، ارتدت فايوليت جناحي الجنية وقالت:

"حسناً، أيها الملك والملكة، سأختبئ الآن في قلعتكما، عدّا إلى الرقم ثلاثة وعشرين ثم تعالا للبحث عني".

فهمست إليّ متسائلاً:

"ثلاثـة وعشـرون!؟" فرفعـت كتفـي. ركضت فايوليـت ثم بدأنا العد. صرخت من الداخل:

"بصوت أعلى". كنا قد وصلنا إلى الرقم ثلاثة عشر حين صاحت فايوليت قائلة:

"يوجد خندق في هذه القلعة".

توقفت عن العد وقلت متسائلة:

"خندق!؟".

فأجابت: "خندق حقيقي".

ثم سمعت وقع أقدام صغيرة ترتطم بالماء. ركضت نحو الممر وناديت فايوليت: "أين أنت؟"

"إنها لعبة استخباء، لا يمكنني أن أخبرك". كانت قد تركت باب غرفة الغسيل مفتوحاً مما سمح للماء أن يصل إلى الرواق.

"يا إلهي!" قلت وأنا أركض نحو بقعة الماء.

مررت بجانبي مسرعاً نحو فايوليت وقلت: "ها أنت ذا، أعتقد أنه هذا هو الجزء حيث يحمل الملك الجنية ويجعلها تطير". فرفعت فايوليـت عـن بقعـة المـاء. فقالـت وهـي تضحـك: "أعلـى، أعلى... الجنيات تطير عالياً".

وقفت أمام غرفة الغسيل وبدأت أقول في نفسي: "تباً، تباً".

t.me/ktabpdf مكتبة

كان الماء لا يزال يتدفق من خلف الغسالة. فسحبت هاتفي من جيبي واتصلت بدارن. أجاب من الرنة الأولى سائلاً: "هل أنت بخير؟".

"أنا أجل.. لكن غرفة الغسيل، فلا. أعتقد أن الغسالة معطلة وهناك بركة ماء كبيرة. من هو السباك خاصتنا؟".

فأجاب: "يا للهول! سأرسل لك رقمه عبر الإيميل إلا إذا كنت تريدينني أن أتصل به بنفسي؟".

"لا لا.. سأتصل أنا، لكن هل يجب أن أطفئها؟".

"لا أملك أدنى فكرة. اسألي السباك، فقد أرسلت رقمه للتو. أعلميني كيف تسير الأمور".

أنهيت المكالمة وفتحت بريدي الإلكتروني، ثم أتيتَ مسرعاً مع فايوليت وسألتني: "أين لوحة القوابس الكهربائية؟ علينا إيقاف التيار عن الغسالة".

"هل أنت متأكد؟". سألتك بينما انظر إلى الرقم وتابعت كلامي: "لأنني كنت سأتصل بالسباك".

"أنا متأكد". قلتَ بينما تدور وفايوليت. "عليك أن تطفئي الغسالة كي تتوقف المياه عن التدفق. فلا يجدر بك التعامل مع الكهرباء بينما تقفين في بقعة ماء".

"حسناً.. هذا منطقي. اللوحة موجودة في المطبخ".

طرت أنت وفايوليت إلى المطبخ وقلت: "هناك جنية في طريقها للهبوط". بينما تضعها على المنضدة. فطالبت فايوليت قائلة: "المزيد من الطيران".

فأجبتها: "يحتاج الملك إلى أن يصلح بعض الأشياء".

t.me/ktabpdf مكتبة

كان التاج لا يزال على رأسك لكنه مال قليلاً. راقبناك بينما تعدل تاجك وتقفل القابس الذي كتب تحته غرفة الغسيل.

سألتك: "هل نتصل بالسباك الآن؟". كنت قد خلعت حذاءك وجوربك ثم أجبتني بينما ترفع السروال عن ساقيك: "دعيني ألقي نظرة"

حملتُ فايوليت عن المنضدة إلى غرفة الغسيل حيث راقبناك تدفع الغسالة بعيداً عن الحائط لتصلح مفصل الخرطوم. بعد أن توقف التدفق، اضمحلّت بقعة الماء بفضل مسرب المياه في وسط غرفة الغسيل.

قلتَ: "يبدو أن هذا سينفع للآن، لكن أظن أنك ما زلتِ بحاجة إلى الاتصال بالسباك للتأكد أو بإمكانك تشغيل الغسالة لتري ما إذا توقف التسرب".

وقفت بينما لا يزال ذلك التاج السخيف على رأسك ثم فكّرتُ: هكذا كانت حياتي لتكون لو أنني سلكت الطريق الآخر.

سألتني: "هل أنت بخير؟".

بدا مظهرك مضحكاً. ابتسمتُ وقلتُ: "تصلح لأن تكون فارساً أكثر من كونك ملكاً. شكراً لأنك أنقذت غرفة الغسيل".

ضحكتَ ثم قلت: "لا أريد التخلي عن تاجي، لكنني لطالما أحببت الفارس لانسلوت".

هل أردت أن يذهب تفكيري إلى هناك؟ إلى لانسلوت وجينيفيف؟ أعتقد ذلك.

تمنيت ألا تتمكن من قراءتي كما استطعت قراءتهم ثم نظرتُ إلى فايوليت التي كانت لا تزال بين ذراعي وقلتُ: "حسناً يا أميرتي الجنية.

t.me/ktabpdf مكتبة

أعتقد أن الكعك أصبح بارداً كفاية. هل تريدين تناول واحدة الآن؟".

نزلت إلى الأرض وركضت إلى المطبخ صارخة: "أجل أجل!".

فقلت بينما تعدل وضعي تاجي: "هل ترغبين بتناول كعكة يا أميرتي؟".

نظرت إلى عينيك ورأيت الحزن فيهما على الرغم من أنك كنت تحاول إخفاءه.

وسط الفوضى والماء كنت قد نسيت سبب مجيئك. فسألتك: "كيف حالك؟".

"أفضل. شكراً لك على هذا اليوم".

"أنا سعيدة لذلك، ولا شكر على واجب" أردت أن أضمك كما فعلت حين وصولك إلى منزلنا. لكن سرعان ما تذكرت زواج جنفيف من آرثر، فبدل من أن أضمك قلت لك: "لنذهب إلى المطبخ قبل أن تحاول فايوليت تسلق الخزانة".

جلسنا مع فايوليت وتناولنا الكعك الذي أعددناه نحن الثلاثة.

لم أخبر دارن أننا بقينا على تواصل عبر الإيميل طوال الفترة التي تلت ذلك اليوم، لكنك بدأت بالسفر كثيراً، لذلك قلّ تواصلي معك. كنت قد ذهبتَ إلى الفلبين، روسيا، كوريا الشمالية وإفريقيا الجنوبية. طالت الفترات بين رسائلنا إلى أن أدركت أن شهوراً قد مرّت منذ آخر مرة تراسلنا فيها.

بدت فايوليت كأنها نسيت أمرك، لكنها ظلت تسألني بين الحين والآخر اذا كان بإمكانها غسل شعرها بالغسالة، فأقف لبرهة لأتمنى أن تكون بخير حيث أنت.

LXV

الخريف الذي تلى إصلاحك للغسالة في منزلنا_و قد أصلحتها بالفعل. أخبرتك بذلك، صحيح؟_ تلقيت اتصالاً من كايت كان قد شوشني.كان دارن يشاهد الغولف والأولاد يلعبون في غرفة المعيشة. كان أنف آني تحت الأريكة تلحق رقائق الذرة التي كان ليام قد نشرها في كل مكان. وكنت أحاول قراءة قدر المستطاع من مجلة نيويوركر، وأفكر أنه عليّ إلغاء اشتراكي في تلك المجلة، لأن رؤية تلك الأكوام تزداد يومياً جعلني أشعر أني لا أستحقها وذكّرني ذلك كيف أنني لا أخصص وقتاً لنفسي، وقتاً لا أقضيه منشغلة بعائلتي وعملي.

سألتني كايت بعد أن أجبت على الهاتف: "ما رأيك بالبناطيل التي تظهر المفاتن؟".

قلت بعد أن تأكدت من أن ليام وفايوليت كانا لا يزالان يبنيان برجاً طويلاً من المكعبات قبل أن أدخل إلى المطبخ: "لم أفكر بها من قبل، لكن اعتقد أنني لا أرى فائدة منها. فهي كالنظارات من دون عدسات أو كالصدريات المفرغة".

"صدريات مفرغة؟ هل هذا شيء موجود حقاً؟".

"لا أعلم. أردت فقط أن أثبت وجهة نظري. لماذا تسألينني عن البناطيل تلك؟".

تنهدت كايت وقالت: "لا أدري.. هل سبق وشعرت بأنك.. أنك

t.me/ktabpdf
مكتبة

تريدين إضافة بعض الإثارة؟".

"هل تتكلمين عن ممارسة الحب؟".

كان هذا خلافاً لسجية كايت. فلم يسبق لي أن سمعتها يوماً تنطق كلمة البناطيل التي تظهر المفاتن أو سمعتها تتحدث عن إضفاء الإثارة أو أي شيء من هذا القبيل. حفلة توديع عزوبيتها كانت في منتجع، ولم تسمح حتى بوجود قشات على شكل ....

"أخبرت ليز أن علاقتي بتوم.. فاترة، فنصحتني بتلك البناطيل التي تظهر المفاتن".

بدأ حينها الأمر يتوضح لي. أشك أن ليز ترتدي تلك البناطيل في الأيام العادية، وحتى تلك الصدريات المفرغة، إذا كان لها وجود فعلاً.

سألت كايت مجدداً: "هل العلاقة الجنسية هي الفاترة؟".

تنهدت ثم قالت: "إنه كل شيء. فأنا أستقل القطار ذاته كل يوم في الصباح وفي المساء. يسألني توم ذات الأسئلة حين يصل إلى المنزل بعدي. دائماً ما أغسل وجهي بينما ينظف أسنانه، وأنظف أسناني بينما يقضي حاجته. ذات يوم نظفت أسناني قبل أن أغسل وجهي، فبدا ضائعاً. هل سيبقى الحال هكذا إلى الأبد؟".

لم أفكر يوماً في روتينية الأشياء، لكن لو أنني صارحت نفسي لوجدت أنني شعرت بتلك الرتابة في حياتي.

"أفهم ما تعنيه. فإن دارن يتصل بي يومياً في الساعة الخامسة ودقيقتين ليسألني في أي وقت سأصل إلى المنزل. دائماً ما تمزح مساعدتي بشأن هذا. إننا نستخدم ورق الحمام من ماركة *Charmin Ultra Strong* منذ أن بدأت علاقتنا. تساءلت الشهر الفائت ما الذي

مكتبة t.me/ktabpdf

قد يحصل لو أنني أبتاع ورق الحمام من ماركة Charmin Ultra Soft؟! لكنني لم أفعل.

"عليك فعل هذا". قالت كايت.

"وعليك أن تستقلي قطاراً مختلفاً، وربما أن تحصلي على قصة شعر جديدة، وأن تذهبي في رحلة مع توم. يمكنك ترك الفتاتين في رعايتي لعطلة الأسبوع".

"هل حقاً يمكنك أن تأخذيهما خلال عطلة الأسبوع؟".

"بالطبع. هيا قومي بذلك. احجزي لرحلة ما".

فسألتني: "وماذا عنك؟".

"سأشتري ورق حمام من نوعية مختلفة". فضحكنا. وبالفعل، ذهب توم وكايت في رحلة وبقيت الفتاتان في رعايتنا في نهاية عطلة الأسبوع. وأنا بالفعل اشتريت ورق حمام من نوع *Charmin Ultra Soft*. لكن هناك الكثير من الأشياء لأفعلها وأهتم بها كل يوم قد يكون من الأسهل القيام بها من دون تفكير بمساعدة الروتين. فيمكن أن يحوّل قدر ضئيل من التفكير، اختيار نوعية ورق حمام من أمر يسير إلى أمر تحكمه العواطف.

لكن كايت جعلتني أفكر أن حياتي مع دارن يتخللها الفتور ومع الوقت هذا الفتور قد يتحول إلى شيء أسوأ ما لم نتدارك الأمر قبل فوات الأوان.

LXVI

في ذلك الشتاء بعد أن أتم فيه ليام عامه الثاني بأشهر قليلة، أصبنا جميعنا بنزلة برد شديدة لدرجة أن فايوليت اضطرت للتغيب عن الحضانة لمدة أسبوع. كانت ذابلة ومتعكرة المزاج، وكان قلبي ينفطر كلما سعلت وتحشرج صوت في صدرها الصغير. كان قلبك لينفطر أنت أيضاً يا غيب. كانت حزينة ومثيرة للشفقة. لازمتها آني طوال الوقت. ودارن أيضاً لم يكن يشعر بحال جيدة، ولتكتمل الأمور، لم تكن إحدى الصفقات في العمل تجري كما يجب، فكان قليل الصبر معي ومع الأولاد.

بعد أربعة أيام، كنت وفايوليت متمددين على الأريكة مع آني نشاهد *Sparkle On*!، وليام على الأرض يلعب بلعبته المفضلة: القطار الخشبي. وكان دارن يدور في المنزل وبيده بعض التقارير المالية للشركة. خلال دورته الثالثة أو الرابعة في غرفة المعيشة، قال لي: "أنف ليام يسيل".

"المناديل موجودة على طاولة المطبخ".

توقف عن المشي ونظر إليّ قائلاً: "أنا أعمل. أنت هي والدتهما".

"عفواً؟!". قلت بينما كانت فايوليت تمسح أنفها المبلل على سترتي. فقلت مجدداً: "إنني أعمل".

حدقت إليه لبرهة. أحياناً ينطق بكلمات تجعلني أفكر: هل هذا

هو الشخص الذي تزوجته؟ لا أفكر بهذا دائماً لكن تمر لحظات تضطرني لذلك، وغالباً ما تكون حول الاهتمام بالأطفال وعن دوري في العائلة كزوجة وأم.

من دون أن أنطق بكلمة أخرى، نهضت عن الأريكة وحملت معي فايوليت، أحضرت المناديل من المطبخ ومسحت أنف ليام.

لاحقاً تلك الليلة، أيقظني صوت ليام يبكي. في تلك الفترة كنا قد نقلنا مكان نوم ليام من المهد إلى السرير، لكنه لم يكن قد اعتاد بعد أنه يمكنه النهوض منه وحده في منتصف الليل. نظرت إلى دارن فوجده نصف مستيقظ.

قال لي وعيناه بالكاد مفتوحتان: "ليام يبكي".

"أجل.. سمعته." شعرت وكأن رأسي مملوء بالقطن. قلت: "هل ستنهض؟".

لم يكن ذلك سؤالاً. حين وصلت إلى غرفة ليام، كانت فايوليت تقف عند الباب. قالت لي بينما تتبعني إلى الداخل: "لقد أيقظني يا أمي".

"وأنا أيضاً. لمَ لا تعودين للنوم؟". أجبتها وأنا أرفع ليام من السرير.

"هل يمكنني أن أبقى؟". كنت متعبة جداً لأن أجادل فقلت لها: "حسناً".

ثم استدرت إلى ليام وسألته: "ما الأمر يا صغيري؟".

تحول بكاؤه إلى أنين وهو بين ذراعي. مسحت وجهه الذي كان يغطيه المخاط. قال لي بصوت متقطع: "حرٌّ شديد".

وضعت شفتيّ على جبينه كما فعلت مع دارن في إحدى ليالي

عيد الميلاد منذ سنين. كنت مريضة جداً ولم تكن شفتايّ صالحتين للقياس.

قست حرارته فكانت 101.4 تنهدت ثم قلت لليام: "لن يعجبك هذا لكنه سيجعلك تشعر بتحسن".

وضعت حقنة الدواء في فمه بينما كانت فايوليت تشاهد، ثم حشرت كوبه المصاص بين شفتيه. كان مريضاً جداً لدرجة أنه لم يقاوم. ابتلع الدواء ثم بدأ بالسعال. فقلت له: "أعلم يا صغيري. المرض مزعج".

فردد ما قلت وشفته السفلى ترتجف بعض الشيء: "مزعج...".

سعلت فايوليت وهي تغطي فمها مستخدمة كوعها كما تعلمت في الحضانة. كانت حالهما سيئة بقدر ما كانت حالي. قلت لهما: "ما رأيكما أن ننام سوية الليلة؟".

أومأت برأسها ثم تسلقت سرير ليام. جلست بجانبها وأسندت رأس ليام على كتفي آملة أن تساعده تلك الوضعية على التنفس.

قال لي وهو يغمض عينيه: "أحبك يا ماما". ثم أردفت فايوليت بينما تلفني من الجهة الأخرى: "وأنا أيضاً أحبك يا أمي". "أحبكما بقدر المسافة التي تفصلنا عن النجوم ذهابا وإياباً".

ثم فكر فيك يا غيب. لم أكن قد فعلت ذلك منذ مدة. لكن باستلقائي هناك، تذكرت اليوم الذي كان قد مر عليه عام كامل، حين قمنا بصنع الكعك سوية وأصلحت لي الغسالة. تذكرت كيف لشعوري أن يكون وكيف كنت لتتصرف حيال طفلين مريضين. هل كنت ستنهض من الفراش وتخبرني بأن أعود للنوم بينما تهتم لأمر الطفل الذي يبكي؟ هل كنت لتقبل بأن ننام سوية؟ ونحن عائلة تعاني

t.me/ktabpdf

مكتبة

من سيلان الأنف ومصابة بالحمى؟

لم تكن لتدع كل هذا يقع على عاتقي وحدي. لم تكن لتدعني أكون أنا من تعطيهما الدواء وتمســح لهما وجوههما، أنا متأكدة من ذلك.

في تلك الليلة وطفلي بين ذراعي، حلمت بك أنك مكان دارن، تعد الكعك المحلى لفايوليت وليام. كنت ترتدي ذلك التاج المضحك وكنا جميعنا نرتدي ملابس نوم عيد الميلاد المتطابقة النقش.

عندما استيقظت، عزيت أمر ذلك الحلم للحمى. لكنه في الواقع كان أكثر من ذلك.

LXVII

في بعض الأحيان شعرت أن عام 2013 هو عام خيبة الأمل. فقد كنت أخيّب أمل دارن بخياراتي، وكان يخيّب آمالي في ردود فعله وتوقعاته. كان ذلك يحدث بسبب أشياء سخيفة. كانت فايوليت في الصف الأول في مدرسة جديدة وكان يعتقد أنه يجب عليّ أن أؤجل الذهاب إلى العمل كي أتمكن من توصيلها إلى المدرسة في الصباح بدلاً من ماريا.

دعيت لألقي خطاباً في لوس أنجلوس، وأراد مني أن أرفضه لأن ذلك تطلب غيابي عن المنزل لستة أيام وهي بنظره مدة طويلة لأقضيها بعيدة عن الأولاد. كان يحاول أن يجعل مني تلك الأم التي توافق معايير لائحته التافهة تلك. لكنه لم يكن البيغماليون خاصتي، ولم أكن غالا بالنسبة إليه.

ومع ذلك، فأنا لست عادلة تماماً بقولي هذا، لأنه كانت لدينا أوقات نمرح فيها كثيراً. قضينا أسبوعين رائعين في منزل جميل في إيست هامبتون في شهر آب، ودعينا فانيسا وجاي مع التوائم للانضمام إلينا لأسبوع كامل. قضى الولدان وقتاً رائعاً وهما يسبحان ويبنيان القلاع الرملية وحفرا حفراً عميقة كفاية لأن يقفا فيها. كان حالنا أنا ودارن أفضل هناك، دون أن يعكّر العمل صفونا. في شهر أيلول، أخذنا ليام وفايوليت لأول مرة إلى مباراة لفريق اليانكيز.

t.me/ktabpdf

مكتبة

كانت مقاعدنا في الصف الأول. وقّع أوستين رومين كرة لكلٍّ من الطفلين. ظلا يتكلمان عن الأمر لأسابيع بعدها.

كان ذلك عامنا الأول باستضافة عيد الشكر، قمنا فيها بدعوة كامل عائلة دارن وعائلتي. تناغم الجميع على نحو جيد.

كان حالنا جيداً.. لكنه لم يصل إلى حد الروعة. وأعتقد أن هذا هو سبب ظني_ عندما رأيت الاسم ليندا\على هاتف حين كنا في عطلة ما بين عيد الميلاد ورأس السنة_ أنه على علاقة معها.

يفسّر الناس المواقف حسب ما يظنون. ففي لم الشمل ذاك، حين رأيت تلك المرأة متأبطة ذراعك، ظننت أنها حبيبتك أو على الأقل امرأة كنت تفكر بأن تقضي معها الليلة. نرى كلّ شيء وفقاً لرغباتنا أو مخاوفنا أو شعورنا بالذنب.

عندما رأيت الاسم ليندا\من دون كنية، توهج جسدي بالحر والبرودة في الوقت عينه. لم أتصور أبداً أن دارن قد يخونني يوماً. بحثت في مفكرتي الذهنية عن اللواتي اسماؤهن ليندا: من المكتب، من النادي الرياضي، من الجامعة.. لكنني لم أجد شيئاً. فانتقلت إلى فايسبوك لأبحث عن ذلك الاسم. لم أجد سوى اثنتين بذلك الاسم. نسيبته التي كانت تسكن في نيو مكسيكو وزوجة إحدى معارفه في فيلادلفيا.

أخذت نفساً عميقاً، وتوقعت أن تكون إحدى هاتين. عليّ أن أعطيه فرصة بينما أتأكد، على الرغم من أن تسميتها من دون الكنية على هاتفه بدا وكأنه تمويه وكأن ليس هنالك ما يخفيه.

"هل تراسلت مع أقربائك مؤخراً؟" سألته على العشاء، الذي كان عبارة عن وجبة من المعكرونة بالجبنة بالإضافة إلى مكعبات الدجاج. كان ليام يفضل تناول اللحم على شكل مكعبات، فبتّ أعده

بهذا الشكل على الدوام. شخصية ليام تذكرني بشخصية أخي كثيراً.

هزّ دارن برأسه ثم قال: " يجب أن أتصل بهم لأتمنى لهم عاماً جديداً".

"أجل. عليّ أن أفعل ذلك أنا أيضاً". إذاً لم تكن نسيبته ليندا.

"ما رأيك أن نقضي يوماً مع الأولاد في فيلادلفيا في عطلة نهاية الأسبوع؟ هل تواصلت مع أيّ من أصدقائك من الجامعة مؤخراً؟ إننا لم نزرهم منذ مدة".

رفع دارن كتفيه ثم قال: "إنها مسافة طويلة، بالإضافة إلى أنني لم أكلّم أياً منهم منذ حفل زفاف جوش الربيع الفائت. هل وصلنا إلى تلك المرحلة حيث استبدلنا أصدقاءنا القدامى بأصدقاء جدد؟".

أخذت رشفة من شراب الميرلوت الذي سكبت منه لكلينا، على الرغم من أن طعمه لم يتماش مع طعم المعكرونة بالجبنة والدجاج.

أنا لا أستسيغ الشراب الأبيض في الشتاء أبداً.

قلت: "ماذا تقصد؟".

كان ليام يبني برجاً من مكعبات الدجاج وفايوليت تأكل أعواد المعكرونة كلّ واحد على حدة.

"أقصد أننا نقضي معظم وقتنا مع أشخاص من حيّنا أطفالهم بعمر أطفالنا. فأنا لا أذكر آخر مرة رأيت فيها كايت وتوم مع الفتيات على الرغم من أنهم يسكنون في ويستشيستر على بعد ساعة فقط. ما رأيك أن نخطط للقائهم هذا الأسبوع؟"

"فكرة جيدة، سأتصل بها".

سألت فايوليت: "الخالة كايت؟!! هل تعتقدين أنه سيكون لديها أزياء جديدة يمكنني تجربتها مع سامانثا وفيكتوريا؟".

t.me/ktabpdf مكتبة

كانت سامانثا تصغر فايوليت بسنة ونصف وفيكتوريا تكبر فايوليت بستة شهور، لكن فارق العمر حينها لم يكن واضحاً بقدر ما كان عندما كنّ أصغر سناً.

أجبتها: "هذا ممكن". أومأت برأسها ثم عادت لتناول المعكرونة.

لم تصب توقعاتي عمن تكون ليندا.

لكن بعد أسبوعين، ترك دارن هاتفه في المنزل عندما ذهب إلى النادي الرياضي. بعد التحديق به لخمس عشرة دقيقة، التقطته وقررت أن أحسم الأمر وأكتشف من هي ليندا تلك. كتبت رمز القفل_تاريخ زواجنا_ فلم يكن صحيحاً. سيطر ذلك الشعور بالحر والبرد في الوقت عينه على جسدي عندما رأيت اسم ليندا مرة أخرى. حاولت تاريخ ميلاد فايوليت وليام ثم ميلادي وبعدها تاريخ ميلاد دارن. لكن لم ينفع أي منها وعلمت أنني إذا أخطأت بالرمز للمرة السادسة، سيتوقف الهاتف عن العمل. لكن لم يكن لدي احتمال سادس على أية حال. هل يعقل أن يكون تاريخ ميلاد ليندا؟

وضعت الهاتف على الطاولة حيث وجدته. فكرت في أن أخبر كايت عن شكّي في دارن، لكنني شعرت بالغباء، فلم يكن هناك دليل. بالإضافة إلى أن لدى كايت وتوم مشاكلهما الخاصة وآخر ما يريدانه هو أن يضطرا للتعامل مع مشاكلي.

لكن على الرغم من أنني لم أشعر أن هناك دليلاً قاطعاً لاتصل وأخبر كايت، كنت لا أزال متخوفة من أن أسأل دارن عن سبب تبديله لرمز قفل هاتفه ومن هي ليندا، لأنه حالما أعرف أنه فعلاً يخونني لن يكون هناك مجال للعودة، الهرب من الألم، الخيانة، النقاشات والدموع.

اقشعر بدني لمجرد التفكير بخوض كل ذلك، وكيف سيؤثر

على الأولاد وعليّ، على حياتنا جميعاً. كان من الأسهل الادعاء أن الأمور تجري على ما يرام.

بقيت متنبهة للأشهر التالية ولاحظت عدة مرات أنه يتكلم على الهاتف في الرواق حين يعود إلى المنزل من العمل وينهي المكالمة قبل أن يدخل. هل يمكن أن يكون المتصل ليندا؟

ذهب إلى العمل في أيام السبت عدة مرات. ليندا؟ ذهب للعب الغولف مع بعض الأصدقاء من المكتب في عطل نهاية الأسبوع. أم لم يكن ذلك سبب ذهابه؟

خلال الأشهر الستة تلك، بالكاد كنت أنام. كنت أستلقي بالقرب منه أتساءل كيف يمكنه أن ينام بسلام بينما يخفي عني سراً رهيباً كهذا! بينما يخونني. لم أستطع أن أخرج تلك الصور من مخيلتي؛ أنه بين ذراعي امرأة أخرى. في بعض الأحيان أتخيلها شقراء وأحياناً أخرى صهباء وفي مرات أتخيلها نسخة مني لكن أصغر سناً. بغض النظر عن كيف تخيلتها، فقد كان الأمر رهيباً.

قلّ تناولي للطعام، وبتّ أحتسي الشراب بكثرة. تساءلت عن السبب الذي دفعه أن يتخلى عن علاقتنا.

مرت لحظات، أردت فيها أن أؤذيه بقدر ما سبب لي من أذية، جسدياً وعاطفياً، أي شيء يجعله يفكر بما يفعله للفتاة التي أقسم أن يحبها حتى مماته. وفي بعض الأحيان كل ما أردته هو أن يعتذر ويتركها وأن يبقى على حبه لي إلى الأبد.

شعرت أن قلبي كلعبة يويو وككرة لعبة البينغ بونغ ترتد من طرف إلى آخر على الطاولة.

في خضمّ كلّ ذلك كان ذاك الشعور أنني أخفقت بطريقة ما. فأنا

t.me/ktabpdf مكتبة

لـم أكـن زوجـة عذبة كفاية أو ذكية كفاية. شـعرت أنني كنت السـبب بخيانتـه لـي. كنـت غارقـة في فكرة الإخفاق تلـك. أعتقد أن هذا هو سـبب عـدم إخبـاري لأحـد. حالما أنطقها سـيصبح كل الأمر حقيقياً تماماً. سيكون زواجنا قد أخفق.. وأنا أخفقت.

لم نكن أنا ودارن نمارس الحب كما اعتدنا سابقاً. اقتضى الأمر مرة أو مرتين في الشهر. كانت هذه هي الحال منذ أن ولد ليام. حتى أنني لم أتكبد عناء المتابعة على أخذ حبوب منع الحمل. عندما رأيت اسـم ليندا على هاتفه، حصل تناقض في شـعوري بأنني لم أرد حتى أن ألمـس دارن وأننـي فـي نفـس الوقت لـم أرد أن أعطيه حجة ليلجأ إلى أحضان امرأة أخرى.

بعد عدة شهور من متاهة شكّي وبينما كنت أحدق إلى السقف أتخبط بين صور دارن في ذهني وهو يغلق سحاب فستان امرأة أخرى، يعدّل ياقتها أو يلبسها حذاؤها، مددت يدي داخل... . كان نائماً.

"ليس الآن" همهم وهو يبتعد عني. شـعرت بأن أحد ركلني في صدري. فالرفض مؤلم.. مؤلـم جسدياً. كيف له أن يرغب بامرأة غريبة وليس أنا؟ أعدت النظر في كل شـيء فعلته أو قلته، كان شـكي يكبر لكنني لم أصرّح به.

الشيء الوحيد الجيد في اعتقادي أن دارن كان يخونني هو أنني كنت أستغرق بالنوم وأحلم بك من دون أن أشعر بالذنب

بدأت بقراءة منشوراتك على فايسبوك أكثر من السابق في تلك الفتـرة، قمـت بإعجـاب معظم صورك حتى أننـي قمت بالتعليق على مقالة كنت قد نشرتها.

هل لاحظت ذلك؟ هل تساءلت عن سبب قيامي بذلك؟

t.me/ktabpdf

مكتبة

LXVII

هناك شــيء تعلمته وهو أن التوقيت هو كل شــيء؛ في العمل، مع الأصدقاء، في العلاقات العاطفية، وفي حالتنا نحن على الأخص.

كنت في نيويورك لعطلة طويلة في منتصف حزيران، كانت وكالة الأسوشيتد برس سترسلك إلى القدس بعد أن خطفت حركة حماس ثلاثة شبان إسرائيليين. أخبرت الوكالة أنك تريد زيارة أميركا قبل أن تخـوض فـي صراع دولـة جديدة، وكانوا قد قابلـوك بالموافقة. كنت حينها قد أصبحت مصوراً صحفياً مشهوراً لذا أعتقد أن الوكالة كانت تنفذ لك رغباتك. كنت في تلك الفترة في أوكرانيا وموسكو. لا أعلم كيف كنت تفعل ذلك: أن تنتقل إلى دولة جديدة كل بضعة شهور وفي بعض الأحيان كل بضعة أسـابيع. هل كان التنقل يسـاعدك على عدم التفكير بوالدتك وبالأشياء التي لم تعد تملكها؟

أرسلت لي عبر الإيميل أنك ستصل في الثالث عشر من الشهر وسألتني إذا كان من الممكن أن نلتقي. أجبتك:

"أجل" دون أن أفكر بالرجوع إلى دارن.

قررت أنه لا يستحق أن أستشيره. كان يخفي عني أسراراً لذلك لدي الحق أنا أيضاً أفعل ذلك.

كان دارن يخطـط لأن يأخـذ الطفليـن إلـى منـزل والديـه فـي نيوجرسي، فاقترحت أن يأخذهما ذلك السبت دون أن أذهب معهم،

t.me/ktabpdf مكتبة

كي آخذ اليوم للاسترخاء والاعتناء بأظافري وألتقي ببعض الأصدقاء على الغداء، ويمكن لوالدته أن تساعده بالاعتناء بالطفلين.

أجاب: "يبدو هذا جيداً، وهكذا سيتسنى لي الأحد المقبل أن أذهب للعب الغولف."

"اتفقنا" هل كان يقصد ليندا\عندما قال غولف؟ في البداية شعرت بالقليل من الذنب أنني كذبت عليه أو على الأقل لأنني لم آتِ على ذكر خططي معك، لكن عندما قال "غولف" أزحت الذنب عن كاهلي وشعرت أن إخفائي لأمرك له ما يبرره.

راسلتك ذاك الصباح: ما رأيك أن نلتقي في مانهاتن؟ سيأخذ دارن الأولاد إلى نيو جرسي. فمانهاتن كانت حيث نلتقي دائماً.

أجبت: عظيم. ما رأيك أن نلتقي في *Names & Faces*؟ هل لا يزال موجوداً؟ سأتفقد.

ضحكت وانتظرت ردك فأجبت: أجل. إنه موجود. ما رأيك أن أقابلك هناك على الغداء؟

قلت: حسناً. اتفقنا.

ثم بدأت بطلاء أظافري كي يكون هناك جزء حقيقي من كذبتي. لم أكن لأكذب عليه قبلاً. ليس على هذا النحو. لم يعجبني قيامي بذلك. لكن تحقيق جزء منها أراحني قليلاً.

استغرقت نصف ساعة لكي أقرر ما سأرتدي لمقابلتك. كان الطقس مشمساً، لذا كانت الخيارات كثيرة أمامي. فستان، تنورة، بنطال.. لكنني اخترت شيئاً بسيطاً. سروال جينز مع قميص أسود وخف. بالإضافة إلى بعض الحليّ. تبرجت كما كنت أتبرج تبرجاً كالذي كنت أضعه عندما كنا نتواعد: خط كحل على جفوني العلوية.

t.me/ktabpdf مكتبة

هل لاحظت ذلك؟

دخلت إلى Names & Faces ووجدتك جالساً على أريكة بالقرب من المدفأة.

قلت لي: "لم يقبلوا أن نشعلها. قالوا إن إشعالها ممنوع في شهر حزيران".

جلست بالقرب منها ثم قلت: "أعتقد أنهم على حق".

احتضنتك. كان شعرك قد نما مجدداً، وغمازتك موجودة لكن عينيك كانتا منهكتين وتعبتين وكأنهما رأتا أكثر من طاقتيهما. فسألتك: "هل أنت بخير؟".

"أظن أنني بتّ كبيراً في السن على هذا العمل. كنت أفكر في ذلك للتو، فأنا وللمرة الأولى لا أشعر بحماس لمهمتي هذه". ثم نظرت إليّ بتمعّن وسألتني: "لكن هل أنتِ بخير؟".

لم أكن قد نطقت بكلمة عن الأمر لأي أحد بعد، لكن معك شعرت بالارتياح بالإضافة إلى أن تواجدك في حياتي كان متقطعاً لذا لن يكون هناك أحد لتخبره بالأمر. لذا لم يكن هناك مجال لنصبح أنا ودارن موضع نميمة.

"أظن أن دارن يخونني". همست محاولة أن أمنع دموعي، لكنني لم أستطع. ضممتني إلى صدرك، ولم تقل شيئاً، واكتفيت بأن حضنتني ثم قبّلت جبيني.

"إذا كان ذلك صحيحاً، فهو شخص غبيّ ولا يستحقك، لأنك أروع امرأة قابلتها في حياتي وأكثرهنّ إثارة".

أبقيت ذراعيك حولي، بينما أطلب شراب المارتيني بالتفاح، وأنت طلبت كأساً من الشراب كما الأيام الخوالي. اتكأت عليك

بينما تحتسي المشروب وطلبنا إعادة ملء كأسينا. كان شعور أن يكون جسدي بالقرب من جسدك جميلاً جداً. تذكرت ذاك الحلم الذي عزوته للحمى، ذاك الذي كنا فيه نعدّ الكعك المحلى ونحن نرتدي ملابس نوم عيد الميلاد، وتساءلت كيف سيكون الشعور إن أتيت إليك كل يوم بعد العمل، إلى عطفك، إلى قوتك وتفهّمك. بدأ رأسي يعج بالتخيلات.

"يجب أن أتناول الطعام. فأنا لست معتادة على الشرب بهذه الكمية وبهذه السرعة؟".

طلبنا وجبة من قطع جبنة الموزاريلا المقلية وطبقاً من الشطائر الكوبية. كانت تلك أطعمة لم أتناولها منذ سنين، لكنني التهمتها محاولة أن أزيل مفعول المشروب. ومع ذلك عندما نهضت لأذهب إلى الحمام اضطررت لأن أستند على رأسك لأتوازن.

"هل أنت بخير؟" سألتني للمرة الثانية في ذلك اليوم وأنت تضع يدك خلف ظهري لتساعدني على التوازن.

"لم أكن أفضل حالاً منذ شهور".

في دورة المياه، بقيت أفكر كيف شعرتُ حين احتضنتني، وكم شعرت بالجفاء من دارن وكمية الألم التي كنت أكبتها طوال الفترة الماضية.

كنت أفتقد تلك الحميمية. شعرت بحنانك. أغلقت عينيّ، وتخيلت شفتيّ تلامس شفتيك، ذلك الشعور الدافئ. تخيلت أنني أسلمك نفسي كليّاً، كما في السابق حين كنت أسلّمك جسدي وأترك لك زمام الأمور. أردت فعل ذلك وكنت بحاجة إليه. كنت أحاول جاهدة ألّا تنفلت الأمور وأن أبقى متماسكة، لكنني لم أفلح. فبتّ

بحاجة إلى شخص آخر كي يستلم زمام الأمور. كنت بحاجة إلى أن نكون أنت من يستلم زمامها.

عندما عدتُ من دورة المياه، كنت قد دفعت الحساب وقلت لي: "ما رأيك أن نتنزه في الحديقة؟ ويمكننا أن نشرب بعض الماء في طريقنا".

"حسناً". أجبتك بينما أمد يدي نحوك. أمسكت يدي ثم وقفت. كانت لمستنا مشحونة بالمشاعر. تباطأ تنفسي إلى أن بدأ يحاكي تنفسك، ثم اقتربت خطوة نحوي.

بدأتُ بالكلام: "غيب..." ثم تركت يدي وأزحت نظرك وقلتَ: "أنا آسف.. لقد تماديت".

قلت مجدداً: "غيب" محاولة إيصال معنى جملة كاملة من خلال تلك الكلمة. نظرتَ إليّ مجدداً، وفي تلك المرة لم يبعد أي منا نظره عن الآخر. رفعت يديّ لألمس شفتيك فقلت وأنت تمسك يديّ: "يجب ألّا نفعل ذلك".

بعد ذلك، لا أعلم من الذي بادر، ربما كلانا بادر في الوقت عينه، كل ما أعرفه هو أن شفتيّ كانتا تلامسان شفتيك وفي تلك اللحظة شعرت أن كل شيء عاد إلى مكانه الصحيح مجدداً. ضممتني بقوة إلى أن أصبح جسدانا متلاصقين؛ صدري على صدرك وساقاي تلامسان ساقيك.

همستُ قائلة: "أين هو الفندق الذي تنزل فيه؟".

"أنزل في فندق ورويك في الجادة السادسة. لكن يا لوس.."

"لا بأس". في تلك اللحظة لم أرد شيئاً أكثر من تلك اللحظة في حياتي.

قبلتـك مجـدداً، فتنهـدتَ، ثم وضعت يـدك في الجيب الخلفي لسروالي كعادتك.

عندما وصلنا إلى غرفة الفندق، أعتقد أنك كنت قد سألتني أربع مرات إذا ما كنت متأكدة مما أريد أن أفعل. وكنت أجيبك بالإيجاب في كل مرة تسألني فيها.

كنت ثملة لكن ليس لدرجة ألا أكون مدركة لما أرغب.

فسألتك أخيراً: "هل ترغب في فعل ذلك؟".

"بالطبع، لكنني لا أريدك أن تندمي على هذا".

قبلتك بقوة وكثفّت تركيزي على ذلك الطعم؛ غيب زائد الشراب الإسكتلندي كان مذاقاً أعرفه جيداً.

"لوسـي لوسـي لوسي لوسي". همست اسمي وكأنك لم تصدق أنـه أُتيـح لك أن تنطقه مجدداً. أمسـكت طـرف قميصي وأنا وضعت يديّ على يديك بوعيي الذي عاد فجأة.

همست لك: "جسدي لم يعد كالسابق".

فسحبتَ قميصي من فوق رأسي وقلتَ: "جسدك مثالي".

نزعنـا الملابـس عـن بعضنا ثم حملتني ورميتني على السـرير.. تلك الحركة التي اعتدت أن تقوم بها منذ إحدى عشرة سنة. شددتك إليّ بيديّ فشـعرت بعضلات ظهرك تتقلص تحت أصابعي. ظل ذاك الشـطر من قصيدة الشـاعر إدوارد إيسـلين كامينغز، يتكرر في ذهني: أحب جسدي عندما يكون مع جسدك.

وبالفعـل يـا غيب، أشـعر بحال أفضـل عندما أكون معك. أحب نفسي أكثر عندما أكون معك.

"لا أحد يضاهيك". همست في أذني بينما ... "لا شيء يضاهي

t.me/ktabpdf مكتبة

هذا الشعور".

أجبتك وأنا أطلق أنيناً وظهري يتقوس: "لا أحد". ثم تنهدت وأكملت: "لا شيء".

بعد أن انتهينا، استلقينا عاريين على الملاءة. جسدك ملتف حول جسدي كما اعتدنا أن نفعل. كانت يدك على بطني. فكّرت في أول مرة ذهبنا فيها إلى *Names & Faces*، وفي الرحلة إلى منزلك بعدها وإلى اعترافاتك التي نطقت بها في الظلام.

"ماذا لو أنك تأتين معي إلى القدس؟".

"ماذا لو أننا نسافر على طول قوس القزح وصولا إلى القمر ونرقص".

قلت: "أنا جاد" بينما كنت تقبّل عنقي.

ها نحن نعيد نفس الموقف، لكن هذه المرة أظن أنه يمكنني فعل شيء حيال عملي، يمكنني أن أعمل من بلد إلى آخر، ربما عن طريق قمر صناعي، لن يودّوا التخلي عني.

عضضت بأسنانك على... وقلت: "جمال خلّاب"

اقتربت من وجهك ثم قلت: "لا أستطيع، إنك تعلم ذلك. لا أستطيع ترك طفليّ، ومن المستحيل أن يسمح لي دارن أن آخذ الأولاد إلى القدس، وخاصّة إذا عنى ذلك أن آخذهما إليك".

شبكت يدي بيدك وتابعت: "لكن لو كان الأمر عائداً لي وحدي لكنت ذهبت في لمح البصر".

ما زلت لا أصدق أنني نطقت بتلك الكلمات، وأنني كنت أفكر بجدية في عرضك بعد قضاء فترة ما بعد الظهر معك في السرير. لكن الوقت لم يكن بعد الظهيرة، صحيح؟

كان بعد الظهيرة منذ ثلاث عشرة سنة، وكنت أعتقد أن دارن لم يعد يريدني، وأنه وجد فتاة قد طابقت جميع المواصفات على لائحته الجديدة.

لم تنطق بكلمة، بل اكتفيت بأن تحني رأسك وتدوّر لسانك على ...، شعرت به... فقلت: "مرة ثانية؟"

رفعت رأسك عن ... وقلت: "تجعلني أشعر وكأن عمري ثلاثة وعشرين عاماً".

"إذاً مرة ثانية".

فأجبت بأنك قبلّت معدتي و.... .

شعرت وكأننا نجمان يحومان أحدهما حول الآخر دون أن تعترضهما أي كواكب أو نيازك. كان يجدر بي أن أفكر بطفليّ وزوجي لكنني لم أكن أفكّر سوى بك وحدك وكيف كنت تُشعرني، وكيف أنه رغم كل تلك السنين من الفراق، كان الرابط حينها بيننا أقوى مما كان عندما كنا في الرابعة والعشرين من العمر، كان كلانا قد تغيّر، لكن بطريقة جعلتنا ملائمين لبعضنا أكثر. تكلمنا عن حالنا سوية، وعن الاستمرار بالتواصل، وعن إمكانية زيارتك في القدس. أدخلت عنوانك الجديد في هاتفي.

"أريد أن أراك مجدداً، كهذه المرة" قلت بينما كنت تمرر يدك على جسدي العاري.

أصابت القشعريرة جسدي من كتفيّ حتى أخمص قدميّ. اقتربت منك ووضعت ذراعيّ حول صدرك وقلت: "وأنا أيضاً، لكن لا أعرف كيف سنتدبر الأمر".

"إذا كان يخونك فيجب عليك هجره". قلت وأنت تسند ذقنك

على رأسي، "يجب أن تكوني معي أنا".

قبلت عنقك ثم تنهدت، أثار الاستلقاء بالقرب منك الإدمان فيّ. شعرت بأن فورة غيب في نفسي قد عادت، عاد إدماني عليك. كان عليّ أن أعود، وأبدأ من الصفر بإزالتك من تفكيري، لكن هذه المرة لم أرد ذلك. قلت لك: "ليس الأمر بهذه السهولة، لكن سأفكر بحجة لكي أسافر إلى القدس من أجل العمل، أو ربما إلى لندن مثلاً؟ هل يمكنك الذهاب إلى هناك؟".

أجبت بينما كنت تشد ذراعيك حولي "يا لوسي.. سأذهب إلى أي مكان. لم أفكر يوماً أني سأحظى بفرصة ثانية معك، ولن أفسد الأمر هذه المرة.. أنت نوري، ولطالما كنت كذلك".

أجبتك بهدوء محاولة أن أستجمع كلماتك: "أعلم ذلك. لكنني مسؤولة عن أشخاص آخرين، وهذا جزء من سبب عدم تكلمي مع دارن بشأن تلك المرأة. كيف سيتلقى الطفلان الأمر إذا ما غادر والدهما؟ فقد آلمك أنت ووالدتك رحيل والدك، صحيح؟".

ساد الصمت لبرهة ثم كسرته قائلاً: "لكن ماذا ستكون العواقب إذا ما بقيتِ معه؟".

اقتربت منك أكثر ثم قلت: "إنهم أكثر أهمية منّي، لكن ربما لدارن أن يبدأ بالأمر. لنرى ماذا يخبئ لنا القدر".

"انتهزي الفرصة التي يجلبها لك التيار".

ابتسمت لذلك التعبير وقلت: "دائماً ما ينتهي بنا المطاف مقتبسين من شكسبير، أليس كذلك؟".

ثم تابعتَ الاقتباس: "سأتذكر الأيام الخوالي في رحاب صمت الفكر. عندي كتاب لقصائده أبقيه في حقيبة ظهري. فقد قرأت

لشكسبير خلال كل محنة اعترضتني، وهذا الشطر هو المفضل لدي لأنه يجعلني أفكر بك أينما كنت".

كنت تحت رحمتك مجدداً يا غيب، لأنه على الرغم من أنك تغيرت، فهنالك جزء منك لم يتغيّر أبداً، وذلك الجزء منك- الذي حفظ كلمات شكسبير عن ظهر قلب- جعلني أشعر بالشباب والأمل وأنني لا أقهر.

فكرت للحظة أن أطلب منك أن تبقى. تساءلت ما إذا كان لجوابك أن يختلف هذه المرة عما كان منذ عشر سنوات، كنت خائفة أنه لن يتغير وأن سؤالي سيعكر صفو جمال تلك اللحظات. قلت لي: "سأدعك تفكرين في الأمر. سأعطيك بعض الوقت".

"أظن أن هذا هو الحل الأفضل". لكنني تمنيت ضمنياً لو أنه لم يكن كذلك.

أمسكت بيدي وقلت: "لكنك تعرفين أنني سأفكر بك على الدوام".

"وأنا أيضاً" قبّلنا بعضنا قبلة الوداع، ثم استقللت القطار عائدة إلى المنزل وتفكيري ما زال يدور حولك.

LXIX

هناك أشكال عديدة للأسرار، فهناك الأسرار المحببة التي يكون تأثيرهـا مثـل طعم السـكاكر، وأخرى تأثيرها كتأثيـر القنابل يمكن أن تدمر عالمك، وهناك الأسرار المشوقة التي تستمتع بها عندما تشاركها مع الغير. على الرغم من أن سـرّنا كان أشـبه بالقنبلة، فقد كان محبباً إلـيّ. عـدتُ إلـى المنزل واسـتحممت وأنا أفكر بلمسـتك وكلماتك وبجسدك الملتصق بجسدي. ارتديت قميصاً قديماً لجامعة كولومبيا، القميـص الـذي كنـت أرتديه عندمـا كنا نعيش سـوية، وبنطالاً ضيقاً، وبدلاً من أن أفتح حاسوبي وأجيب على الرسائل الإلكترونية، أخذت نسخة رثّة من كتاب *Lady Chatterley's Lover* لم أكن قد قرأته منذ أيام الدراسة الجامعية، لا أعلم كيف بقي متماسكاً طوال تلك السنوات، لكننـي كنـت سـعيدة بصمـوده. فتحـت الفصل الخامس عشـر: جون تومـاس وليـدي جانيـت. هل تذكره؟ إنه الفصل الذي به تهرب ليدي شـاتيرلي مـع ميلـروز إلى كـوخ الحديقة حيث يعلّـق أحدهما للآخر الأزهار على شعر .... لطالما وجدت ذلك المشهد مثيراً.

قضيـت السـاعة التاليـة أقرأ عن كوني، ميلـورز، هيلدا وفينيس. فكرت في فترة ما بعد الظهيرة تلك، كيف أنها تشبه الليلة التي قضاها ميلـورز وكونـي قبـل أن تسـافر إلى إيطاليا. ثم سـمعت صوت مفتاح دارن. "أمي". صرخت فايوليت وهي تدخل المنزل.

ردد ليام خلفها "أمي، أمي". قفزا على الأريكة حيث كنت جالسة فقبّلت رأسيهما.

قال لي ليام: "أخبرنا أبي سراً".

قالت فايوليت: "صه! لا ينبغي أن نقول السرّ لأحد. أتذكر؟! إنه سرّ منذ وقت طويل ولم يكن ينبغي أن نعلم بالأمر".

أضيء اسم ليندا مجدداً في رأسي. من المستحيل أن يكون قد أخبرهما بالأمر؟ أم ماذا؟!

وضع دارن حقائب الطفلين عند مدخل غرفة المعيشة وقال: "بقيا صامتين طوال ثلاثين ثانية!".

فقالت فايوليت: "لم نخبرها يا أبي، أبقينا على الوعد، صحيح يا ليام؟".

همهم دارن ثم صعد على الدرج، فقلت له: "مهلاً انتظر! هل لي أن أعرف ما هو السر أم لا؟".

"بلى، سأحضر شيئاً لأريك".

جبرت نفسي على النطق وقلت للطفلين: "كيف كان يومكم؟".

أجابت فايوليت: "أخذنا جدي وجدتي إلى الحديقة. تذكرينها صحيح؟ إنها أصغر من الحديقة في حيّنا لكن يوجد فيها متاهة بجدران عالية جداً".

"أجل أذكر، وفيها لعبة الميزان أيضاً". فأومأت برأسها موافقة.

قال ليام: "لعبنا لعبة الميزان".

أجابت فايوليت: "لكنه أصغر مني حجماً لذلك كان على أبي أن يساعدنا كي لا أبقى في الأسفل" نزلت فايوليت عن الأريكة وقالت: "سأذهب لألعب بالدمى". وقال ليام بعدها وهو يقفز بدوره عن

t.me/ktabpdf مكتبة

الأريكة: "سأتفقد مكعبات الليغو خاصتي".

لحقت بهما إلى الأعلى لأجد دارن. كان في المكتب- الغرفة التي لم ينفك يذكرني أنها ستكون للطفل الثالث في حال أنجبنا طفلاً آخر- كان حاسبه مفتوحاً، قال بينما يفتح بضع نوافذ عليه: "الأولاد! لم أكن أخطط لأن أخبرك قبل أن أنهي العمل عليه، لكنهما سمعاني أكلم أبي بالأمر. كنت أحاول توقيت الأمر مع ذكرى زواجنا، هل تصدقين هذا! سنكمل العشر سنوات".

"ثماني، سنكمل السنة الثامنة في شهر تشرين الثاني".

ابتسم دارن وقال: "عشر سنوات منذ لقائنا أول مرة" ثم أدار إليّ الحاسوب وقال: "اشتريت المنزل".

وجدت صعوبة بفهم ما كان يقول.

"ماذا؟!".

"هذا هو السر، كنت ألاحق هذا المنزل بعد أن ولدت فايوليت. أردت أن أشتري المنزل الذي التقينا فيه، واستطعت أخيراً أن أقنعهم أن يبيعوه لنا في شهر كانون الثاني".

كنت لا أزال أصارع نفسي كي أستوعب ما كان يحصل. وقف دارن وأمسك بيدي: "أعلم أن الأمور لم تكن جيدة هذه السنة، لكننا كنا سعداء الصيف الماضي الذي قضيناه في إيست هامبتون، وظننت أنه مع هذا المنزل...".

تجمعت الدموع في عينيّ. قلت وأنا أشد على يده: "يا إلهي!".

كان لا يزال يحبني وأراد أن تنجح علاقتنا. لم أكن متأكدة من ذلك حتى تلك اللحظة. لكن هذا جعل علاقته بتلك المرأة مربكة. لماذا يفعل ذلك بينما يخطط لهذا.

شدّ على يدي بدوره قال: "كنت أتواصل سراً مع سمسارة عقارات، سيدة مسنة لطيفة تُدعى ليندا، منذ بداية الخريف. عندما قلت إنني ذاهب للعب الغولف مع أصدقائي في عطلة نهاية الأسبوع في شهر آذار الماضي، في الحقيقة ذهبت معها لنعقد صفقة على المنزل".

سمسارة العقارات؟! شعرت بالغثيان. طوال تلك الأشهر سمحت لنفسي أن أعتقد أنه يخونني. شكّلت صورة جديدة عن دارن، ماذا أراد وكيف خانني. ظننت أنني أعرف ما يجري، ظننت أنني فهمت ما يجري، وأنني كنت أفهمه بطريقة لن يستطيع أن يفهمني فيها. لكن تبين أنني مخطئة.

"والآن يتم ترميمه بينما نتكلم. فقد كان المنزل عتيقاً جداً عندما رأيته. إذاً.. هل تفاجأتِ؟ هل توقعتِ أي شيء؟".

فكّرت بدارن الذي وقعت في حبه، الذي أضحكني، الذي قد يزيل الغيوم لتشع الشمس. على الرغم من أنني لم أستطع تذكر آخر مرة ضحكنا فيها كثيراً وكان دارن موجوداً فتجاهلته. كنت أوجّه تفكيري على السلبيات بدلاً من الإيجابيات طوال الفترة التي كان يحاول فيها شراء المنزل حيث التقينا أوّل مرة. كان يحاول إصلاح الأمور، لكنه قام بذلك بطريقة كنت قد أكدت له مراراً وتكراراً ألا يلجأ إليها أبداً. كان قد أبعدني مجدداً عن قرار كبير.

كان الأمر مؤثراً وبدأت بالبكاء. فسألني دارن: "هل أعجبك؟ هل هذه دموع فرح؟".

"إنه جميل" أجبته بينما كنت أمسح عينيّ. شعرت أن الندم يأكلني. ضمني دارن وهمس لي: "دائماً الأفضل لك".

ركل الباب ليغلقه، ثم قبّلني بشغف لم أشعر به منذ مدة طويلة، فقبلتـه بـدوري. وللمـرة الثانية خلال خمس سـاعات، نزع رجل عني قميصي. للمرة الثانية يضع رجل فمه على ...، وللمرة الثانية شعرت ... على ساقي. لكن في تلك المرة، وعلى الرغم من أن جسدي كان يستجيب، لم أشعر بشيء.

"لا أحـب إبقـاء الأسـرار عنـك" قـال دارن بينمـا يعيـد إلباسـي قميصـي: "لكـن ردة فعلـك كانت تسـتحق ذلك. مـا رأيك أن نذهب لتفقد المنزل الأسبوع المقبل؟".

"فكرة جيدة" قلت بينما أمسح الدموع من عيني وأتأكد من وجود ابتسامة على وجهي.

قبّلنـي مجـدداً، ثم فتـح الباب ونادى الطفليـن: "والدتكما تعلم بأمر منزلنا الجديد. ما رأيكما أن نحتفل بتناول البيتزا؟".

لم أكن قادرة على تناول حتى قضمة واحدة.

LXX

صباح أحد أيام الإثنين، حاولت أثناء العمل وضع كل شيء جانباً؛ أنت، غرفة الفندق، دارن، المنزل الصيفي، وحاولت التركيز على البرنامج الذي كنت أصممه. لم أكن قد أعطيته اسماً بعد، لكن كان الهدف أن أستضيف موسيقيين مشهورين ليؤلفوا أغاني تعرّف الأطفال إلى أنواع الحكم. كان من المفترض أن تكون الحلقة الأولى عن نظام الحكم الملكي. كنا نخطط مع إلتون جون ليؤلف أغاني تلك الحلقة. أساس الفكرة كان عندما قالت لي فايوليت شيئاً يوم الانتخابات؛ أرادت أن تعرف لمن كنت سأصوّت لتصبح الأميرة.

لكنني لم أستطع التركيز على إجراء الاتصال مع مدير أعمال إلتون جون، ولا على الملاحظات التي كنت أدوّنها على نص الحلقة. احتجت لأن أكلّم أحداً عمّا حصل معنا أنا وأنت، ومعي ومع دارن، لكنني شعرت بالخجل. كنت متأكدة أن أخي سيظل يحبني وأن كايت ستبقى صديقتي المقربة، لكنني لم أرد أن تتغير نظرتهم بي ولو قليلاً عندما أريهم ما اقترفته يداي. لكن كان ذلك متوقعاً لأنني لو كنت مكانهم لكانت تغيّرت نظرتي.

من المحتمل أن تتفهم جوليا الأمر، ربما لأننا حين ذهبنا إلى معرضك سوية سألتني عنك. وبما أنها لم تكن متزوجة بعد، لن يزعجها الأمر كما كايت وجايسون.

t.me/ktabpdf مكتبة

اتصلت بها إلى العمل، فقالت فوراً عندما أجابت على اتصالي: " كنت سأتصل بك.. عندي خبر..". مددت شريط الهاتف كي أنظر من الشباك قلت: "هل هو خبر جيد؟".

"بل خبر رائع.. أعطيت صباح اليوم إشعاراً في العمل".

"هل حصلت على عمل جديد؟".

كانت جوليا تبحث عن عمل في الأشهر الماضية، لكن منصب المنتج الفني كان نادراً، خصوصاً لأنها لم ترِد أن تترك مجال كتب الأطفال.

"أجل" استطعت أن أسمعها تبتسم عبر الهاتف: "إنك تكلمين المنتج الفني الجديد لسلسلة كتب *Little Golden Books* لدى دار راندوم هاوس. سأبدأ العمل بعد ثلاثة أسابيع"

"تهانينا.. هذا رائع. فايوليت تحب كتب *Little Golden Books*، لدينا العشرات منها".

"أخبريني إن كان هناك عناوين محددة تريدها، لأنه حالما أبدأ بالعمل سيتسنى لي أخذ نسخ زائدة". دائماً ما تغدق جوليا على طفليّ بالهدايا. فمعظم كتبهما هي جلبتها لهما.

قلت: "شكراً. أنا متأكدة من أن فايوليت ستحب ذلك".

"اتصلتِ بي لتخبريني شيئاً.. لكنني خطفت المكالمة منك".

"لا، لم تخطفي أيَ شيء. اتصلت لألقي التحية فقط".

لم أستطع أن أفعلها. لم أستطع الاعتراف حتى لجوليا بما اقترفته، بما سمحت لنفسي أن أفعل، ما قلته لك وكم كنت مخطئة. وبالطبع لم أستطع الاعتراف، رغم كل شيء، أنني كنت لا أزال أرغب بهجر دارن لأكون معك أنت. أنت الوحيد الذي يشعرني بأنني على

t.me/ktabpdf مكتبة

قيد الحياة يا غيب. لا أعلم حتى ما اذا كنت قادرة على أن أصف الأمر. العالم بأسره يبدو أوسع ومليئاً بالإمكانيات عندما تكون بالقرب مني، أبدو أذكى وأكثر إثارة وجمالاً. كنت تراني بعين لم ينظر إليّ أحد بها سواك. فهمتَ من أكون في صميمي. لم ترد أن تغيرني بل أردتني لما أنا عليه. أما دارن فأرادني رغم ما أنا عليه. أعتقد أن هذا هو أدق وصف للأمر.

لقد استهلكت كلّ ذرة طاقة عندي في سبيل ألا أستسلم لرغبتي، وألا أتصل بك وأكون معك، لكنني لم أكن لأسامح نفسي إذا ما تسببت بأذية طفليّ يوماً حتى لو عنى ذلك أن أتخلى عن ذلك الشعور إلى الأبد.

LXXI

خلال الأسـبوع الذي تلى لقائي بك، حاولت جاهدة أن أبقيك بعيـداً عـن تفكيـري. لكـن الأخبار حـول الأحداث التـي كانت تدور بين غزة وإسـرائيل كانت تعج بها الصحف والإنترنت. وكأن الكون يقول لي: إنه موجود. فكّري به. وكان ذلك. فتّشـت كل الصور بحثاً عـن اسـمك. فوجدتـه على صـورة ملفتة للنظر؛ كانت لخمس نسـاء محجبـات ينتحبـن. واحـدة منهـنّ تمد يدها وكأنهـا تريد أن توقف ما كان يحصل خارج إطار الصورة. قرأت أنها كانت صورة لجنازة ولد فلسـطيني مقتـول. لـذا علمـت أنك غادرت القـدس وكنت حينها في غزة.

بعد بضعة أسابيع من ذلك، بدأ الإعلام يطلق على ذلك النزاع، مصطلح الحرب. فصرت أتابع التلفاز مذعورة من المعارك الطاحنة التي أشاهدها أمامي. كان هناك العديد من الأطفال. بدا بعضهم بعمر فايوليت ومنهم بعمر ليام.

شـاهدت صحفيـة تجـري مقابلـة مع امرأة تشـرح كيـف أنها لا تـدع أولادهـا الثلاثـة ينامون فـي غرفة واحدة، كـي لا يقتلون جميعاً في الوقت نفسـه في حال ضربت قنبلة أحد أجزاء المنزل. ثم رأيت العائلات التي لم يعد لديها منزل نهائياً.

"هل تريدين مشـاهدة مسلسـل *CSI*؟" سـألني دارن وهو يجلس

t.me/ktabpdf مكتبة

بالقرب مني على الأريكة وأنا أشاهد الأخبار.

"أجـل". أجبتـه بينمـا كنت أبـدّل القناة. لم أسـتطع التركيز على البرنامج، فقلبي وفكري بقيا في غزة.

LXXII

كنت في العمل حين اتصلت بي.

أجبت باسمك: "غيب".

"لا أستطيع فعل هذا بعد الآن. سأعود إلى الوطن".

تسارعت ضربات قلبي: "ما الذي يحصل؟".

"لم أر شيئاً كهذا في حياتي. النساء، الأطفال". تقطع صوتك ثم تابعت: "لا أنفك عن التفكير بك، وفي الوقت الذي قضيناه في واروبك. كنت مخطئاً عندما طلبت منك القدوم معي إلى القدس. كان عليّ أن أقترح بقائي في نيويورك. هل دارن لا يزال مع ليندا تلك؟ هل تحدثت معه بهذا الشأن؟".

توقف تنفسي.. هذا ما أردت.. ذلك كان العرض الذي أملته.. لكن لم يعد هذا يهم.. ماطلت لأجيب وقلت: "إنك تبلي بلاء حسناً هناك يا غيب. رأيت صورك في نيويورك تايمز. إنك تُري العالم ما يجري. إنك تعيش حلمك".

سمعتك تأخذ نفساً متقطعاً ثم قلتَ: "ظننت أنني قادر على أن أحدث فرقاً حقيقياً.. لكن هذه مجرد صور يا لوس.. لم تغير أي شيء. العالم لا يزال على خرابه. والآن.. أشعر وكأنني أضحي بالكثير. أفتقدك وأفكر بك طوال الوقت".

"أنا أيضاً اشتقت إليك. لكن يا غيب.. إذا عدتَ، لا يمكنني أن

t.me/ktabpdf مكتبة

أعدك.. لا تأتِ من أجلي.. لا تجعلني أختر. لم يكن دارن يخونني.. لقد اشترى لي المنزل الذي التقينا فيه لأول مرة. وكانت ليندا هي سمسارة العقارات". تحطم قلبي عندما نطقت بتلك الكلمات لكن ذلك كان التصرف الصحيح، لطفليّ وحياتي. كان عليّ أن أفكّر بمسؤولية وأن أركّز على زواجي وأن أحافظ على عائلتي. أنصت إليك تتنهد وانتظرت ردك. مكتبة

ثم قلتَ بهدوء: "هل هذا ما تريدينه يا لوسي؟ هل سيصلح ذلك كل شيء؟"

أغلقت عيني وأجبت: "لا. هذا ليس ما أريد. لكنها بداية. أخبرتك أنني لن أترك طفليّ. لن أفكك عائلتي".

تخيلت ألمك الذي كنت متأكدة من أنه غطى ملامحك حينها. حاولت أن أقسّ قلبي.

"أعتقد أنني بحاجة إلى أن أعود بكل الأحوال. سأقدم إشعاراً للوكالة على أمل أن أعود إلى الوطن بحلول الصيف. لن أنتظر منك شيئاً.. لكن الحياة قصيرة يا لوسي وأريدك أن تكوني سعيدة.. أريد أن نكون سعداء".

لم أعلم بما أجيب.. فأنا أيضاً أردت أن نكون سعداء.. لكنني لم أجد طريقة لنحقق تلك الأمنية. فقلت: "حسناً. انتبه لصحتك. سنتكلم عندما تعود".

"أحبك يا لوسي".

لم أستطع ترك كلماتك معلقة هكذا.. ليس وأنا أشعر بالشعور ذاته. همست لك: "وأنا أيضاً.. أنا أيضاً أحبك يا غيب". لطالما أحببتك.

ثـم اسـتدركت أنـني أحـب دارن أيضـاً.. لكـن ما أشـعره معك مختلـف تمامـاً. لـو أنك لم تكن موجـوداً في حياتي منذ البداية لكان دارن كافيـاً لـي. لكنني قضمت قضمة من الفاكهة المحرمة.. تناولت من ثمار شجرة المعرفة.. علمت كم هناك من المزيد.

علمـت أنـه ينبغـي عليّ أن أنسـى كل ذلـك، وأن أتجاهل كيف سيكون الأمر.. لأن مبرر أن أحب غيب أكثر لم يكن سبباً كفيلاً بأن أدمـر عائلتـي وزواجي من شـخص حسـن الأخـلاق وكريم. لم يكن سـبباً مقبـولاً لأن أفعـل هـذا بطفليّ. أخذت باقـي اليوم عطلة. عدت إلـى المنـزل وانتهـى بي الأمر نائمة على الأريكة وبيدي نسـخة *Lady Chatterley's Lover*.

LXXIII

هناك بعض الأشياء نعلمها دون علمنا بذلك.

كان عليّ إدراك الأمر عندما غفوت في سرير ليام في الساعة الثامنة والنصف بينما أقرأ له قصة *If You Give A Mouse A Cookie* (إذا أعطيت الفأر كعكة)، وعندما تأخرت دورتي الشهرية خمسة أيام ومن ثم عشرة أيام.

لكنني لم أدركه إلى أن استيقظت يوماً وكنت على وشك أن أتقيّأ. وصلت إلى سلة المهملات بالقرب من المنضدة قبل أن أصل إلى الحمام.

سأل دارن من السرير: "يا إلهي! هل أنت مريضة؟".

مسحت فمي بيدي بينما تفكيري يستجمع المعلومات بسرعة: "أظنني سأختار كلمة حُبلى. هل يوجد اختبار حمل في الخزانة؟؟"

ربطت الكيس البلاستيكي الذي كان في سلة المهملات تلك بينما أستجمع المعلومات في رأسي. عددت الأسابيع. كنت متأكدة أنني لم أكن في مرحلة الإباضة عندما كنت معك ولا عندما كنت مع دارن لاحقاً ذلك اليوم. لكن لابدّ وأنني كنت مخطئة. توهّج جسدي حرّاً عندما توقف تفكيري عند سؤال واحد: من والد الطفل؟

"انتظري.. هل أنت جادة؟".

t.me/ktabpdf مكتبة

"بجدية حادثة الرمي في براغ". أجبته محاولة إخفاء الصدمة والذعر على وجهي.

قفز دارن عن السرير وحضنني بقوة. قال: "هذا رائع. سنملأ المنزل بمخلوقات بشرية صغيرة! تعلمين أنني أردت المزيد من الأولاد. لا بد وأن منزلنا الجديد يجلب الحظ".

أجبته: "أجل". بينما أفكر في العكس تماماً. رأسي يدور.. هل أخبره أم لا؟ ماذا سيحصل إن أخبرته.. هل سيهجرني؟ هل سيطردني من المنزل؟ هل هكذا ستكون نهاية عائلتنا؟ مشتعلة هكذا؟ لم أستطع إخباره.. لكن ماذا لو كان ذلك طفلك أنت؟ كيف سأدعه يربي ابنك؟

"سأتقيأ مجدداً". أخبرت دارن بينما كنت أركض إلى الحمام. لم أصدق أن تلك كانت حياتي. شعرت وكأنه مسلسل درامي.

علمت أنك قادم إلى نيويورك قريباً لذا قررت أن أنتظر قليلاً بعد.. لم يكن عليّ إخبارك.. على الأقل ليس على الهاتف.

تمنيت لو أنني اتخذت قراراً مختلفاً. لو أنني علمت أن وقتنا محدود، لو علمت أن المطاف سينتهي بنا هنا.. هكذا لما كنت وصلت لذلك اليوم. أتمنى لو أنني أستطيع العودة بالزمن إلى الوراء لأقوم بتلك المكالمة. ربما لكنت تمكنت من العودة، ولما حصل لك ما حصل.

t.me/ktabpdf مكتبة

LXXIV

هنالـك العديـد مـن اللحظـات التي قد تغير حيـاة طفل لم يولد بعـد. البعـض قـد يرد تلك اللحظات إلى قـرار اتُخذ، والبعض الآخر قد يعزيه للقدر أو ... ما شئت.

لا أعلم كيف أنني أتصارع مع هذا السؤال منذ ثلاثة عشر عاماً.

فـي يـوم الثلاثـاء ذاك، كنت في سـيارة الأجرة في طريقي إلى العمل. ربما بسـبب الشـك أو الذنب أنني لم أخبرك بالأمر بعد، لكن شـعور الغثيان كان رهيباً في الأسابيع القليلة بعد أن علمت بأمر حملي. كان سيئاً لدرجة أنني لم أرد المخاطرة والذهاب بالقطار كي لا ينتهي بي الأمر أتقيأ على أحد الركاب الجالسين بالقرب مني، لذا كنت أستقل سيارات الأجرة.

اقتـرح دارن أن يوظـف سـائقاً ليقلني مـن والى العمل، لكن بدا ذلـك مبالغـاً فيـه. لذا كنت أوقف سـيارة أجرة كل صباح وأحياناً عند عودتي إلى المنزل أيضاً.

من أطلق تسمية غثيان الصباح من المؤكد أنه كان شخصاً تفاؤلياً.

اضطررت لأن أحمل أكياساً بلاستيكية معي أينما ذهبت.. لكن حتى ذلك الوقت لم أكن قد تقيأت في سيارة أجرة... أما مكتبي فله قصة أخرى. أظن أنني أرهبت مساعدتي من فكرة الزواج.

كنـت أتنفـس ببـطء، عبر أنفـي أو فمي محاولة تهدئة جسـدي،

t.me/ktabpdf

مكتبة

ثـم رن هاتفـي. كان رقمـاً غريباً. أجبت في حال كان الاتصال يخص فايوليـت أو ليـام. الأمومـة غيّرت من عادتـي في التردد بالإجابة على الأرقـام الغريبـة. آخـر شـيء أريده هو ألا أجيب علـى الهاتف عندما يكون أحد أولادي بحاجتي.

"أجل؟".

"هل أنت لوسي كارتر ماكسويل؟"

"أجل". أجبت، على الرغم من أنني لم أستخدم اسـمي الكامل هذا إلا على فايسبوك.

"أنا إريك وايس. محررٌ تنفيذيٌ من الأسوشـيتد برس. أنا زميل غابرييل سامسون".

"أجل؟".

"أنا أتصل لأعلمك أن غيب قد أصيب". توقف عن الكلام وأنا توقفت عن التنفس.

"أصيب لكنه بخير؟".

"إنه في مستشفىً في القدس".

ثم بدأ عقلي يلحق قلبي.. قلت: "مهلاً.. لماذا تتصل بي أنا بشأن هذا؟".

سـمعت إريـك يأخـذ نفسـاً عميقـاً: "كنا نبحث فـي ملف غيب الشخصي وكان اسمك فيه ممن علينا الاتصال بهم في حالة الطوارئ وفي حالة النيابة الطبية. كتب هنا أنك صديقة مقربة منه. سنحتاج إليك لاتخاذ بعض القرارات".

"قرارات؟ حول ماذا؟".

"أنا آسف.. سأشرح لك الوضع".

t.me/ktabpdf مكتبة

وبعدها أخبرني القصة. كنتَ في غزة وكان هناك اشتباك في حي الشجاعية، وحدث انفجار كنت قريباً منه. حدث الأمر بسرعة فلم تستطع الهروب. أسعفك من الساحة طبيب إسرائيلي ثم أخذتك وكالة الأسوشيتد برس إلى المستشفى في القدس. لم تكن تستجيب لأي منبه ولم تكن تستطيع التنفس. أخبرني أنه لا يظن أنك ستشفى.

كنت قد وقّعت على استمارة إنعاش ولم يكن أحد يعلم بذلك إلى أن تم وصلك بالأجهزة الطبية والآن يريدون إذني بإزالتك عن تلك الأجهزة.

"لا". بقيت أقولها على الهاتف "لا، لا، لا، لا، لا". فسألني سائق سيارة الأجرة: "سيدتي، هل كل شيء على ما يرام؟".

"استدر من فضلك.. أحتاج إلى أن أعود إلى المنزل".

عدت إلى المنزل وارتميت على السرير، وبدأت بالبكاء لساعات. ثم اتصلت بكايت وأخبرتها مقتطفات مما حصل معك.

"أعتقد أنه عليّ الذهاب إلى القدس. لن أدعهم يزيلونه عن الأجهزة قبل أن أراه مجدداً. لن أدعه يموت بين الغرباء دون أن يكون أحد بجانبه، أو أن يستيقظ مرتبكاً ويتألم وحده".

"لكن يوجد حرب هناك". قالت كايت وكأن الأفكار تنحلّ عن بعضها في دماغها بينما تنطق تلك الكلمات.

"لكنني أعمل لوكالة مكتبها الرئيسي موجود في تل أبيب، ويبدو أن العمل هناك يجري على قدم وساق. لذا لا أظن الأمر بالخطورة التي يبدو عليها. على الأقل ليس في الجانب الإسرائيلي" ثم تابعت: "وأنا حُبلى"

"حُبلى؟" بدت مشوشة في انتقالنا من قطار حديث إلى آخر. "متى.. لم أعتقد أنك تريدين طفلاً آخر. انتظري قليلاً. دعيني فقط.." ثم سمعت صوت باب مكتبها يغلق. ثم تابعتْ:

"إذاً.. ما الذي يجري؟".

أجبت بهدوء: "من المحتمل أن يكون الطفل من غيب؟ لا أعلم". لم أكن قد أخبرتها بعد عمّا فعلناه وعمّا حصل في فندق ورويك ولهذا السبب لم أكن قد أخبرتها بعد عن الطفل. كنت خجلة من نفسي وقلقة مما ستظنه بي. لكنني وصلت إلى مرحلة بات فيها الأمر سيّان عندي لأنني كنت بحاجة إليها، بحاجة إلى شخص لألجأ إليه.

"يا لوسي!! لوسي!" توقفت لبرهة ثم قالت: "لمَ لم تخبريني؟ لا عليك.. سنتكلم عن هذا لاحقاً.. لكن الآن: هل تريدينني أن أسافر إلى القدس معك؟".

تنهدت تنهيدة حملت معها صوت نحيب وقلت: "أحبك.. أنا آسفة لأني لم أخبرك.. إنك أفضل صديقة في الدنيا".

فقالت: "وإياك أن تنسي ذلك".

"على الرغم من حملي.. وعلى الرغم من الحرب... أعتقد أنني أريد الذهاب وحدي إلى القدس".

علمت أن شرح الوضع إلى دارن وخاصة بعد إقصاء تفاصيل فندق ورويك، لن يكون سهلاً. وعلى الأرجح لم يكن عليّ أن أحاول حتى. كنت جادة بشأن الحفاظ على زواجي. وكنت لأوقع الأوراق المطلوبة من نيويورك وأخبر إريك ويس أن على الأطباء أن يقوموا بما هو مناسب.. وعلى الرغم من أنني علمت أن هذا ما يجب عليّ فعله، لم أستطع القيام به، وخاصة في الحال الطفل كان طفلك.

t.me/ktabpdf مكتبة

كيف لي أن أخبر ذلك الطفل أنني هجرت والده وهو بحاجة ماسّة إلى مساعدتي؟

"هل أنت جادة؟". سألني دارن والشك يغطي وجهه، عندما سحبته إلى غرفة النوم فور وصوله إلى المنزل من العمل.

أكمل: "تريدينني أن ادع زوجتي الحُبلى تسافر إلى منطقة حرب كي يتسنى لها أن تجلس قرب سرير حبيبها السابق".

الطريقة التي قالها بها جعلتني أصرّ أكثر. فقلت له: "ليس الأمر خطيراً كما يبدو. ويا دارن أنا لا أطلب منك أن تدعني أفعل أي شيء".

"أتقولين أنه ليس لي رأي بالموضوع؟" كان يمشي بسرعة أمام سريرنا. تابع قائلاً: "ولماذا، بحق الجحيم، اختار ذلك الأحمق أن تكوني وكيله الطبي؟".

شعرت بعينيّ تتسعان اندهاشاً. فلم يسبق لدارن أن شتم من قبل. كان صوته لاذعاً.

"أنا أريد فعل ذلك وبحاجة إلى فعله وإلا سأندم عليه طوال حياتي".

كانت هناك غصّة في صوتي. كنت أقول تلك الكلمات بينما أفكر: لما قد أدمر زواجي لهذا السبب؟ طلبت منك ألا تأتي إلى نيويورك وألا تجعلني أختار، لكن حين حانت اللحظة.. تساءلت إذا كنت سأختارك أنت.

"هل تفهمين أن هناك حرب؟ هل هناك رحلات طيران إلى هناك أصلاً؟".

كنت قد تفقدت الأمر قبل أن يصل إلى المنزل. فأجبته محاولة إيقاف الرجفة في صوتي: "خطوط طيران EA1 تقوم بتلك الرحلات.

بالإضافة إلى وجود القبة الحديدية هناك. الأمر مختلف في إسرائيل عما هو الحال في غزة. سأكون بأمان هناك".

"ماذا لو حدث للطفل مكروه؟".

"الطبابة عندهم أفضل مما هي عليه هنا. قرأت عن الأمر على الإنترنت". لم يكن الوقت المناسب لأخبره أنه من المحتمل أن يكون طفلك. تساءلت إذا ما سيحين الوقت المناسب أبداً. لاحظت أن دارن بدأ يهدأ. بدأت أرى أنه يتخيل السناريوهات في رأسه واستدرك أن هذا نقاش لن يستطيع الفوز به بسهولة.

"ثق بي أرجوك. هذا شيء أحتاج لأن أفعله". حك جبينه لبرهة ثم قال خيراً: "أمري لله يا لوسي. لا أعلم ما بالك وذلك الرجل. غادر منذ عشر سنين. لا أعتقد أنك قد تنسين شيئاً كهذا. إذا كان عليك الذهاب فلتذهبي. لكنني أريدك أن تعودي بأسرع ما يمكن. يوم الأحد كحد كأقصى. فالوضع ليس آمناً هناك".

"حسناً" إذا غادرت غداً، سيتسنى لي البقاء في القدس لثلاثة أيام. كنت أرغب بالمزيد من الوقت. لكنني علمت أنه عليّ التوصل إلى حل وسط إذا أردت العودة إلى زواج لن يتداعى، بالإضافة إلى أن دارن، وعلى الرغم من امتعاضه، وافق على الأمر. وهذا ما يزيد الأمر صعوبة. لو أنه سافل لكان الأمر أسهل بكثير.

حجزت لرحلة ذهاب وإياب ليوم الأحد صباحاً. وضبت حقيبتي واتصلت بكايت لأعلمها بخطتي.

بعد كل ما حصل بيننا لم أصدق ما آلت إليه حياتنا.

t.me/ktabpdf مكتبة

LXXV

سافرت مع ركاب الدرجة الأولى، وجاء مقعدي بالقرب من سيدة مسنة. كان رأسها مغطىً بشالٍ مزخرف مربوط خلف رقبتها. ابتسمت لي حالما جلست.

ابتسمت لها بدوري لكنني كنت أركز على التنفس ببطء محاولة إبعاد الغثيان وتجاهل طعم الملوحة في حلقي. لكن ذلك لم يعن لي حينها. بينما كانت الطائرة تقلع جثمت على ركبتي وتقيأت في دورة المياه في الطائرة. قلت لنفسي بصوت عالٍ بينما أدفق الماء: أرجوك لا تدعي هذا يحدث طوال الرحلة".

"هل أنت بخير؟" سألتني المرأة بلهجة إنكليزية ثقيلة عندما عدت إلى مقعدي. لا بدّ وأن وجهي كان شاحباً.

فأجبتها: "أنا حُبلى". بينما كنت أضع يدي على أسفل بطني. أضفت قائلة: "طفل" لم أعلم مقدار إلمامها باللغة الإنكليزية. أومأت برأسها ثم بدأت تفتش في حقيبة يدها. أعطتني كيساً مملوءاً بالحلوى وعليه كتابة عبرية وقالت: "هذا يساعد. أنا آكل في طائرة".

شممته وسألت: "زنجبيل؟".

رفعت كتفيها. لم تفهم الكلمة. قالت مجدداً: "يساعد".

قلت لنفسي أنه ليس هناك ما أخسره، لذا فتحت قطعة حلوى ووضعتها في فمي. بدأت أمصها إلى أن بدأ الوضع يتحسن. شكرتها

t.me/ktabpdf

مكتبة

فقالت: "لدي خمسة". وهي تضع يدها على بطني. تابعتْ "كنت أشعر بالغثيان دائماً".

قلت لها: "هذا طفلي الثالث".

فسألتني: "هل أنت يهودية؟". أظن أنها كانت تحاول أن تكتشف لماذا أذهب وأنا حبلى إلى إسرائيل وسط الحرب الدائرة.

أجبتها: "كلا".

ثم سألت مجدداً: "لك..." بحثت عن الكلمة ثم استقرت على: "رجل في إسرائيل؟".

قـدّرت اسـتخدامها لكلمـة رجل بدلاً مـن زوج. أجبتها: "أجل. إنه صحفي وهو الآن في المستشفى. أصيب في غزة". سالت دموعي وأنـا أنطـق بتلـك الكلمـات. غير دارن وكايت، لم أكلّم أحداً عنك أو عمّا حصل لك.

الشيء التالي الذي شعرت به كان ذراعيّ المرأة تلفني وتهمهم في اللغة العبرية أشـياء لـم أفهمها لكنها أراحتني وكأنني أفهمها. من المحـرج أن أعتـرف، لكننـي بكيت على كتفها فمسـدت لي شـعري. وأخيراً عندما اسـتجمعت قواي، أمسـكت بيدي. بعد أن أتوا بطعامنا بقيت تربت على يدي وكأنها تقول ستكون الأمور على ما يرام. عندما استيقظت بعد أن غفوت لعدة ساعات، وجدت نفسي مدثرة بغطاء.

قلت لها: "شكراً".

فأجابت: "لدى القدير خططه. والطفل بركة دائماً".

لا أعتقـد أننـي أوافقهـا علـى هذا القول. فأنـا لا أحب فكرة أن القدر له خطة لك. وفي رأسـي أمثلة حيث لم يكن الطفل فيها نعمة بالضرورة. لكن إيمانها وقوتها الهادئة ساعداني.

t.me/ktabpdf مكتبة

هناك لمسة سلام في أن تؤمن أننا لسنا سوى ممثلين على خشبة المسرح نمثل قصصاً أخرجها أحد آخر.

هل هذه خطة القدر يا غيب؟

LXXVI

وصلنا إلى تل أبيب في الوقت اللازم. أخبرت دارن أنني بخير ثم استقللت سيارة أجرة مباشرة إلى المستشفى. كان من الغريب ألا أراسلك وأخبرك أنني وصلت، أو ألّا أتصل بك وأسألك في أي غرفة تنزل. وكيف سأجدك. لكن لم يكن هناك من أتصل به أو أكلمه. كنت وحدي مع الطفل.

"أنا سعيدة أنك معي". همهمت إلى الصغير في بطني. شعوري أن هناك كائناً حياً آخر يختبر هذا معي، قلل من شعوري بالوحدة.

في المستشفى كان هناك حارسان يتفقدان حقائب الجميع. قلت لهما: "أحتاج لأن أعرف مكان غرفة أحد النزلاء" بينما كنت أعطيهما حقيبتي وقبل أن أعرف إذا ما كانا يعرفان اللغة الإنكليزية.

قال أحد الحراس وهو يشير إلى المكتب خلفه بعد أن تم تفتيشي واستلمت حقائبي: "الاستعلامات هناك. يمكن للسيدة أن تساعدك". ركضت بأسرع ما يمكن إلى المكتب وأنا أجر حقيبتي خلفي.

قلت فور وصولي: "أرجوكِ.. أريد أن أجد غرفة أحد النزلاء. غابرييل سامسون".

لا بدّ وأنها لاحظت كم كنت مشوشة. عشر ساعات ونصف من الطيران وفارق الوقت لم يساعداني. كنت متأكدة أن عينيّ كانتا

حمراوين وشعري أشعث وملابسي جعدة. وجدتْ اسمك على الحاسوب بسرعة وقالت: "الطابق الثامن. العناية المشددة. الغرفة رقم802. ثم أشارت إلى المصعد.

ضغطت على الرقم8 وحاولت تذكر الطابق التي كانت فيه الغرفة في فندق ورويك.

أغمضت عيني، وحاولت تخيل إصبعك وأنت تضغط على الزر. كان 6 أم 5؟ سالت الدموع على وجنتي. كنت قد استدركت حينها أنك إذا متَّ سأكون أنا الحافظ الوحيد لذكرياتنا. سأكون الوحيدة التي عشتها في هذا العالم. يجب أن أبلي أفضل من هذا.. عليّ ألّا أنسى التفاصيل.

رن جرس المصعد وفُتح الباب. ذهبت إلى المرأة خلف المكتب وأخبرتها أنني هناك لرؤيتك. أومأت برأسها وقالت لي أنه يمكنني أن أجلس وأن الأطباء سيكونون هنا عما قريب. ثم أمسكت الهاتف وبدأت تتكلم بسرعة باللغة العبرية.

"مهلاً..أتيت لرؤية غيب. هل يمكنني رؤيته الآن؟" غطت السماعة بيدها وأجابت: "قريباً.. لكن يود الأطباء التحدث إليك أولاً".

كان معي حقيبة السفر وحقيبة يدي الكبيرة. حملت الأمتعة إلى كرسي رمادي وجلست. أغمضت عيني، وحاولت تذكر أول مرة رأيتك فيها. كنت ترتدي قميصاً أبيض. أم هل كان رمادياً؟ هل كان فيه جيب؟ هل كان الشعار على اليمين أم على اليسار؟ كانت ياقته على شكل حرف ٧، هذا تفصيل أتذكره جيداً.

فتحت عيني عندما سعل أحدهم أمامي سعلة خفيفة.

"سيدة ماكسويل؟" قال الرجل الذي يرتدي رداءً أبيض شبيهاً

بالرداء الذي يرتديه جايسون.

أومأت برأسي ثم وقفت: "أنا لوسي ماكسويل". ومددت يدي. صافحني الرجل وقال: "أنا يوف شامير. طبيب أعصاب السيد سامسون".

كانت لغته الإنكليزية ممتازة ما عدا إقصائه لحرف الراء.

قلت له: "شكراً لاعتنائك به".

كان هناك امرأتان تقفان خلف الدكتور شامير. تقدمتا وقالت الطويلة منهما: "أنا أدعى دافنا مزراهي. أنا طبيبة العناية المشددة". كانت لكنتها أوضح. صافحت يدها وقلت: "تشرفنا". ثم تقدمت المرأة الأخرى وعرّفت عن نفسها. لم تكن ترتدي رداءً أبيض. كانت ترتدي فستاناً صيفياً فاتح اللون وشالاً على كتفيها. قالت: "أنا شوشانا. شوشانا بنيامين. أنا المساعدة الاجتماعية في المستشفى. حجزت لنا غرفة نحن الأربعة. هلا نذهب؟".

بدت لكنتها بريطانية. تساءلت ما إذا ترعرعت هناك ثم انتقلت إلى إسرائيل مجدداً. أو ربما ترعرع والداها هما يتحدثان كلتا اللغتين.

أجبت: "حسناً". ثم تبعتهم. بين الرحلة وفرق التوقيت بالإضافة إلى شدة الموقف الذي كنت فيه، شعرت أنني أطفو، وكأن كل شيء يحدث في عالم خيالي. وكأن الأصوات تعبر أنبوباً قطنياً لتصل إليّ.

"هل أنت على علم بما حدث؟" سألتني الدكتورة مزراهي بينما جلسنا في غرفة صغيرة هادئة. كان فيها طاولة وبضعة كراسي وهاتف.

أجبت واضعة حقيبتي على قدميّ: "أعرف القليل".

سألتني مجدداً: "هل تودين معرفة ما حصل؟ فلدي الملاحظات الطبية". عادة أود معرفة كل شيء. فكلما زادت معلوماتي، كنت أشعر

أنني أسيطر على الوضع أكثر. لكن هذه المرة أجبت بالنفي: "أريد فقط أن أراه".

أومأت برأسها وقالت: "سترينه قريباً جداً لكننا نود أن نزودك ببعض المعلومات أولاً". جلس الدكتور شامير أمامي وقال: "كما تعلمين، تعرض دماغ صديقك لإصابة بالغة. هل تريدينني أن أقول نتائج الفحوصات؟".

أخذت نفساً عميقاً ثم أجبت: "أريد منك فقط أن تخبرني إذا كان سيتعافى وكم سيطول الأمر؟".

تبادل الطبيبان النظرات ثم أجاب الدكتور شامير: "أصيب الجزء السفلي من دماغه. الجزء المسؤول عن الوظائف الأساسية". "مثل التنفس والبلع" أضافت الطبيبة ميزراهي.

سألتهما: "لكن هل سيستعيد هذه الوظائف؟". الأمل الموجود في أعماقي كان يغني ألحاناً من دون كلمات. هل أخذت ذلك الصف في جامعة كولومبيا؟ الصف حول ديكنينسون؟ أتمنى لو أنني أذكر.. لكنني لا أستطيع.

تبادلا النظرات مجدداً. هذه المرة الطبيبة ميزراهي بدأت بالتكلم: "قمنا أنا والدكتور شامير بإجراء فحص الدماغ.. إنه لا يعمل".

"لكن هل سيعمل مجدداً؟ كما تعود الساق المكسورة أو الحلق الملتهب؟ هل سيتحسن؟".

عندما كنت في سيارة الأجرة من تل أبيب. تخيلت أنك عندما تسمع صوتي ستستيقظ. تخيلتك سعيداً بين ذراعيّ.

نظر إلي الدكتور شامير مباشرة. كانت النظارة تضخّم عينيه البنيتين.

مكتبة t.me/ktabpdf

"دماغ السيد سامسون ميت. هذا يعني أنه لن يستطيع التنفس وحده أو البلع أو التحدث أو المشي. أنا آسف".

دماغ السيد سامسون توقف عن العمل. انتابتني نوبة غثيان قوية. نظرت في الغرفة بحثاً عن سلة مهملات ثم ركضت نحو السلة التي كانت في زاوية الغرفة. دماغه ميت.. دماغه ميت. كنتَ قد رحلت إلى الأبد. كان جسدي يرفض الأمر.. يرفض كل شيء. كانت عضلات معدتي تتقلص محاولة إخراج أي شيء في جسدي.

اقتربت مني الطبيبة ميزراهي وجثت بجانبي: "خذي نفساً عميقاً عبر أنفك". حاولت وتوقفت عن التقيؤ.

"والآن خذي نفساً آخر". ساعدتني لكي أنهض وأعود إلى كرسيّ. لم أكن أبكي. كنت أشعر بالخدر. شعرت أن وعيي قد انفصل إلى نصفين. الجزء المسؤول عن الشعور قد انفصل عني وقرر البقاء على السقف يشاهد ذلك الاجتماع.

خرجت شوشانا من الغرفة وعادت بكأس من الماء: "هل تريدين بعض الماء؟".

هززت برأسي. شعرت أنني رجل آلي وأن جسدي وفمي يتحركان ميكانيكياً.

"أنا آسفة". وجهت الاعتذار لهم جميعاً.

"لا داعي للاعتذار". قالت لي شوشانا بينما تربت على يديّ.

" أنا حُبلى" قلت محاولة أن أشرح وضعي. "أنا أشعر بالغثيان بطبيعة الحال".

"كم مضى على حملك؟". سألت الطبيبة ميزراهي.

"ثمانية أسابيع". أومأت برأسها ثم جلست على الكرسي

مكتبة t.me/ktabpdf

بجانبي. وقالت: "يمكنك أن تبقيه على الأجهزة. يمكننا التكلم عن المدة والمخاطر. لكنني دائماً ما أخبر العوائل والأصدقاء أن يأخذوا بعين الاعتبار رغبة المريض. وكيف يود عيش بقية حياته".

مدت يدها على طول الطاولة لتجلب ملفاً ثم فتحته وقلّبت أوراقه: "هذه نسخة من الاستمارة التي أرسلتها لنا وكالة الأسوشيتد برس".

أخذت الأوراق وألقيت نظرة على توقيعك. بدا مألوفاً. كان تاريخه يعود إلى تشرين الأول 2013 بدأت بقراءة الاستمارة ثم توقفت عندما علمت فحواها. كنت لاأزال أشعر بالخدر. وكأنني روبوت ولست موجودة على الإطلاق. لم أكن أعلم ما عليّ قوله. تمنيت لو لم أكن وحيدة. تمنيت لو أنك معي.

"متى سأتمكن من رؤيته؟".

أجابت شوشانا: "يمكن للطبيبة ميزراهي أن تأخذنا الآن. أو يمكن أن نبقى ونتحدث عن أي شيء تريدينه". ثم ناولتني كيسا بلاستيكياً. وتابعت: "سأعطيك كاميرا السيد سامسون وهاتفه ومحفظته بالإضافة إلى مفتاح منزله ومفتاح غرفة فندق".

كان هاتفك مهشماً وكاميرتك كانت سليمة بشكل لا يصدق. لكنني رأيت بقع وحل على العدسة. أم كانت بقع دماء جافة؟

أخذت نفساً متقطعاً. فقد كان هذا كثيراً لأستوعبه. قفز دماغي المرتبك إلى الأشياء التي تركتها خلفك. هل عليّ التعامل معها أيضاً؟ للحظة تمنيت لو أن دارن كان معي، كان ليعرف ما علينا فعله. أو كايت. كنت سأتصل بكايت، لكن أولاً عليّ رؤيتك.. فهذا هو سبب وجودي هنا. هذا هو سبب سفري كل تلك المسافة.

t.me/ktabpdf مكتبة

"شكراً" أجبت المساعدة الاجتماعية: "لكنني أريد أن أراه. هل يمكنني رؤيته الآن؟"

أجابت بينما تحمل حقائبي: "بالطبع". فهمهمت للطفل: "علينا أن نكون أقوياء". أو ربما همهمت لنفسي. تبعت شوشانا والطبيبة ميزراهي إلى الباب. اتجه الدكتور شامير إلى الجهة الأخرى قائلاً إنه سيكون موجوداً في حال احتجت لأن أكلمه في الأمر أكثر. أومأت برأسي ثم غادر.

توقفت عن المشي: "هناك شيء آخر". قلت في الرواق. توقفت شوشانا عن المشي بدورها ونظرت إليّ قائلة: "ما هو؟".

أخذت نفساً عميقاً. لم أصدق أنني كنت أسأل هذا: "كم من الوقت ينبغي أن يكون قد مضى على الحمل قبل أن أستطيع القيام بفحص الأبوة؟".

كانت قد توقفت الطبيبة ميزراهي أيضاً. حط نظرها على بطني قبل وجهي: "هناك فحص دم يمكن إجراؤه في الأسابيع الثمانية الأولى. يمكنه أيضاً تحديد جنس الجنين؟".

أحكمت قبضتي على الكيس البلاستيكي بيدي. الأشياء التي كنت قد تركتها خلفك. قلت لها: "شكراً". ثم قادتنا الطبيبة ميزراهي إليك.

LXXVII

حين دخلت إلى غرفتك، شعرت بالحاجة لأسند نفسي إلى إطار الباب. وجد الغثيان طريقه إليّ مجدداً.

كان هناك أنبوب للتنفس موضوع في حلقك، وكانت شفتاك جافتين وما حولهما متشقق. رأسك كان مضمداً والمنطقة حول عينيك كانت أرجوانية اللون متورمة. كان أحدهم قد أسند ذراعك على لوح خشبي ولفها من الرسغ إلى الكوع. كانت هناك أنابيب وآلات تصفر في كل مكان. تلك الأجهزة كانت لك.. كنت هناك. كان صدرك يرتفع وينخفض. كنت حياً. علمت ما قاله الأطباء لكنني تجاهلته.

"غيب". كانت تفوح من الغرفة رائحة مزيج من المطهرات والعرق والدم. جثمت قرب سريرك، وأمسكت بيدك فكانت أصابعك دافئة على نحو مطمئن. وضعت يديك على وجهي وتمنيت أن تمرر إبهمك بين شفتي، تمنيت لو أنني أستطيع سماع صوتك.

فكّرت في آخر محادثة لنا حيث قلنا إننا نحب بعضنا، وكيف أخبرتك أن تبقى في القدس وألا تجعلني أختار. قلت لك: "أسحب كلامي. لم أكن أعنيه. عُد، عُد يا غيب أرجوك. لا تتركني".

لم يحدث شيء. لم تتحرك، لم ترمش. وجدت إحدى التنهيدات طريقها خارج صدري، ثم لم أستطع إيقاف ما أتى بعدها. تقلّص حلقي وآلمتني أضلاعي. بدأ جسدي يرتجف ثم ارتميت على

t.me/ktabpdf مكتبة

الأرض. لم أعلم متى دخلتْ الغرفة، لكن شوشانا كانت إلى جانبي ويدها على كتفي: "سيدة ماكسويل.. لوسي" نظرت إليها بدلاً من أن أنظر إليك. حاولت إيقاف الارتعاشات التي كانت تهز جسدي. ساعدتني على النهوض ثم قالت: "لنتمش قليلاً. هل هناك أيّ شخص يمكن أن يكون معك الآن؟".

هززت برأسي ثم قلت: "لا، لا أحد".

فكرت في الاتصال بكايت وأن أطلب منها أن تسافر إليّ تلك الليلة. كانت لتأتي لو أنني طلبت. أخذت نفساً متقطعاً.

قالت شوشانا: "سيكون الأمر على ما يرام". بينما أخرجتني من الغرفة لنعود إلى الرواق. تابعت قائلة: "ستنتهي ساعات الزيارة خلال دقائق. لمَ لا تأخذين قسطاً من الراحة؟ لست مضطرة لأخذ أي قرارات اليوم".

أجبت بنفس النفس المتقطع: "حسناً".

هل تريدين سيارة لتأخذك إلى الفندق أم شقة السيد سامسون؟".

كنت قد حجزت غرفة في الفندق، لكنني فكرت في مفاتيح شقتك الموجودة في الكيس البلاستيكي. كان لدي عنوانك، فقد أدخلته في جهازي عندما كنا في السرير سوية. شعرت أنه عليّ الذهاب إلى هناك: "أجل، أظنني سأحتاج إلى سيارة".

أومأت شوشانا برأسها ثم عادت بعد خمس دقائق مع حقيبتي: "دعيني أوصلك إلى الخارج كي تتعرفي إلى السائق".

أعطتني بطاقة وقالت: "أنا لا أفعل هذا عادةً، لكن هذا رقمي الخاص في حال احتجت لأي شيء، لا ترددي أن تتصلي".

شكرتها بينما أضع البطاقة في الحقيبة.

التقطت حقيبتي وتبعتها عبر البوابة الدوارة إلى موقف السيارات. خطرت في بالي فكرة سريعة وغادرت بالسرعة التي دخلت فيها: لو أن هـذه هـي طريقـة القـدر بـأن يحقق لي رغبتي.. كـي لا أضطر لأن أختار بينك وبين دارن، إذاً لا أريد العيش في هذا العالم أنا أيضاً. ما رأيـك يـا غيـب؟ هـل كان خيارك أن تعمل فـي غزة؟ أن تأخذ الصور فـي الوقـت والمـكان والطريقـة التـي فعلتهـا بها؟ هـل خياراتك هي التـي أوصلتـك إلـى هنا؟ أم كان فعل القضاء والقدر؟ لدي انطباعاتي الخاصة حول هذا الأمر، أتمنى لو أنني أستطيع سماع آرائك أيضاً.

LXXVIII

أخذنـي السـائق فـي طرق متعرجة وحـاول أن يدلني على بعض نقاط العلّام بينما نتقدم. كانت المرة الأولى التي أزور فيها إسـرائيل وعلمـت أنـه علـيّ الانتباه أكثر، وأقدر أهميـة المكان الذي كنت فيه، لكننـي كنـت لا أزال وسـط الضبـاب. بقيت صورتك في المستشـفى تتوهج في بالي، وكلمات الدكتور شامير: دماغ السيد سامسون ميّت. قلـت لنفسـي: لا تفكـري بالأمـر، أبقي تركيزك على مـا تفعلينه الآن. كوني قوية، فكّري في شقّة غيب. هل ستكون مألوفة إليّ؟ هل سأشعر وكأنها منزلي؟ هل سأجد شيئاً لم أكن أعرفه عنك ولم تكن تريدني أن أكون على علم به؟ تساءلت للحظة إذا ما كان يجدر بي الذهاب إلى الفندق بدلا من كل هذا، لكن كنا سـنصل على أي حال. وبصراحة، أردت أن أرى مكان مبيتك. أردت أن أكون مُحاطة بك.

قال السائق عندما أعطيته عنوانك: "الرحافية!! جميلة جداً".

كان محقاً. كان حيّك جميلاً وهادئاً. وجهّت تركيزي على الأبنية التـي مررنـا بها بدلاً من المستشـفى وما سـمعته هنـاك. تخيلت كيف سـيكون الأمـر لـو أنني وافقـت على المجيء إلـى القدس. هل كنت لأتبضع من ذلك المتجر؟ هل كنت لأحتسي القهوة في ذلك المقهى؟ هل كنا سنستمتع بكوننا سوية أم كان لكل شيء أن يكون ملطخاً؟

عبـر كتلـة الضبـاب تلك شـعرت بانقباض، لـم يكن قد مر على

t.me/ktabpdf مكتبة

غيابي يوم كامل، كنت قد بدأت أشتاق لفايوليت وليام. تمنيت لو أنني أستطيع أن أضمهما وأيديهما حول عنقي لأشعر بدفء جسديهما الصغيرين. لم أكن لأتركهما أبداً.

عندما توقفنا أمام المبنى الذي تسكن فيه، أخذت حقائبي ووقفت عند المدخل. كان هناك باب خشبي خلف بوابة الحديد. كنت لأختار أنا أيضاً مبنىً كهذا. بدا متماسكاً ومريحاً. كان قد حمى العديد من العائلات، لقرون عديدة من الزمن.

بحثت في الكيس البلاستيكي عن مفاتيحك. جرّبت بعضها قبل أن أجد مفتاح البوابة والباب. صعدت الدرج إلى الطابق الثالث، ثم بدأت برحلة بحث جديدة عن مفتاح الشقة.

وفجأة، عندما دخلت وحدي، شعرت أنني دخيلة. كنت قد نسيت أنه لم يمض على مكوثك في القدس كثيراً قبل ذهابك إلى غزة. وحتى عندما كنت هنا، كنت تعمل كثيراً، فلم يبدُ على شقتك أنها مسكونة.

كان هناك صناديق مفتوحة مليئة بالكتب، بضعة صور مؤطرة معلقة على الحائط، بُسُط مزخرفة كالتي رأيتها في تركيا، أريكة بنيّة، طاولة خشبية مليئة بالأجهزة الإلكترونية والأسلاك وكرسي. تخيلتك تعمل على حاسوبك جالساً على ذلك الكرسي، تعدل الصور كما كنت تفعل عندما كنا سوية.

فعلت ما بوسعي لأفكر بك، وأنت في المنزل وليس في المستشفى. كنت حيّاً وتفعل ما تحب. كنت تبتسم، على الأقل كما تصورتك في رأسي.

فتحت باب غرفة النوم، ورأيت عند أسفل السرير، تلك الوسادة

t.me/ktabpdf مكتبة

التي رميتك بها عندما أخبرتني أنك سترحل. التقطتها ومسدت بها وجنتي. كانت رائحتك لا تزال عالقة بها.

على المنضدة كانت نسخة من كتاب *All The Light We Cannot See*. جلست على السرير، لاحظت أن هناك ورقة محددة حيث وصلت بالقراءة. كانت الصفحة الـ 254 كان ذلك أبعد ما ستصل إليه من ذلك الكتاب. لن تتمكن من إنهائه أبداً. كان الموت قد قاطع حياتك القصيرة. كفيلم انتُشل قبل أن ينتهي تحميضه.

هناك الكثير لم تكن قد أنهيته بعد، الكثير لم تكن قد رأيته أو تعرفه بعد.

قلت بصوت عالٍ: "سأنهي الكتاب. سأقرأه لك يا غيب". فتحت الكتاب مكان مؤشر الصفحة، فكان المؤشر عبارة عن الإيصال من اليوم الذي قضيناه في *Names & Faces*. مررت أصابعي على التاريخ. حتى لو أنني كنت أعلم أن تلك هي المرة الأخيرة التي سأراك فيها.. لا أعتقد أنني كنت لأغير شيئاً من ذلك اللقاء. كنت لأرخي جسدي على جسدك، كنت لأمارس الحب معك مراراً وتكراراً في غرفة الفندق تلك، وكنت لأبقي على إخبارك أنني لن أستطيع القدوم معك إلى القدس.

ومع ذلك، لا يسعني سوى التساؤل إذا كان ليحصل ما حصل لو أنني وافقت. هل كنت لتحذر أكثر لو كنت في المنزل بانتظارك؟ هل كنت لتتوخى الحذر أكثر لو أنك علمت أن هناك طفلاً يمكن أن تكون أنت والده؟

وضعت يدي على بطني. هل شكّلنا هذا الجنين في لقائنا ذلك اليوم؟

مكتبة t.me/ktabpdf

مشـيت مخدرة إلى غرفة المعيشـة ثم إلى المطبخ. كان البراد فارغاً تقريباً، يقتصر ما فيه على الخردل وبضع زجاجات من الجعة. كان يوجد كيس من حبات البن ونصف علبة من الشـاي في الخزانة بالإضافـة إلـى قطعتيـن مـن الكعـك المملـح، واحـدة غيـر مفتوحة والأخـرى، غُلّـف مـا تبقـى منهـا وزُمّ في مشـبك ورق. لم أكن أعلم أنك تحب الكعك المملح لهذا القدر. لمَ لم أعلم بهذا الأمر عنك؟

فـي غرفـة المعيشـة، وجـدت شـاحن هواتـف علـى طاولتـك، فوصلت هاتفي به. كان هناك كاميراتان وجهاز آيباد توقعت أن يكون حاسبك المحمول قد بقي حيث كنتَ في غزة. تساءلت كيف لي أن أسترجعه. فكرت: ربما ستسـاعدني وكالة الأسوشيتد برس. عليّ أن أتصل بهم. عليّ أن اتصل بـ كايت. عليّ أن أتصل بدارن.

حالمـا شُـحن هاتفـي كفايـة لكـي يعمـل مـرة أخـرى، بـدأت الرسـائل تتهافـت: مـن أمـي، أخـي، دارن، جوليـا، كايـت. فتحت درج طاولتك بحثاً عن ورقة لأعد لائحة، فوجدت ظرفاً، كان الشـيء الوحيد الموجود في ذلك الدرج. كُتب عليه: وصية غابرييل سامسون الأخيرة.

عضضت شفتي ثم فتحته. كان خطك البارز يملأ الورقة. أملك تلك الرسالة معي الآن.

أنا، غابرييل فينسينت سامسون، بصحتي الكاملة عقلياً وجسدياً، أعلن هذه وصيتي الأخيرة وبها ألغي جميع الوصايا السـابقة التي قد قمـت بكتابتهـا. أعيّـن آدم غرينبيـرغ منفذ وصيتي. فـي حال كان غير قادر أو لا يرغب بذلك، أعين بدلاً منه جاستن كيم.

هـل يعلمـون بمـا حصـل؟ هـل اتصل بهـم رئيسـك؟ يجب أن

t.me/ktabpdf

مكتبة

أكلمهما. يجب أن أتصل بآدم.

أعين المنفّذ أن يدفع، من حساباتي في المصرف، أي ضرائب أو رسوم متعلقة بموتي ودفني، والفواتير الكثيرة التي أدين بها.

أورث لوسي كارتر ماكسويل حق التصرف بجميع أعمالي وصوري التي التقطتها بالإضافة إلى كتابي "مجابهة" والكتاب الجديد الذي أعمل عليه المحفوظ على حاسبي المحمول في مجلد اسمه *New Beginnings* (بدايات جديدة). وأعطيها كامل ملكية حقوق النشر.

تفاجأت حين قرأت هذا الجزء يا غيب. تساءلت ما إذا كان نوعاً من الاعتذار لأنك وضعت صوري في المعرض في نيويورك دون إذني.

استدركت أيضاً أن هذا سيربطني بك إلى الأبد. سأموت قبل أن تنتهي صلاحية حقوق النشر خاصتك. هل فكّرت بذلك عندما كتبت وصيتك؟ هل أردت أن تربطنا سوية بأي شكل ممكن لأطول فترة ممكنة؟

باقي أموالي، بعد دفع الضرائب والرسوم والفواتير، يجب أن تقسّم بالتساوي بين جمعيتين خيريتين: جمعية *National September 11 Memorial & Museum* وجمعية *Today's Children*.

إذا رغبت لوسي كارتر بأي من ممتلكاتي، فأنا أهبها لها، واذا لم ترغب، أود من المنفذ أن يجد مكاناً مناسباً ليتبرع بها.

أصدق على هذا في 8 من شهر تموز 2014

هل كان ذلك يوم مغادرتك إلى غزة؟ هل كنت تكتب وصية جديدة في كل مرة تذهب في إلى منطقة ساخنة؟ أم الأمر مختلف هذه المرة؟

t.me/ktabpdf مكتبة

هنالك العديد من المواضيع أردت مناقشتها معك والكثير من الأسئلة لأسألك، تمنيت لو أنني سألتك إياها قبلاً. قررت بعد أن انتهيت من قراءة وصيتك للمرة الأولى، أن هناك شيئاً آخر احتجت لأن أخبرك به قبل أن تموت، حتى لو لم تستجب، حتى لو لم أكن متأكدة من أنك ستسمعني، سأقوله.

سحبت بطاقة شوشانا واتصلت بها.

"كم سيستغرق إجراء اختبار الأبوة؟".

LXXIX

التقـت شوشـانا فـي المستشـفى صبـاح اليوم التالـي. كانت قد حجـزت لـي موعـداً فـي مستشـفى التوليد حيث تم فحصـي وبعدها وافقت على طلب الاختبار. وكانت الطبيبة ميرزاهي مخوّلة أن تطلب عينة من دمك.

لـم تعلـم شوشـانا كم هي المـدة التي تسـتغرقها نتائج الاختبار عندمـا تحدثنـا على الهاتف: "سأسـأل عـن الأمر وأعلمك. لكن على حـد علمـي قـد يسـتغرق بضعـة أيام. لأنـه غداً يوم السـبت. لا يعمل المستشفى يوم السـبت".

كنـت قـد نسـيت أمـر عطلة أيام السـبت، لكن رأيـت أنه لطالما ستصل النتيجة بحلول صباح الأحد.. ستكون الأمور بخير. ستبقيك الأجهـزة علـى قيـد الحياة إلى ذلـك الحين. يمكنني البقاء معك حتى ذلك الوقت.

لكن كان للكون خطط أخرى. قابلتنا الطبيبة ميزراهي في مخبر الخزع.

"إنه على ما يرام الآن. لكن السيد سامسون قد عانى ليلة عصيبة البارحة". قالت الطبيبة ميزراهي بعد التحية مباشرة.

قلـت "رجـاءً نـادوه غيب". فهما تعرفان أسـرارنا الآن. شـعرت بغرابة أن ينادوك باسمك الكامل. سألت: "ماذا حصل؟".

"أصابتـه حمـى بسـيطة". أجابتني بينما تبعتهـا إلى الداخل. "قال الطبيـب أنـه يعانـي من تسـمم الدم، لكنهـم زادوا جرعـة المضادات الحيوية وأعطوه جرعة أمينوفين. زالت الحمى ووضعه مستقر الآن".

"تسمم في الدم؟" بالكاد سمعت ما تلى تلك الكلمة.

"للأسـف. يحـدث هذا غالباً مـع المرضى على جهاز الإنعاش. إنه التهاب خطير. لكن يبدو لغابرييل أنه تفاداه حتى الآن".

توقفـت الطبيبـة ميزراهي عن المشـي عندمـا دخلنا إلى المخبر. وقفت بجانبها.

"هل سيسبب هذا التسمم موته في أي لحظة؟".

"للبقاء على جهاز الإنعاش مخاطر كثيرة".

فكرت في أن أطلب منها أن تعددها، لكنني قلت: "هل من طريقة لإظهار نتائج الاختبار اليوم؟ أو غداً؟ لا أريد أن يموت قبل أن يعلم بأمر الطفل".

شـعرت أن حلقي يتقلص. تسـاءلت لوهلة إذا كان من الأسـهل أن أدعك تموت بسـبب شـيء آخر على أن آخذ هذا القرار بنفسـي. لكن فكرة أن جسدك بات مرتعاً للسم أصابتني بالقشعريرة. لم أستطع السماح لذلك أن يحصل.

قالت الطبيبة ميرزاهي: "سـأرى ما يمكنني فعله". ثم جاء رجل لطيـف العينيـن وشـعر أجعـد وطويـل وأخذ عينة من دمـي ووعد أنه سيرسل النتائج حالما تظهر. ثم جئنا إلى هنا، إليك.

إذاً، هـا نحـن يـا غيـب. كان وضعـي أفضل هـذا الصباح عندما دخلـت غرفتـك ولـم أنهر. فأنا أحاول أن أكون قوية. من أجلك ومن أجل الطفل. أنا أدّعي أن هذا عمل مسؤولة عنه ويجب أن أنفذه. فأنا

أقوم بأفضل ما عندي.

قالت الممرضة أنك تستطيع سماعي. أعلم ما قاله الدكتور شامير عن دماغك، لكن الممرضة قالت أن أكلمك على أي حال. وها أنا أفعل ذلك. ها قد أخبرتك قصتنا، وسألتك أسئلة لن تجيب عنها أبداً. سأعلمك بشأن الطفل الذي من المحتمل أن تكون والده، وربما لا. لا أعلم أيهما سيكون أسوأ.

أنا أمسك بيدك الآن. هل تشعر بأصابعي تلف يدك؟ لم يكن يجدر بهم أن يصلوك بهذه الأجهزة. لم يكن أحد على علم بهذا والآن لا يمكنهم أن يزيلوك عنها إلا بموافقتي. أحاول جاهدة أن أغضب منك يا غيب لهذا. لكن كيف لك، بحق السماء يا غيب، أن تضعني في موقف كهذا؟ كيف تطلب مني أن أقتلك؟ هل فكرت ما قد يفعله بي قرار كهذا؟ سأضطر للعيش مع هذا طوال حياتي. سأعيشه في منامي مراراً وتكراراً. سأشعر بالملاءات المخدشة، سأسمع صوت نفسك من المنفسة.

هل يمكنني الاستلقاء بجانبك على السرير؟ سأكون حذرة. لن ألمس أياً من الأنابيب. لن أؤذي ذراعك المكسورة. أريد فقط أن أحضنك مجدداً. أحب شعور رأسي يلامس صدرك. لطالما أحببت هذا الشعور.

لقد شكّلتني، هل عندك علم بهذا؟ أنت؛ في 11 سبتمبر الشخص الذي أنا عليه، القرارات التي اتخذتها.. كل ذلك بسببك، وبسبب ذلك اليوم.

هل يمكنني أن أقبل وجنتك؟ أريد أن أشعر بك على شفتيّ مرة أخرى. لن أفعل شيئاً قد يعيدك للحياة أليس كذلك؟ عليّ تقبل الأمر.

مكتبة t.me/ktabpdf

LXXX

ولدي،

لا أعرف متى سأسلمك هذه الرسالة، ربما في سن الثامنة عشر ؟ أو ربما بعد تخرجك من الجامعة؟ هل أنتظر وأبقيها لك في صندوق الودائع لتقرأها بعد أن أموت؟ أو ربما ستكبر وأنت تعرف كل هذا. ربما سيكون هذا سراً كبيراً لأبقيه طي الكتمان.

أحتاج لأن أخبر أحداً بما حصل في اليومين الماضيين. كانت أصعب أيام حياتي. وكنت ممتنة أنك كنت موجوداً معي حينها، كجزء مني.

قرأت مرة مقالة عندما كنت حاملاً بأختك، عن وعي الجنين. من الممكن أنك في مكان ما في ذاكرتك الآن، تسجل الأحداث الحالية. ذكرياتك الخاصة. لكن في حال لم تفعل ذلك، سأشاركك ذكرياتي. لأن الأيام القليلة الماضية يجب ألا تنسى أبداً.

عرفت البارحة من هو والدك. وقد قتلته صباح هذا اليوم. كنت جالسة بالقرب منه عندما قاموا بالأمر. كان رأسه مسند إلى كتفي وشفتاي على رأسه.

دخلت طبيبته؛ الطبيبة ميزراهي، وسألتني إذا كنت مستعدة. حاولت أن أنطق تلك الكلمات لكنني لم أستطع واكتفيت بأن أومأت برأسي. قالت لي الطبيبة: "إنك تقومين بالصواب".

t.me/ktabpdf مكتبة

كان دماغ والدك ميتاً. فقد أُصيب أثناء انفجار في غزة. لم يكن ليتعافى أبداً. تحدثت مع الطبيبة بهذا الشأن مراراً وتكراراً. لم يكن ليتحسن حاله أبداً.

أومأت برأسي مجدداً. وعلى الرغم من أنني كنت أعلم أنه القرار الصائب، لكنه كان صعباً جداً. صعب لدرجة أنه مستحيل.

راقبتني لبرهة. كنت أستطيع رؤية الشفقة في عينيها. كنت ممتنة أنها هي من كان يقوم بالأمر وليس شخص آخر.

انت بغاية اللطف معي ومع والدك. قالت: "يمكنك أن تحضنيه". ضممته إليّ. عندها وضعت ذراعيّ حوله ومددت كفي على كفه: "أيمكنني أن أفعل هذا؟" سألت الطبيبة. أومأت برأسها. أغمضت عيني، وأبقيت شفتي على رأسه. لم أستطع مشاهدتها وهي تفصل أنبوب التنفس. أصدر الجهاز إلى جانبي صوت الرعب وكذلك فعل قلبي. تلك الصفرة الطويلة. فتحت عيني، وشاهدت الطبيبة تسكت الجهاز الذي تسطح الخط على شاشته. كان هناك صوت نفس متحشرج أخير ومن ثم لا شيء. صمت مطبق. مات والدك.

أغبشت الدموع رؤياي. اعتذرت منه مراراً وتكراراً. كرهت ما وجب عليّ فعله. "آسفة، آسفة، آسفة".

لسنوات عديدة، تحدثت ووالدك عن القدر والإرادة الحرة. إذا كان الإنسان مخيّراً أم مسيّراً.. أعتقد أنني أملك جواباً الآن. كان خياري أنا. كان خياري منذ البداية. وخياره أيضاً. اختار أحدنا الآخر.

الآن، أنا وأنت موجودان في شقة والدك. إننا محاطان به على الرغم من أنه قد رحل الآن. يمكننا رؤيته في كل مكان. في الضوء الذهبي الذي يعبر نافذة غرفته ساعة الفجر، وفي ألوان البساط العجمي

القرمزيـة والزرقـاء، فـي عبير حبات البـن المحفوظة في مطبخه. البن الذي لن يتسنى له أن يشربه أبداً. لكننا سنشربه من أجله، كلانا.

في حال قرأت هذه الرسالة بعد أن أتوفى.. أريد منك أن تبحث عن اسـم والدك: غابرييل سامسـون. عن الصور التي التقطها، ابحث عن معرضه في جوزف لاندس في تشيلسي عام 2011

آمل أن ترى من خلال صوره كم كان يشـعر بالعالم بقوة، وكم كانـت مشـاعرنا عميقـة أحدنا تجـاه الآخر. كان والـدك فناناً مذهلاً، حساساً. كان فناناً رائعاً حساساً وجميلاً حاول أن يجعل العالم مكاناً أفضل من خلال كل صورة من صوره. كان يريد مشاركة القصص بين الحـدود، بيـن الأديـان والأعراق. وبالفعل هذا ما قام به. لكنه ضحى بحياته من أجله.

لم يكن مثالياً، ولا حتى أنا، عليك أن تعرف هذا. كان في بعض الأحيان أنانياً ولم يهتم سوى لنفسه. ظن أن التضحية فعل نبيل.

لم يعلم بأمرك. كان عليّ أن أخبره. ربما كان هذا ليغير مجرى الأمور. ولا أسـتطيع تخيل سـوى أنه لو علم بأمرك. كان لتفكيره أن يتغير كلياً. كان ليتريث قبل أن يرمي بنفسه في الهلاك.

لا أسـتطيع تصـور أنـه قـد يود أن يفـرّط بوقته معك. أو ربما لم يكن ذلك ليشكل فرقاً. وربما لم يكن ليتغير شيء.

أريـدك أن تعلـم أنـك تشـكّلت بفعل الحب. أريـدك أن تعرف، وبغض النظر عما سيحدث لاحقاً وعما سيلي كتابتي لهذه الرسـالة، وعما ستكون عليه حياتنا عندما تقرأ هذه الرسالة، وبغض النظر عمن سـتناديه: "أبي" أريدك أن تعلم كم أحببت والدك. كان شـغفاً يتجاوز عوامـل الزمـان والمـكان والمنطق. أتمنى أن تجد حباً كهذا. حباً قوياً

t.me/ktabpdf مكتبة

يجعلك تشعر بالجنون. فإذا وجدت هذا الحب، حافظ عليه. تمسك به. إذا كرست حياتك من أجل حب كهذا ستتألم قليلاً لكنك بالمقابل ستشعر أنك لا تُقهر.

والآن، وبعد أن رحل والدك عن هذه الحياة، لا أظن أنني سأختبر هذا الشعور مجدداً، ولا أظن أن هناك من سيشعرني بالتميز والاهتمام كما كان يفعل.

لكنني أعد نفسي محظوظة لأنني عشت تلك المشاعر. أعد نفسي محظوظة لأنني عرفته ولأنني حظيت بك.

لم تأتِ إلى العالم بعد، لكنني أحبك سلفاً يا بنيّ. وأعلم أن والدك أينما كان، يحبك هو أيضاً.

مكتبة

t.me/ktabpdf

تابعونا على فيسبوك

جديد الكتب والروايات

النور الذي فقدناه

جيل سانتوبولو

بينما كان برجا التجارة العالميان يصبحان أثراً بعد عين، وفيما الدّخان والغبار يغطيان أفق مانهاتن، بزغ فجر قصة حبّ ملتهبة بين لوسي وغابرييل. غير أنّ عوامل عديدة لعبت دوراً في فراقهما... فالطّموح، وعدم الوفاء، وتصاريف الدّهر مجتمعة كانت لها بصمتها الحاسمة في مستقبلهما معاً.

ففي الليلة التّي كانت فيها لوسي المُنتجِة المنفّذة لأشهر برامج الأطفال تحتفل بفوز برنامجها بإحدى الجوائز، إذ بخبر يصعقها، ويقلب حياتها رأساً على عقب... فها هو حبيبها غابرييل يخبرها بأنه سيتركها ليحقق طموحه، وسيسافر إلى العراق للعمل مع أسوشييتد برس.

ولا شكّ في أن قصص فراق الأحبة كثيرة بقدر قصص لقاءاتهم. وفي هذه القصة أيضاً، يشاء القدر أن يتقاطع طريق لوسي مع دارن؛ ذلك الشاب الذي كان محطّ أنظار الفتيات اللواتي يعتبرنه فارس أحلامهنّ. وشيئاً فشيئاً، تتطوّر العلاقة بينهما، ويتزوّجان، وينشئان أسرة سعيدة. غير أنّ القدر كان للوسي بالمرصاد، ففيما السعادة ترفرف فوق هذه الأسرة السعيدة، يرجع غابرييل من السفر ويكدّر صفاء هذه العائلة...

إنّ هذه الرواية الأكثر من رائعة مليئة بالتشويق من البداية وحتى النهاية، ولا بد لكِ من الغوص في بحور صفحاتها لتكتشف بمتعة شيئاً فشيئاً ما ستؤول إليه الأمور.

مكتبة ٣٩٥

ISBN: 978-614-01-2410-3
9 786140 124103

نيل وفرات.كوم
جميع كتبنا متوفرة على الإنترنت
في مكتبة نيل وفرات.كوم
www.nwf.com

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com